جلب المنفعة يترجمة الأئمة الأربعة

أبو البراء المصري

مقدمة

إن الحمد لله ...

نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** } (آل عمران:١٠٢)

{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** } (النساء:١)

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** } (الأحزاب:٧٠-٧١)

أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأن خير الهدى هدى نبيه محمد ﷺ ، وأن شر الأمور محدثاتها ، وأن كل محدثة بدعة ، وأن كل بدعة ضلالة ، وأن كل ضلالة في النار .

ثم أما بعد ...

اعلم أخي المسلم :

إن العلماء بعلومهم ، والحكماء بحكمتهم ، والصالحون بوصاياهم هم ـ بإذن الله ـ نجوم هادية لمن سار في الليالي المظلمة ، ودفة محكمة لمن خاض عُباب البحار الموحشة ، وغيث مدراراً يأتي على الأرض الهامدة ، فتهتز وتربو ثم تنبت من كل زوج بهيج . . .

فهم بحق سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، وهم غيظ الشيطان ، بهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا . . .

ونحن في هذه السلسلة المباركة الطيبة والتى أسميتها : " **إعلام الخلف بسير أعلام السلف** " ، نتعرف على هؤلاء الأكابر الأفاضل من خلال سيرهم وتراجمهم ، والتى امتلأت بها بطون أمهات الكتب ، فكأنك أخي الموحد تراهم من قريب ، تسمع كلامهم ، وتري أحوالهم ، وتراقب سلوكهم في شتي مناحي الحياة ، فهم بحق خير القرون ، وخير الناس ، أسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرتهم وأن يملأ قلوبنا بحبهم إنه ولى ذلك والقادر عليه .

ومن هؤلاء الأعلام الأكابر أقطاب العلم : " **الأئمة الأربعة** " ، وهم الإمام أبو حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والإمام مالك ، رحمه الله عليهم جميعاً .

وقبل أن نشرع في الحديث عن هؤلاء الأئمة أحببت أن نلفت الانتباه إلى شئ هام في البداية ، وهو الحديث عن الإختلاف والفرقة الواقعة بين المسلمين في هذا الزمان بسبب الميل إلى مذهب معين من مذاهب الأئمة الأربعة المتبوعة والتعصب له .

ناهيك عن الذين يقلدون مذهباً معينا من المذاهب ، ويحتجون به دون باقي المذاهب الأخرى ، والذي توهم الكثير من هؤلاء أنه هو المذهب الراجح دون غيره من المذاهب .

فهذا يقول إني شافعي ، وهذا حنفي ، وهذا مالكي ، وهذا حنبلي ، وهذا كله يؤدي إلى وقوع الفرقة والشقاق بين صفوف المسلمين .

ولا شك أن الرسول ﷺ ما ألزم الناس أن يلتزموا بمذهب واحد من مذاهب الأئمة الأربعة بعينه ، وإنما أوجب اتباعه ﷺ ، فإن الحق محصور فيما جاء به فإذا تأمل المنصف يظهر له أن التقليد لمذهب معين والتعصب له من غير نظر إلى دليل جهل عظيم وبلاء جسيم ، إنما هو مجرد هوى وعصبية ، والأئمة المجتهدون ـ رحمه الله ـ قاطبة على خلاف هذا الذي يحدث بين الناس من تقليد بعضهم دون الآخر ، أو التعصب لمذهب معين دون غيره .

لذلك ولتحرير هذه المسألة نقول وبالله التوفيق :

موقفنا من الأئمة الأربعة

لقد تميزت الأمة المسلمة بثراء فقهي لا يوجد له نظير في سائر الديانات والمعتقدات والمجتمعات ، ونبغ فيه نوابغ قل أن يوجد لهم نظير ، حتى إنه ليتضاءل أمامهم من يوصفون بعباقرة العالم - جهلاً أو عصبية - ، ذلك لأنهم لم يقولوا يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ، فتاه كثير منهم في معمعات كلامية وفلسفية ، لو قيل بعضها اليوم لطفل في السادسة لما صدقها أو استساغها .

إن الأئمة الذين نفاخر بهم كُثر ، ولكن أشهرهم في المجال الفقهي أربعة هم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد .

لقد شكل هؤلاء الأئمة أربع مدارس فقهية ، سميت بالمذاهب ، واستقرت من أيام أصحابها إلى يوم الناس هذا.

والمذاهب الفقهية هي اجتهادات في فهم النصوص الشرعية قد تصيب وقد تخطيء ، ولهذا فالحق ليس محصوراً في أحدها لا يخرج عنه ، بل الحق موزع عليها جميعاً ، بل وعلى بقية الأئمة ممن كان لهم أتباع ثم انقرضوا كالإسحاقية أتباع اسحاق بن راهوية ، والظاهرية أتباع داود وغيرهم ، أو ممن ليس لهم أتباع يتبنون أفكارهم ويدافعون عنها كفقهاء المدينة السبعة وغيرهم .

وبالرغم من أن الحق ليس محصوراً في هذه المذاهب الأربعة ، فإن موقفنا

من هؤلاء الأئمة وغيرهم هو موقف سائر المسلمين المنصفين منهم ، وهو موالاتهم وحبهم وتعظيمهم وإجلالهم والثناء عليهم بما هم عليه من العلم والتقوى ، واتباعهم في العلم بالكتاب والسنة ، وتقديمها على رأيهم ، وتعلم أقوالهم للاستعانة بها على الحق وترك ما يخالف الكتاب والسنة منها ، وأما المسائل التي لا نص فيها ، فالصواب النظر في اجتهادهم فيها ، وقد يكون اتباع اجتهادهم أصوب من اجتهادنا لأنفسنا ، لأنهم أكثر علماً وتقوى منا ، ولكن علينا أن ننظر ونحتاط لأنفسنا في أقرب الأقوال إلى رضا الله وأحوطها وأبعدها من الاشتباه .

📖 **ولتقريب هذا الموقف أحب أن ألقي الضوء على بعض الأمور :**

۞ اعلم أن الأئمة - رحمه الله - ليسوا معصومين ، وكل من الأئمة أخذت عليه مسائل ، قال العلماء : إنه خالف فيها السنة .

فهذا الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - وهو أكثرهم في ذلك لأنه أكثرهم رأيا ، يترك العمل بحديث القضاء بالشاهد واليمين في الأموال ، وبحديث تغريب الزاني البكر وغير ذلك .

وأخِذ على مالك إنكاره صيام الست من شوال ، واستحسانه صيام الجمعة ولو مفرداً ، لأنه لم يبلغه السنة فيهما ، وترك مالك العمل بحديث خيار المجلس ، وهو متفق عليه ! إلى غير ذلك .

وأخذ على الشافعي - رحمه الله - قوله بنقض الوضوء من مجرد لمس المرأة بدون حائل ، مع ورود ما يخالفه في السنة ، على أن له أجوبة عليها .

وأخذ على أحمد ـ رحمه الله ـ صوم يوم الشك احتياطاً لرمضان ، مع ورود النص بالنهي عن صومه وغير ذلك .

وليس المقصود هنا انتقاص الأئمة وعيبهم فيما أخذ عليهم ، لأنهم ـ رحمه الله ـ بذلوا وسعهم في تعلم ما جاء عن الله على لسان رسوله ﷺ ثم اجتهدوا بحسب طاقاتهم ، فالمصيب منهم له أجر اجتهاده وإصابته ، والمخطئ منهم مأجور في اجتهاده معذور في خطأه ، وإنما قصدنا مع الاعتراف بعظم منزلتهم أن نبين أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب تقديمها على أقوالهم ، لأنهم غير معصومين من الخطأ . [١]

۞ وليُعلم أنه ليس أحد من الأئمة ـ المقبولين عند الأمة قبولا عاماً ـ يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته ، دقيق ولا جليل ، إنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه ، فلا بد له من عذر في تركه .

۞ وأعذار الأئمة ـ رحمهم الله ـ في ترك السنة هي : [٢]

الأول : عدم اعتقاد أن النبي ﷺ قاله ، وهذا له أسباب :

ـ أن لا يكون الحديث قد بلغه ، ومن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالماً بموجبه ، وإذا لم يكن قد بلغه ـ وقد قال في تلك القضية بموجب ظاهر آية أو

[١] أنظر : " أضواء البيان " للشنقيطي ٥٥٦/٧ـ٥٧٦ .
[٢] هذا الجزء مأخوذ من كتاب : " رفع الملام عن الأئمة الأعلام " لابن تيمية بتصرف يسير .

حديث آخر ، أو بموجب قياس ، أو موجب استصحاب ـ فقد يوافق ذلك الحديث تارة ، ويخالفه أخرى .

وهذا السبب : هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفاً لبعض الأحاديث .

فمن اعتقد أن كل حديث صحيح قد بلغ كل واحد من الأئمة ، أو إماماً معيناً فهو مخطئ خطأ فاحشاً قبيحاً .

ـ أن يكون الحديث قد بلغه ، لكنه لم يثبت عنده ، إما لأن محدثه ، أو محدث محدثه ، أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده ، أو متهم أو سيئ الحفظ .

ـ اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره ، مع قطع النظر عن طريق آخر ، سواء كان الصواب معه ، أو مع غيره ، أو معهما عند من يقول : { كل مجتهد مصيب } .

ـ اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره ، مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسنة ، واشتراط بعضهم أن يكون المحدث فقيهاً إذا خالف قياس الأصول ، واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره إذا كان فيما تعم به البلوى ، إلى غير ذلك مما هو معروف في مواضعه .

ـ أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكن نسيه .

الثاني : عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول ، ولهذا أسباب منها :

ـ عدم معرفته بدلالة الحديث ، فتارة لكون اللفظ الذي في الحديث غريباً عنده ومما يختلف العلماء في تفسيره ، وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي ﷺ ، وهو يحمله على ما يفهمه في لغته ، بناء على أن الأصل بقاء اللغة ، وتارة لكون اللفظ مشتركاً ، أو مجملاً ، أو متردداً بين حقيقة ومجاز فيحمله على الأقرب عنده ، وإن كان المراد هو الآخر .

ـ وتارة لكون الدلالة من النص خفية ، فإن جهات دلالات الأقوال متسعة جدا يتفاوت الناس في إدراكها ، وفهم وجوه الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه ، ثم قد يعرفها الرجل من حيث العموم ، ولا يتفطن لكون هذا المعنى داخلاً في ذلك العام .

ثم قد يتفطن له تارة ثم ينساه بعد ذلك ، وهذا باب واسع جداً لا يحيط به إلا الله ، وقد يغلط الرجل ، فيفهم من الكلام ما لا تحتمله اللغة العربية التي بعث الرسول ﷺ بها.

ـ اعتقاده أن لا دلالة في الحديث ، والفرق بين هذا وبين الذي قبله ، أن الأول لم يعرف جهة الدلالة .

والثاني عرف جهة الدلالة ، لكن اعتقد أنها ليست دلالة صحيحة ، بأن يكون له من الأصول ما يرد تلك الدلالة ، سواء كانت في نفس الأمر صواباً أو خطأ مثل أن يعتقد أن العام المخصوص ليس بحجة ، أو أن المفهوم ليس بحجة ، أو أن العموم الوارد على سبب مقصور على سببه ، أو أن الأمر المجرد لا يقتضي الوجوب ، أو لا يقتضي الفور ، أو أن المعرف باللام لا عموم له ، أو

أن الأفعال المنفية لا تنفي ذواتها ولا جميع أحكامها ، أو أن المقتضي لا عموم له فلا يدعي العموم في المضمرات والمعاني ، إلى غير ذلك مما يتسع القول فيه .

ـ اعتقاده أن تلك الدلالة قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة ، مثل معارضة العام بخاص ، أو المطلق بمقيد ، أو الأمر المطلق بما ينفي الوجوب أو الحقيقة بما يدل على المجاز إلى أنواع المعارضات ، وهو باب واسع أيضا فإن تعارض دلالات الأقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خضم .

ـ اعتقاده أن الحديث معارض بما يدل على ضعفه ، أو نسخه ، أو تأويله إن كان قابلاً للتأويل ، بما يصلح أن يكون معارضاً بالاتفاق مثل آية ، أو حديث آخر ، أو مثل إجماع .

وهذا نوعان : أحدهما : أن يعتقد أن هذا المعارض راجح في الجملة ، فيتعين أحد الثلاثة من غير تعيين واحد منها ، وتارة يعين أحدها ، بأن يعتقد أنه منسوخ أو أنه مؤول ، ثم قد يغلط في النسخ فيعتقد المتأخر متقدماً ، وقد يغلط في التأويل بأن يحمل الحديث على ما لا يحتمله لفظه ، أو هناك ما يدفعه وإذا عارضه من حيث الجملة ، فقد لا يكون ذلك المعارض دالاً ، وقد لا يكون الحديث المعارض في قوة الأول إسناداً أو متنا .

فهذه الأسباب وغيرها أكثر ما يُعذر الأمام بمخالفته الحديث من أجله ، وهي في الحقيقة أسباب اختلافهم ـ رحمه الله ـ .

۞ وإذا تقرر هذا ، فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم ، إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم ، إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية ، فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأي العالم .

والدليل الشرعي يمتنع أن يكون خطأ إذا لم يعارضه دليل آخر ، ورأي العالم ليس كذلك .

ولو كان العمل بهذا التجويز جائزاً ، لما بقي في أيدينا شيء من الأدلة التي يجوز فيها مثل هذا ، لكن الغرض : أنه في نفسه قد يكون معذوراً في تركه له ونحن معذورون في تركنا لهذا الترك ، وقد قال سبحانه : { ت**لك أمة قد خلت لها ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون** } البقرة : ١٣٤، وقال سبحانه :{ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** } النساء : ٥٩ .

وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقول أحد من الناس ، كما قال ابن عباس ﷺ لرجل سأله عن مسألة فأجابه فيها بحديث ، فقال له : " قال أبو بكر وعمر" ، فقال ابن عباس : " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟! " .

وإذا كان الترك يكون لبعض هذه الأسباب ، فإذا جاء حديث صحيح فيه تحليل أو تحريم أو حكم ، فلا يجوز أن يعتقد أن التارك له من العلماء الذين

وصفنا أسباب تركهم يعاقب ، لكونه حلل الحرام ، أو حرم الحلال ، أو حكم بغير ما أنزل الله .

وكذلك إن كان في الحديث وعيد على فعل من لعنة أو غضب أو عذاب ونحو ذلك ، فلا يجوز أن يقال : إن ذلك العالم الذي أباح هذا ، أو فعله داخل في هذا الوعيد .

فمن لم يبلغه الحديث المحرم ، واستند في الإباحة إلى دليل شرعي ، أولى أن يكون معذوراً .

ولهذا كان هذا مأجوراً محموداً لأجل اجتهاده ، قال الله سبحانه : { **وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما** } الأنبياء ٧٨ـ٧٩ ، فاختص سليمان بالفهم ، وأثنى عليهما بالحكم والعلم .

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص ﷺ : أن النبي ﷺ قال : " **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر** " .

فتبين أن المجتهد مع خطئه له أجر ، وذلك لأجل اجتهاده ، وخطؤه مغفور له ، لأن أدرك الصواب في جميع أعيان الأحكام ، إما متعذر أو متعسر ، وقد قال تعالى : { **وما جعل عليكم في الدين من حرج** } الحج : ٧٨ ، وقال تعالى : { **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** } البقرة : ١٨٥ .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه عام الخندق : " **لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة** " ، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فقال

بعضهم : لا نصلي إلا في بني قريظة ، وقال بعضهم : لم يرد منا هذا ، فصلوا في الطريق ، فلم يعب النبي ﷺ واحدة من الطائفتين .

۞ ثم أن الأئمة متفقون على منع تقليدهم ، التقليد الأعمى الذي يتعصب له من يدعو أنهم أتباعهم ، ويتمسكون بمذاهبهم وأقوالهم كما لو كانت نزلت من السماء ، والله عز وجل يقول : { **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه من أولياء قليلاً ما تذكرون** } الأعراف : ٣ .

وإليك أخي القارئ ما وقفنا عليه من أقوالهم ـ رحمهم الله ـ في ذلك : [٣]

١ ـ الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ :

فأولهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ـ رحمه الله ـ وقد روي عنه أصحابه أقوالاً شتى ، وعبارات متنوعة ، كلها تؤدي إلى شئ واحد وهو : وجوب الأخذ بالحديث ـ وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة له فقال :

ـ " إذا صح الحديث فهو مذهبي " .

ـ " لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه " .

ـ " حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي " .

ـ وفي رواية " فإننا بشر ، نقول القول اليوم ونرجع فيه غداً " .

ـ " إذا قلت قول يخالف كتاب الله تعالى وخبر رسول الله ﷺ فاتركوا قولي ".

[٣] أنظر : " مقدمة صلاة النبي ﷺ " للعلامة الألباني (ص : ٤٦ـ٥٧) .

٢ ـ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ :

وأما الإمام مالك ـ رحمه الله ـ فقال :

ـ " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه " .

ـ " ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ﷺ " .

ـ وقال ابن وهب :

" سمعت عمي يقول : سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء ، فقال : ليس ذلك على الناس .

قال : فتركته حتى خف على الناس ، فقلت له : عندنا في ذلك سنة .

فقال : وما هى ؟ قلت : حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن المستورد بن شداد القرشي قال " رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه "

فقال : إن هذا الحديث حسن ، وما سمعت به قط إلا الساعة ، ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيأمر بتخليل الأصابع " . [٤]

٣ ـ الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

[٤] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣١/١ .

وأما الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ فالنقول عنه ذي ذلك أكثر وأطيب ، وأتباعه أكثر عملاً بها وأسعد ، فمنها :

ـ " ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه ، فمهما قلت من قول ، أو أصلت فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت ، فالقول قول رسول الله ﷺ ، وهو قولي " .

ـ " أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد " .

ـ " إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا قولي " .

ـ " كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي " .

ـ " إذا رأيتمونى أقول قولاً ، وقد صح عن النبي ﷺ خلافه ، فاعلموا أن عقلي قد ذهب " .

٤ ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ :

وأما الإمام أحمد ، فهو أكثر الأئمة جمعاً للسنة وتمسكاً بها ، حتى " كان يكره وضع الكتب التى تشتمل على التفريع والرأي " ، ولذلك قال :

ـ لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثورى، وخذ من حيث أخذوا " .

ـ " من رد حديث رسول الله ﷺ ، فهو على شفة هلكة " .

ولقد نظم أحد الشعراء ما قاله الأئمة الأربعة في أرجوزة قصيرة فقال :

وقول أعلما الهدى لا يقبلُ ... بقولِ ما بدون نص يعملُ

فيه دليل الأخذ بالحديثِ ... وذاك في القديمِ والحديثِ

قال أبو حنيفة الإمامُ ... لا ينبغي لمن له إسلامُ

أخذاً بأقواليَ حتى تُعرضَ ... على الحديثِ والكتاب المرتضيَ

ومالكُ إمام دار الهجرةِ ... قال وقد أشار نحو الحجرةِ

كل كلام منه ذو قبولِ ... ومنه مردود سوى الرسولِ

والشافعي قال إن رأيتموا ... قولي مخالف لما رويتموا

من الحديث فاضربول الجدارَ ... بقول المخالف الأخبارَ

وأحمد قال لهم لا تكتبوا ... ما قلته والأصل ذاك فاطلبوا

فانظر ما قالت الهداة الأربعة ... واعمل به فإن فيه منفعة

لقمعها لكل ذي تعصبِ ... والمنصفون يكتفون بالنبي

📖 تلك هي اقوال الأئمة ـ رحمهم الله ـ في الامر بالتمسك بالحديث ، والنهي عن تقليدهم دون بصيرة ، وهى من الوضوح والبيان بحيث لا تقبل جدلاً ولا تأويلاً ، وعليه فإن من تمسك بكل ما ثبت في السنة ولو خالف بعض أقوال الأئمة ، لا يكون مبايناً لمذهبهم ، ولا خارجاً عن طريقتهم ، بل هو متبع

لهم جميعاً ، ومتمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وليس كذلك من ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم ، بل هو بذلك عاص لهم ، ومخالف لأقوالهم المتقدمة ، والله تعالى يقول : { **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** } النساء : ٦٥ .

وبعد أن استعرضنا موقفنا من الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ ، وما قالوه ، وكيف أنهم معذورون في مخالفتهم لسنة من سنن النبي ﷺ ، نستعرض مناقبهم وسيرهم ، وأحوالهم ـ رحمهم الله جميعاً ـ والتى دونها كثير من علماء المسلمين في كتبهم سواء كانت دونت في كتب الرجال ، أو أفرد لكل إمام منهم كتاب على حده .

ونبدأ بالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان فنقول وبالله التوفيق :

الإمام أبو حنيفة النعمان

(٨٠ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧ م)

عالم من العلماء . . .

وإمام من الأئمة . . .

وفقيه من الفقهاء . . .

أحد أركان الفقة الأربعة . . . .

عالم العراق ، وفقيه الملة . . . .

أحد السادة الأعلام . . .

وأحد أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة . . .

هو من سمي بالإمام الاكبر ، و تلك التسمية لم تأت من فراغ ، بل كان الرجل جديراً بها ، و لا تعنى عصمته من الزلل ، و إنما تدل على مدى وجاهته وعطائه العلمى .

هو : أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي ، الكوفي ، مولى بني تيم الله بن ثعلبة ، يقال : إنه من أبناء الفرس ، ولد سنة " **ثمانين** " ، في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة .

ولم يثبت له حرف عن أحد منهم . [٥]

[٥] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩١/٦ .

قال أحمد العجلي :

" أبو حنيفة تيمى من رهط حمزة الزيات ، وكان خزازا يبيع الخز " .[٦]

وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة :

أما (**زوطى**) فإنه من أهل كابل ، وولد ثابت علي الاسلام . . .

وكان زوطى مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتق ، فولاؤه لهم ، ثم لبني قفل

قال : وكان أبو حنيفة خزازاً ، ودكانه معروف في دار عمرو ابن حريث.[٧]

وعن أحمد بن عبيد الله بن شاذان المروزي قال :

" حدثني أبي عن جدي قال : سمعت إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يقول أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار ، والله ما وقع علينا رق قط ، ولد جدي في سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب ﷺ وهو صغير ، فدعا له بالبركة فيه ، وفي ذريته ، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب الله ذلك لعلي بن أبي طالب ﷺ فينا " .[٨]

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" عني بطلب الآثار ، وارتحل في ذلك ، وأما الفقه ، والتدقيق في الرأي و

[٦] الخز : القماش والثياب .
[٧] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٤/٦ .
[٨] أنظر : " تهذيب الكمال " للحافظ المزي ٤٢٣/٢٩ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ٣٢٦/١٣ .

غوامضه ، فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك " .[٩]

قال ابن خلكان :

" كان أبو حنيفة حسن الوجه ، حسن المجلس ، شديد الكرم ، حسن المواساة لإخوانه ، وكان ربعة من الرجال ـ متوسط الطول ـ ، وقيل : كان طوالاً تعلوه سمرة ، أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نغمة " .[١٠]

وقال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" **وعن أبي يوسف ـ تلميذ أبو حنيفة ـ قال** : كان أبو حنيفة ربعة ، من أحسن الناس صورة ، وأبلغهم نطقا ، وأعذبهم نغمة ، وأبينهم عما في نفسه " .

وعن حماد بن أبي حنيفة قال : كان أبي جميلاً ، تعلوه سمرة ، حسن الهيئة كثير التعطر ، هيوباً ، لا يتكلم إلا جواباً ، ولا يخوض ـ رحمه الله ـ فيما لا يعنيه .

وعن ابن المبارك قال : " ما رأيت رجلاً أو قر في مجلسه ، ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة " .[١١]

وقال عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة : " رأيت أبا حنيفة شيخاً يفتي الناس بمسجد الكوفة ، على رأسه قلنسوة سوداء طويلة " .

وعن النضر بن محمد قال :

[٩] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٢/٦ .
[١٠] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤٠٩/٥ .
[١١] أنظر: " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٠٠/٦ .

" كان أبو حنيفة جميل الوجه ، سري الثوب ، عطر الريح ، أتيته في حاجة وعلى كساء قرمسي ، فأمر بإسراج بغله ، وقال : أعطني كساءك وخذ كسائي ففعلت .

فلما رجع قال : يا نضر خجلتني بكسائك ، هو غليظ .

قال : وكنت أخذته بخمسة دنانير .

ثم إني رأيته وعليه كساء قومته ثلاثين ديناراً " . [١٢]

[١٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٩/٦ .

طلبه للعلم ـ رحمه الله ـ

📖 بدأ الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ في طلب العلم وعمره لا يتجاوز الثانية عشر ، وتتلمذ على يد عالم عصره " **حماد بن أبي سليمان** " ، وتخرج عليه في الفقه ، ومكث معه ثمانية عشر عاماً ، و استمر معه إلى أن مات .

قال أحمد بن عبد الله العجلي :

" حدثني أبي قال : قال أبو حنيفة : قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شئ إلا أجبت فيه ، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب ، فجعلت على نفسي ألا أفارق حماداً حتى يموت ، فصحبته ثماني عشرة سنة " . [١٣]

وعن زفر بن الهذيل قال :

" سمعت أبا حنيفة يقول : كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغا يشار إلي فيه بالأصابع ، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان ، فجاءتني امرأة يوماً فقالت لي : رجل له امرأة أمة ، أراد أن يطلقها للسِنة ـ للفقر ـ ، كم يطلقها ؟ فلم أدرما أقول .

فأمرتها أن تسأل حماداً ، ثم ترجع تخبرني .

فسألته ، فقال : يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين ، فإذا اغتسلت فقد حلت للازواج .

[١٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٨/٦ .

فرجعت فأخبرتني ، فقلت: لا حاجة لي في الكلام ، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد ، فكنت أسمع مسائله ، فأحفظ قوله ، ثم يعيدها من الغد فأحفظها ، ويخطئ أصحابه .

فقال : لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبى حنيفة .

فصحبته عشر سنين .

ثم نازعتني نفسي لطلب للرئاسة ، فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي .

فخرجت يوماً بالعشي ، وعزمي أن أفعل ، فلما رأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجاءه تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة ، وترك مالاً وليس له وارث غيره .

فأمرني أن أجلس مكانه ، فما هو إلا أن خرج حتى وردت علي مسائل لم أسمعها منه ، فكنت أجيب وأكتب جوابي ، فغاب شهرين ثم قدم ، فعرضت عليه المسائل ، وكانت نحواً من ستين مسألة ، فوافقني في أربعين ، وخالفني في عشرين ، فآليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت " . [١٤]

وعن أبي يوسف قال :

" قال أبو حنيفة : لما أردت طلب العلم ، جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها .

[١٤] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٦/٣٩٧-٣٩٨ ، و : " تهذيب الكمال " للمزي ٢٩/٤٢٤ .

فقيل : تعلم القرآن .

فقلت : إذا حفظته فما يكون آخره ؟ قالوا : تجلس في المسجد فيقرأ عليك الصبيان والأحداث ، ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك فتذهب رئاستك .

قال : قلت : فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني ؟

قالوا : إذا كبرت وضعفت ، حدثت واجتمع عليك هؤلاء الأحداث والصبيان ثم لم تأمن أن تغلط، فيرموك بالكذب ، فيصير عاراً عليك في عقبك .

فقلت : لا حاجة لي في هذا .

ثم قال : قلت : أتعلم النحو .

فقلت: إذا حفظت النحو والعربية ، ما يكون آخر أمري ؟ قالوا : تقعد معلما فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة .

قلت : وهذا لا عاقبة له .

قلت : فإن نظرت في الشِعر فلم يكن أحد أشعر مني ؟ قالوا : تمدح هذا فيهب لك ، أو يخلع عليك ، وإن حرمك هجوته .

قلت : لا حاجة فيه .

قال : قلت : فإن تعلمت الفقه ؟ قالوا : تسأل وتفتي الناس ، وتطلب للقضاء ، وإن كنت شاباً قلت : ليس في العلوم شئ أنفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمته " [١]

وعن سعيد بن سالم البصري قال :

" سمعت أبا حنيفة يقول : لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء ، فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، قلت : نعم ، قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً بذنب ، قال فقال لي عطاء : عرفت فالزم " . [٢]

وعن أبو مطيع قال :

" قال أبو حنيفة : دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي : يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم ؟

قال : قلت : عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس .

قال : فقال أبو جعفر : بخ بخ ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين " . [٣]

[١] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٢٤/٢٩ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ٣٣١/١٣-٣٣٢ .
[٢] " تاريخ بغداد " ٣٣٤/١٣ .
[٣] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٣٤/١٣ .

شيوخه وتلاميذه ـ رحمه الله ـ

📖 تعلم الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ العلم على يد كثير من المشايخ والعلماء الثقات ، ولعل أهمم " **حماد بن سليمان** " وهو شيخه الأول . . .

وتعلم العلم أيضاً من " **عطاء بن أبي رباح** " ، وهو أكبر شيخ له ، وأفضلهم ، على ما قال هو .

وأخذ العلم عن : الشعبي ، وعن جبلة بن سحيم ، وعدى بن ثابت ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعمرو بن دينار ، وأبي سفيان طلحة بن نافع ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وقيس بن مسلم ، وعون بن عبد الله بن عتبة ، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، ومحارب بن دثار ، وعبد الله بن دينار ، والحكم بن عتيبة ، وعلقمة بن مرثد ، وعلي بن الاقمر ، وعبد العزيز بن رفيع ، وعطية العوفي ، وحماد بن أبي سليمان وبه تفقه.

وأيضاً : زياد بن علاقة ، وسلمة بن كهيل ، وعاصم بن كليب ، وسماك بن حرب ، وعاصم ابن بهدلة ، وسعيد بن مسروق ، وعبد الملك بن عمير ، وأبي جعفر الباقر ، وابن شهاب الزهري ، ومحمد بن المنكدر ، وأبي إسحاق السبيعي ، ومنصور ابن المعتمر ، ومسلم البطين ، ويزيد بن صهيب الفقير ،

وأبي الزبير ، وأبي حصين الاسدي ، وعطاء بن السائب ، وناصح المحلمي ، وهشام بن عروة ، وخلق سواهم .

وحدث عنه خلق كثير ، ذكر منهم " الحافظ المزي " في تهذيبه على المعجم وهم : إبراهيم بن طهمان عالم خراسان ، وأبيض بن الاغر بن الصباح المنقري ، وأسباط بن محمد ، وإسحاق الازرق ، وأسد بن عمرو البجلي ، وإسماعيل بن يحيى الصيرفي ، وأيوب بن هانئ ، والجارود بن يزيد النيسابوري ، وجعفر بن عون ، والحارث بن نبهان ، وحيان بن علي العنزي والحسن بن زياد اللؤلؤي ، والحسن بن فرات القزاز ، والحسين بن الحسن ابن عطية العوفي ، وحفص بن عبدالرحمن القاضي ، وحكام بن سلم ، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله ، وابنه حماد بن أبي حنيفة ، وحمزة الزيات وهو من أقرانه وخارجة بن مصعب ، وداود الطائي ، وزفر بن الهذيل التميمي الفقيه ، وزيد بن الحباب ، وسابق الرقي ، وسعد بن الصلت القاضي ، وسلم بن سالم البلخي وسليمان ابن عمرو النخعي ، وسهل بن مزاحم ، وشعيب بن إسحاق والصباح بن محارب ، والصلت بن الحجاج ، وأبو عاصم النبيل ، وعامر بن الفرات ، وعائذ ابن حبيب ، وعباد بن العوام ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن يزيد المقرئ ، وأبو يحيى عبدالحميد الحماني ، و عبد الرزاق ، وعبد العزيز بن خالد ترمذي ، وعبد الكريم بن محمد الجرجاني ، و عبدالمجيد بن أبى رواد ، وعبيد الله بن الزبير القرشي ، وأبو نعيم ، والفضل بن موسى ، والقاسم بن الحكم العرني ، والقاسم بن معن ، وقيس بن الربيع ، ومحمد بن أبان العنبري

كوفي ، ومحمد بن بشر ، ومحمد بن الحسن بن أتش ، والقاضي أبو يوسف وهو أكبر تلاميذه ، والذي نشر علمه وفقهه " . [١]

علمه وفقهه ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام ـ رحمه الله ـ أيه من آيات الله تعالى في علوم الفقه . وما يتعلق به . .

قوي الحجة ، سريع البديهه . . .

الناس عيال عليه في الفقه . . .

ولقد أسس ـ رحمه الله ـ مذهباً فقهياً خاصاً يسير عليه إلى الآن نسبة كبيرة من المسلمين خواصهم وعوامهم . . . .

ومذهبه ـ رحمه الله ـ أحد المذاهب الأربعة المتبوعة ، والتى يُرجع إليها في كافة القضايا التي تتعلق بالدين الإسلامي الحنيف .

عن أحمد بن الصباح قال :

" سمعت الشافعي قال : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟

قال : نعم .

---

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦/٣٩٢ـ٣٩٤ ، وستأتي ترجمه " أبي يوسف القاضي " وما حدث معه ومع الإمام أبو حنيفة في آخر الكتاب بإذن الله .

رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته " . [١]

وعن ضرار بن صرد قال :

" سئل يزيد بن هارون : أيما أفقه ، أبو حنيفة ، أو سفيان ؟ قال : سفيان أحفظ للحديث ، وأبو حنيفة أفقه " . [٢]

وعن يحيى بن معين قال :

" كان أبو حنيفة ثقة ، لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ " . [٣]

وعن أحمد بن مزاحم قال :

" سمعت عبد الله بن المبارك يقول : رأيت أعبد الناس ، ورأيت أورع الناس ورأيت أعلم الناس ، ورأيت أفقه الناس ، فأما أعبد الناس : فعبد العزيز بن أبي رواد ، وأما أورع الناس : فالفضيل بن عياض ، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري ، وأما أفقه الناس فأبو حنيفة ، ثم قال : ما رأيت في الفقه مثله " . [٤]

وعن ابن داود قال :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٣٩٩/٦ ، و " تاريخ بغداد " ١١٤/١٠ .
[٢] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٢٩/٢٩ .
[٣] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٥/٦
[٤] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٠/٢٩ .

" إذا أردت الآثار ، أو قال : الحديث ، وأحسبه قال : والورع فسفيان ، وإذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة " . [١]

وعن محمد بن بشر قال :

" كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان ، فآتى أبا حنيفة فيقول لي : من أين جئت ؟ فأقول : من عند سفيان ، فيقول : لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود ـ أحد علماء الإسلام ـ حضرا لاحتاجا إلى مثله . .

فأتي سفيان فيقول : من أين جئت ؟ فأقول : من عند أبي حنيفة ، فيقول : لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض " . [٢]

وعن حرملة بن يحيى قال :

" سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول : الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ـ قال : وسمعته يعني الشافعي يقول : كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ـ ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى ، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان " . [٣]

وعن محمد بن مقاتل قال :

[١] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣١/٢٩ .
[٢] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣١/٢٩ .
[٣] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٤/٢٩ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب ١١٤/١٠ .

" سمعت ابن المبارك قال : إن كان الأثر قد عرف واحتيج إلى الرأي فرأي مالك وسفيان وأبي حنيفة ، وأبو حنيفة أحسنهم وأدقهم فطنة ، وأغوصهم على الفقه ، وهو أفقه الثلاثة " . [١]

وعن النضر بن شميل قال :

" كان الناس نياماً عن الفقه ، حتى أيقظهم أبو حنيفة ، بما فتقه ، وبينه ، و لخصه " . [٢]

وعن عن النضر بن محمد قال :

" دخل قتادة ـ عالم كبير ـ الكوفة ، ونزل في دار أبي بردة ، فخرج يوماً وقد اجتمع إليه خلق كثير ، فقال قتادة : والله الذي لا إله إلا هو ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته ، فقام إليه أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً ، فظنت امرأته أن زوجها مات فتزوجت ثم رجع زوجها الأول ، ما تقول في صداقها ؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه : لئن حدث بحديث ليكذبن ، ولئن قال برأي نفسه ليخطئن .

فقال قتادة : ويحك ! أوقعت هذه المسألة ؟

قال : لا ، قال : فلم تسألني عما لم يقع ؟

قال أبو حنيفة : إنا نستعد للبلاء قبل نزوله ، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه .

[١] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٤٣/١٣ .
[٢] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٤٥/١٣ .

قال قتادة : والله لا أحدثكم بشيء من الحلال والحرام ، سلوني عن التفسير فقام إليه أبو حنيفة فقال : له يا أبا الخطاب ما تقول في قول الله عز وجل : { **قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد إليك طرفك** } ، قال : نعم هذا آصف بن برخيا بن شمعيا كاتب سليمان بن داود ، كان يعرف اسم الله الأعظم .

فقال أبو حنيفة : هل كان يعرف الاسم سليمان ؟

قال : لا ، قال : فيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي ؟

قال : فقال قتادة : والله لا أحدثكم بشيء من التفسير ، سلوني عما اختلف فيه العلماء ، قال : فقام إليه أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب أمؤمن أنت ؟

قال : أرجو .

قال : ولم لم تقل كما إبراهيم عليه السلام : { **والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** } ، فقال أبو حنيفة : فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه السلام : { **قال أولم تؤمن قال بلى** } ، فهلا قلت بلى .

قال : فقام قتادة مغضباً ودخل الدار وحلف أن لا يحدثهم " . [١]

وقال ابن شبرمة :

" كنت شديد الإزراء ـ التنقيص ـ على أبي حنيفة ، فحضرالموسم ـ الحج ـ وكنت حاجاً يومئذ ، فاجتمع إليه قوم يسألونه ، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا فجاءه رجل فقال : يا أبا حنيفة قصدتك أسألك عن أمر أهمني وأزعجني ، قال

[١] والقصة موجودة في : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٤٨/١٣-٣٤٩ .

وما هو ؟ قال : لي ولد وليس لي غيره ، فإن زوجته طلق ، وإن سريته أعتق ـ وهبته جارية أعتقها ـ ، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة ؟

قال له : نعم ، اشتر الجارية التي يرضاها لنفسه ثم زوجها منه ، فإن طلق رجعت إليك مملوكتك ، وإن أعتق أعتق ما لايملك ، وإن ولدت ثبت نسبه لك فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ ، وكففت عن ذكره إلا بخير " . [١]

وعن عبد الرزاق قال :

" كنت عند معمر فأتاه بن المبارك فسمعنا معمراً يقول : ما أعرف رجلاً يحسن يتكلم في الفقه ، أو يسعه ، أو يقيس ويشرح لمخلوق النجاة في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة ، ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله شيئا من الشك من أبي حنيفة " . [٢]

وعن الحسن بن زياد اللؤلؤي قال :

" كانت ها هنا امرأة يقال لها " أم عمران " مجنونة ، وكانت جالسة في الكناسة ، فمر بها رجل فكلمها بشيء فقالت له : يا ابن الزانيين ، وابن أبي ليلى حاضر يسمع ذلك ، فقال للرجل : أدخلها على المسجد وأقام عليها حدين ، حدا لأبيه وحدا لأمه ، فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال : أخطأ فيها في ستة مواضع ، أقام الحد في المسجد ولا تقام الحدود في المساجد ، وضربها قائمة والنساء يضربن قعوداً ، وضرب لأبيه حداً ولأمه حداً ، ولو أن رجلا قذف جماعة كان عليه حد واحد ، وجمع بين حدين ولا يجمع بين حدين حتى يخف أحدهما ، والمجنونة ليس عليها حد .

[١] " أنظر : " وفيات الاعيان " لابن خلكان ٤١١/٥ .
[٢] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٣٩/١٣ .

فبلغ ذلك بن أبي ليلى فدخل على الأمير فشكى إليه وحجر على أبي حنيفة وقال : لا يفتي ، فلم يفتي أياماً حتى قدم رسول من ولي العهد فأمر أن يعرض على أبي حنيفة مسائل حتى يفتي فيها .

فأبي أبو حنيفة وقال : أنا محجور علي ، فذهب الرسول إلى الأمير فقال الأمير : قد أذنت له فقعد فافتى " . [١]

مناظراته ـ رحمه الله ـ

📖 مما اشتهر به الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ وعرف به أنه كان قوي الحجة فائق الذكاء ، لا يدانيه أحد في ذلك . . .

وكان يمتاز ـ رحمه الله ـ بمناظراته القوية لأهل الباطل والضلال ، فكم من مبتدع ناظره وتغلب عليه . . .

وكم من زنديق مارق دحض حجته وتفوق عليه . . .

فلا يستطيع أحد أن يتفوق عليه في المناظرة ، وهذا لا شك نتاج علم وافر غزير تحلى به الإمام ـ رحمه الله ـ . . .

ولقد يسر الله لى أن أجمع بعض من هذه المناظرات من هنا وهناك ، وأن أقوم بذكرها في هذا الكتاب ، حتى تستشعر معي أخي القارئ مدي علم هذا الإمام وذكائه ، ومدى فضله ـ رحمه الله ـ . . .

[١] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥١/١٣ .

يا إمام هل رأيت ربك ؟!

جاء زنديق إلى الإمام أبى حنيفة وقال : يا إمام : هل رأيت ربك ؟

قال الإمام : سبحان الله ، ربى لا تدركه الأبصار .

قال الزنديق : فهل سمعته ؟هل أحسسته ؟ هل شممته ؟ هل لمسته ؟

فقال الإمام : سبحان ربى ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

فقال الزنديق : إن لم تكن رأيته ولا أحسسته ولا شممته ولا لمسته ، فكيف ثبت أنه موجود ؟

قال الإمام : هل رأيت عقلك ؟

قال : لا .

قال الإمام : فهل أحسست عقلك ؟

قال : لا

فقال الإمام : فهل سمعت عقلك ؟

قال : لا .

فقال الإمام : فهل لمست عقلك ؟

قال : لا .

فقال الإمام : أعاقل أنت أم مجنون ؟!

قال : الزنديق : بل عاقل !

فقال الإمام : فأين عقلك ؟

قال الزنديق : موجود .

فقال الإمام : كذلك الله موجود ، الله فوق كل شئ ، وليس تحته شئ ، وهو في كل شئ ـ بعلمه وإحاطته ـ ، لا كشئ في شئ ، وليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير . [١]

هل يجوز ذلك في العقل ؟!

كان الإمام أبو حنيفة جالساً يوما في مجلسه ، إذ انقضت عليه فرقة من الزنادقة يريدون أن يقتلوه ، ولكن أبا حنيفة طلب إليهم في ذلك الموقف العصيب أن يجيبوه عن مسألة يعرضها عليهم ، ثم يفعلوا به ما يريدون .

قال لهم : أجيبوني عن مسألة ، ثم افعلوا ما شئتم .

قالوا له : هات .

قال أبو حنيفة : ما تقولون في رجل يقول لكم : إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ، مملوءة بالأثقال ، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك في العقل ؟!

قالوا : لا ، هذا شئ لا يقبله العقل .

---

[١] أنظر : " من قصص الصالحين " لمصطفى مراد .

قال أبو حنيفة : يا سبحان الله ! إذا لم يجز في العقل أن تجرى سفينة في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على أختلاف أحوالها ، وتغير أعمالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ ؟!

فلم يملكوا أمام هذا المنطق إلا أن يقولا : صدقت .

أتريد أن أزوج ابنتي من يهودي ؟!

يروى أن رجلاً من أهل الكوفة ، وكان ذا قدر في عيون بعض الناس ، وصاحب كلمة مسموعة لديهم ، وكان الرجل يزعم للناس فيما يزعمه لهم أن **"عثمان بن عفان "** كان يهوديا في أصله ، وأنه ظل على يهوديته بعد الإسلام أيضاً .

فلما سمع أبو حنيفة مقالته هذه مضى إليه وقال : لقد جئتك خاطباً ابنتك فلانة لأحد اصحابى.

فقال : أهلا بك ومرحباً ، إن مثلك لا ترد له حاجة يا أبا حنيفة ، ولكن من الخاطب ؟

فقال : رجل موسوم ـ معروف ـ بين قومه بالشرف والغنى ، سخي اليد ، مبسوط الكف ، حافظ لكتاب الله عز وجل ، يقوم الليل كله في ركعة ، كثير البكاء من خوف الله تعالى .

فقال الرجل : بخ بخ ، حسبك يا أبا حنيفة ، إن بعض ما ذكرته من صفات الخاطب ، يجعله كفئاً لبنت أمير المؤمنين .

فقال أبو حنيفة : غير أن فيه خصلة لا بد من أن تقف عليها .

قال : وما هي ؟!

قال : إنه يهودي .

فانتفض الرجل وقال : يهودي ؟! ، أتريد أن أزوج ابنتي من يهودي يا أبا حنيفة ؟!

فقال أبو حنيفة : تأبى أن تزوج ابنتك من يهودي ، وتنكر ذلك أشد الإنكار ، ثم تزعم أن رسول الله ﷺ زوج ابنتيه كلتيهما من يهودي !!

فعرت الرجل رعدة وقال : أستغفر الله من قول سوئ قلته ، وأتوب إلى الله من فرية أفتريتها . [1]

تب يا أبا حنيفة !

جاء أحد الخوارج واسمه **" الضحاك الشاري "** إلى أبى حنيفة ذات يوم وقال : تب يا أبا حنيفة !

فقال : مما أتوب ؟!

فقال الخارجي : من قولك بجواز التحكيم الذي جرى بين على وبين معاوية .

[1] والقصة موجودة في : " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي .

فقال أبو حنيفة : ألا تقبل أن تناظرني في هذا الأمر ؟

فقال الخارجي : بلى .

فقال أبو حنيفة : فإن اختلفنا في شئ مما نتناظر فيه ، من يحكم بيننا ؟

فقال الخارجي : حكم من تشاء .

فالتفت أبو حنيفة إلى رجل من أصحاب الخارجي كان معه ، وقال : احكم بيننا فيما نختلف فيه . .

ثم قال للخارجي : أنا رضيت بصاحبك فهل ترى أنت به ؟

فسر الخارجي وقال : نعم .

فقال أبو حنيفة : ويحك ! أتجوز التحكيم فيما يشجر بيني وبينك ، وتنكره على اثنين من صحابة رسول الله ﷺ ؟!

فبهت الخارجي ، ولم يحر جواباً .

سل ما بدا لك

جاء جهم بن صفوان ـ رأس الفرقة الجهمية الضالة المبتدعة ـ ، وزارع الشر في أرض الإسلام ، جاء مرة أبا حنيفة وقال : لقد أتيتك لأكلمك في شئ هيأتها لك . .

فقال أبو حنيفة : الكلام معك عار ، والخوض فيما تذهب إليه نار تلظى .

فقال جهم : كيف حكمت على بما حكمت ، وأنت لم تلقني من قبل ، ولم تسمع كلامي ؟!

فقال أبو حنيفة : لقد بلغتني عنك أقاويل لا تصدر عن رجل من أهل القبلة .

فقال جهم : أتحكم على بالغيب ؟

فقال أبو حنيفة : لقد شهر ذلك عنك واستفاض ، وعرفته العامة والخاصة ، فجاز لي أن أثبته عليك بما تواتر عنك .

فقال جهم : أنا لا أريد أن أسألك إلا عن الإيمان .

فقال أبو حنيفة : أو لم تعرف الإيمان إلى هذه الساعة حتى تسألني عنه ؟!

فقال جهم : بلى ، ولكني شككت في نوع منه .

فقال أبو حنيفة : الشك في الإيمان كفر .

فقال جهم : لا يحل لك أن تصمني بالكفر ، إلا إذا سعت منى ما يكفر .

فقال أبو حنيفة : سل ما بدا لك .

فقال جهم : أخبرني عن رجل عرف الله بقلبه ، وعلم أنه واحد لا شريك له ، ولا ند ، وعرف بصفاته ، وأنه ليس كمثله شئ ، ثم مات ولم يعلن الإيمان بلسانه ، أفيموت مؤمناً أم كافراً ؟

فقال أبو حنيفة : يموت كافراً ، ويكون من أهل النار ، إذا لم يصرح بلسانه عما عرفه بجنانه ، ما لم يمنعه من التصريح باللسان مانع .

فقال جهم : كيف لا يكون مؤمناً ، وقد عرف الله حق معرفته ؟!

فقال أبو حنيفة : إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به ، وإن كنت لا تؤمن بالقرآن ولا تراه حجة ، كلمتك بما نكلم من خالف الإسلام .

فقال جهم : بل أومن بالقرآن ، وأجعله حجة .

فقال أبو حنيفة : إن الله تبارك و تعالى جعل الإيمان بجارحتين اثنتين ، بالقلب واللسان لا بواحدة منهما ، وكتاب الله وحديث رسول الله ﷺ طافحن بتقرير ذلك ، قال تعالى : { **مَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ** } المائدة : ٨٣،٨٥ .

فهم عرفوا الحق بجنابهم ، ونطقوا به بلسانهم ، فأدخلهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار .

وقال تعالى : { **قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** } البقرة : ١٣٦ .

فأمرهم بالقول ، ولم يكتف منهم بالمعرفة والعلم .

وقال ﷺ : " **قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا** " .

فلم يجعل الفلاح بالمعرفة وحدها ، وإنما ضم إليها القول .

ولو كان القول لا يحتاج إليه ، ويكتفي بالمعرفة من دونه لكان إبليس مؤمناً ، لأنه عارف بربه ، فهو يعلم أنه هو الذي خلقه ، وهو الذي يميته ، وهو الذي يبعثه ، وهو الذي أغواه .

قال تعالى على لسانه : { **خلقتني من نار وخلقته من طين** } .

ولو كان ما تزعمه صحيحاً ، لكان كثير من الكفار مؤمنين بمعرفتهم لربهم مع إنكارهم له بلسانهم ، قال تعالى : { **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** } النمل : ١٤.

ومضى أبو حنيفة يتدفق على هذا النسق تارة بالقرآن ، وأخرى بالحديث حتى بدا الانبهار والخذلان على وجه " **جهم** " ، وانسل من بيد يدي أبى حنيفة وهو يقول : لقد أذكرتني شيئاً كنت ناسيه ، وسأرجع إليك ، ثم مضى إلى غير عودة . [١]

[١] أنظر : " صور من حياة التابعين " لعبد الرحمن رأفت الباشا .

ذكائه وفطنته ـ رحمه الله ـ

📖 كما قلنا عرف الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ بذكاء حاد ، وبفطنه بالغة وهذا ملاحظ من ما سبق في مناظراته مع أهل البدع والضلال . . . .

ولقد عقد الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في كتابه : " **الأذكياء** " فصل خاص بالإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ يظهر فيه مدي فطنه الإمام ، ومدي ذكائه في مواجهه المواقف التى تعرض له . . .

فعن محمد بن شجاع قال :

" سمعت علي بن عاصم يقول : لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم " . [1]

وها هي لمحات صغيرة من ذكاء الإمام وفطنته ـ رحمه الله ـ : . .

عن أبي يوسف القاضي ـ رحمه الله ـ قال :

" دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة ، فقال الربيع صاحب المنصور ـ وكان يعادي أبا حنيفة ـ : يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جدك ، كان عبد

[1] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٣/١٣ .

الله بن عباس ﷺ يقول : " إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بي ومين جاز الإستثناء " وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين .

فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة ، قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم ، فضحك المنصور وقال : يا ربيع ، لا تتعرض لأبي حنيفة.

فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط بدمي ، قال : لا ، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي " . [1].

وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك ، فدخل أبو حنيفة على المنصور " الخليفة " ، وكثر الناس ، فقال الطوسي : اليوم أقتل أبا حنيفة ، فأقبل عليه فقال : يا أبا حنيفة ، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو ، أيسعه أن يضرب عنقه ؟

فقال : يا أبا العباس ، أمير المؤمنين يأمر بالحق أم الباطل ؟

فقال : بالحق ، قال : أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه : إن هذا أراد أن يوثقني فربطته " . [2]

وعن محمد بن الحسن قال :

[1] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١٢/٥ .
[2] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١٢/٥ .

" دخل اللصوص على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يعلم أحداً ، قال : فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه ، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة ، فقال له أبو حنيفة أحضرني أمام حيك والمؤذن والمستورين منهم ، فأحضره إياهم ، فقال لهم أبو حنيفة : هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه ؟

قالوا : نعم ، قال : فاجمعوا كل ذي فاجر عندكم وكل متهم ، فأدخلوهم في دار أو في مسجد ، ثم أخرجوا واحداً واحداً فقولوا : هذا لصك ، فإن كان ليس بلصه ، وإن كان لصه فليسكت ، فإذا سكت فاقبضوا عليه ، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة فرد الله عليه جميع ما سرق منه " . [١]

وعن يحيى بن معين قال :

" دخل الخوارج مسجد الكوفة ، وأبو حنيفة وأصحابه جلوس ، فقال أبو حنيفة : لا تبرحوا ، فجاؤوا حتى وقفوا عليهم فقالوا لهم : ما أنتم ؟

فقال أبو حنيفة : نحن مستجيرون ، فقال أمير الخوارج : دعوهم وأبلغوهم مأمنهم ، واقرؤوا عليهم القرآن ، فقرؤوا عليهم القرآن وأبلغوهم مأمنهم " . [٢]

وعن يحيى بن جعفر قال :

[١] أنظر : " الأذكياء " لابن الجوزي .
[٢] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٦/١٣ .

" سمعت أبا حنيفة يقول : احتجت إلى ماء بالبادية فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم ، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة ، ثم قلت : يا أعرابي ما رأيك في السويق ؟

فقال : هات ، فأعطيته سويقاً ملتوياً بالزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال : شربة ، قلت : بخمسة دراهم ، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء ، فاستردت الخمسة وبقي معي الماء " . [١]

وحكى الحسن بن زياد قال :

" دفن رجل مالاً في موضع ، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه ، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه ، فقال له أبو حنيفة : ما هذا فقه فأحتال لك ، ولكن اذهب فصل الليلة .

ففعل الرجل ، ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره .

فقال له : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك ، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله عزوجل " . [٢]

وعن ابن الوليد قال :

" كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده فقال يوماً لأبي حنيفة : أني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة ، وقد

[١] أنظر : " الاذكياء " لابن الجوزي .
[٢] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١١/٥ .

خطبت إليهم وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي ، وقد تعلقت نفسي بالتزويج .

فقال أبو حنيفة : فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك ، فأجابهم إلى ما طلبوه ، فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة فقال له : أني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله فماذا ترى ؟

قال : احتل واقترض حتى تدخل بأهلك ، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم ، ففعل ذلك واقرضه أبو حنيفة فيمن اقرضه ، فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة : ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك ، فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش ، وأنه يريد حمل أهله معه ، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى ابن حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك ، فقال لهم أبو حنيفة : له أن يخرجها إلى حيث شاء .

قالوا له : ما يمكننا أن ندعها تخرج ، فقال لهم أبو حنيفة : فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه ، فأجابوه إلى ذلك ، فقال أبو حنيفة للفتى : أن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه ، فقال له الفتى وأنا أريد منهم شيئاً آخر فوق ذلك ، فقال أبو حنيفة : أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك ، وإلا أقرت المرأة لرجل يدين لا يمكنك أن تحملها ولا

تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين ، قال : فقال الرجل : الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيا فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر" .[1]

عبادته واجتهاده ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ كثير الاجتهاد في العبادة . . .

تالياً لكتاب الله جل وعلا . . . .

قوام بالليل ، صوام بالنهار . . . .

فعن أسد بن عمرو قال :

" صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة ، وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة " .[2]

---

[1] " الأذكياء " لابن الجوزي .
[2] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٢٩/٤٣٤ .

وقال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" وروى بشر بن الوليد عن القاضي أبي يوسف قال : بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلا يقول لآخر : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل .

فقال أبو حنيفة : والله لا يُتحدث عني بما لم أفعل .

فكان يحيى الليل صلاة وتضرعا ودعاء .

وقد روى من وجهين : أن أبا حنيفة قرأ القرآن كله في ركعة " . [١]

وعن يحيى بن عبدالحميد الحماني عن أبيه :

" أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر قال : فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة ، وكان يختم كل ليلة عند السحر " . [٢]

وقال أبو عاصم النبيل :

" كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته " .

وعن القاسم بن معن :

" أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى : { **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** } القمر : ٤٦ ، ويبكي ويتضرع إلى الفجر " . [٣]

وقال يزيد بن الكميت :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٩/٦ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " ٤٠٠/٦ .
[٣] " سير أعلام النبلاء " ٤٠١/٦ .

" كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا علي بن الحسن المؤذن ليلة العشاء الأخيرة سورة { **إذا زلزلت** } ، وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس ، فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بي ، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه ، وهو يقول : يا من يجزي بمثقال ذرة خيرً خيراً ، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً ، أجر النعمان عبدك من النار ، ومما يقرب منها من السوء ، وأدخله في سعة رحمتك.

قال : فأذنت ، وإذا القنديل يزهر وهو قائم ، فلما دخلت قال لي : تريد أن تأخذ القنديل ؟ قلت : قد أذنت لصلاة الغداة ، فقال : اكتم علي ما رأيت ، وركع ركعتين ، وجلس حتى أقمت الصلاة ، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل " . [١]

وعن مسعر بن كدام قال :

" دخلت ذات ليلة المسجد ، فرأيت رجلاً يصلي ، فاستمليت قراءته فقرأ سبعاً ، فقلت يركع ، ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة ، فنظرت فإذا هو أبو حنيفة " . [٢]

وعن عن أبي معاذ عن مسعر بن كدام قال :

[١] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١٢/٥ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٦/٢٩ .

" أتيت أبا حنيفة في مسجده ، فرأيته يصلى الغداة ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر ، ثم يجلس إلى العصر ، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب ، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلى العشاء ، فقلت في نفسي : هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة لأتعاهدنه الليلة .

قال : فتعاهدته ، فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ودخل منزله ولبس ثيابه وخرج إلى المسجد وصلى الغداة ، فجلس للناس إلى الظهر ثم إلى العصر ثم إلى المغرب ثم إلى العشاء ، فقلت في نفسي أن الرجل قد تنشط الليلة لأتعاهدنه الليلة ، فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج فانتصب للصلاة ، ففعل كفعله في الليلة الأولى ، فلما أصبح خرج إلى الصلاة وفعل كفعله في يوميه ، حتى إذا صلى العشاء قلت في نفسي : أن الرجل لينشط الليلة والليلة لأتعاهدنه الليلة ، ففعل كفعله في ليلتيه ، فلما أصبح جلس كذلك ، فقلت في نفسي : لألزمنه إلى أن يموت أو أموت ، قال : فلازمته في مسجده .

قال بن أبي معاذ : فبلغني أن مسعراً مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده " [1]

وعن خارجة بن مصعب قال :

" ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان ، وتميم الداري وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة " . [2]

[1] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٦/١٣ .
[2] " تاريخ بغداد " ٣٥٦/١٣ .

وعن أحمد بن يونس قال :

" سمعت زائدة يقول : صليت مع أبي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد ، وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يراني أحد ، قال : فقام فقرأ وقد افتتح الصلاة حتى بلغ إلى هذه الآية : { **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم** } ، فأقمت في المسجد أنتظر فراغه ، فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر " . [1]

وعن أبي الجورية قال :

" صحبت حماد بن أبي سليمان ، ومحارب بن دثار ، وعلقمة بن مرثد وعون بن عبد الله ، وصحبت أبا حنيفة ، فما كان في القوم رجل أحسن ليلاً من أبي حنيفة ، لقد صحبته أشهراً فما منها ليلة وضع فيها جنبه " . [2]

وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه قال :

" لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله ففعل ، فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك ، لم تفطر منذ ثلاثين سنة ، ولم يتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة ، وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء " . [3]

[1] " تاريخ بغداد " ٣٥٧/١٣ .
[2] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٥/١٣
[3] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٥/٢٩.

تقواه وورعه ـ رحمه الله ـ

كان الإمام أبوحنيفة ـ رحمه الله ـ تاجراً أميناً ورعاً ، و كان يبيع القماش ، و استمرت معه المهنة ، حتى أثر عنه بعدها من حرصه على الكسب الحلال أن كان يقول : " أفضل المال الكسب من الحلال ، وأطيب ما يأكله المرء من عمل يده " .

و نقف هنا مع هذا التاجر الصدوق لنستعرض أمانته وتقواه في تجارته ، وفي معاملته مع الناس . . . .

فقد روي : أنه جاءته امرأة بثوب من الحرير تبيعه له ، فقال : كم ثمنه ؟ قالت : مئة ، فقال : هو خير من مئة ، يعنى هو من يقول لها ارفعى الثمن فهو يستحق أكثر و لا يستغل الفرصة كتاجر ! ـ

فقالت : مئتين ، فقال : هو خير من ذلك ، حتى وصلت إلى أربع مئة ، فقال هو خير من ذلك ، قالت : أتهزأ بي ؟

فجاء برجل فاشتراه بخمسمائة ، يعنى هو من جاءها بالمشترى ابتغاء مرضاة الله ، و لم يأخذ نسبة على الوساطة .

وعن جعفر بن عون العمري قال :

" أتت امرأة أبا حنيفة تطلب منه ثوب خز ـ حرير ـ ، فأخرج لها ثوباً ، فقالت له : إني امرأة ضعيفة ، وإنها أمانة فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك ، فقال : خذيه بأربعة دراهم ، فقالت : لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة ، فقال : أني اشتريت ثوبين ، فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي هذا الثوب علي بأربعة دراهم " . [١]

وعن علي بن حفص البزاز قال :

" كان حفص بن عبد الرحمن شريك أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يجهز عليه فبعث إليه في رفقة بمتاع ، وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً ، فإذا بعته فبين عيبه ، فباع حفص المتاع ونسي أن يبين عيبه ، ولم يعلم ممن باعه ، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله " . [٢]

وعن مليح بن وكيع قال :

" حدثنا أبي قال : كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم ، فحلف فتصدق به ، ثم جعل على نفسه إن حلف ان يتصدق بدينار ، فكان إذا حلف صادقاً في عرض الكلام تصدق بدينار

---

[١] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦١/١٣ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمل " للمزي ٤٣٦/٢٩ .

وكان إذا انفق على عياله نفقة تصدق بمثلها ، وكان إذا اكتسى ثوباً جديداً كسى بقدر ثمنه الشيوخ العلماء ، وكان إذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه فوضعه على الخبز حتى يأخذ منه بقدر ضعف ما كان يأكل ، فيضعه على الخبز ثم يعطيه انساناً فقيراً ، فإن كان في الدار من عياله إنسان يحتاج إليه دفعه إليه وإلا أعطاه مسكيناً " . [١]

وعن مغيث بن بديل قال :

" قال خارجة بن مصعب : أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم فدعى ليقبضها ، فشاورني وقال : هذا رجل إن رددتها عليه غضب ، وإن قبلتها دخل علي في ديني ما أكره ، فقلت : إن هذا المال عظيم في عينه فإذا دعيت لتقبضها فقل : لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين .

فدعى ليقبضها ، فقال ذلك : فرفع إليه خبره فحبس الجائزة ، قال : فكان أبو حنيفة لا يكاد يشاور في أمره غيري " . [٢]

وعن محمد بن أبي عبد الرحمن المسعودي عن أبيه قال :

" ما رأيت أحسن أمانة من أبي حنيفة ، مات يوم مات وعنده ودائع بخمسين ألفا ما ضاع منها ولا درهم واحد " .

وعن يوسف السمتي :

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٨/١٣ .
[٢] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٨/٢٩ .

" أن أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات ، فقال يا أمير المؤمنين إني ببغداد غريب وليس لها عندي موضع فاجعلها في بيت المال ، فأجابه المنصور إلى ذلك ، قال : فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته ، فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة " . [١]

وعن مليح بن وكيع قال :

" سمعت أبي يقول : كان والله أبو حنيفة عظيم الأمانة ، وكان الله في قلبه جليلاً كبيراً عظيماً ، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله لأحتمل ، رحمه الله ورضي عنه رضى الأبرار فلقد كان منهم " . [٢]

وعن يزيد بن كميت :

" أنه سمع رجلا يقول لأبي حنيفة : اتق الله ، فانتفض ، واصفر، وأطرق ، وقال : جزاك الله خيراً " . [٣]

وعن عبد الله بن صهيب الكلبي قال :

كان أبو حنيفة النعمان بن ثابت يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

عطاء ذي العرش خير من عطائكم ... وسيبه واسع يرجي وينتظـــــــر

أنتم يكدر ما تعطون منكـــــــم ... والله يعطي بلا من ولا كـــــــدر [٤]

[١] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٩/١٣ .
[٢] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٨/١٣ .
[٣] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٠٠/٦.
[٤] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٨/١٣ .

أخلاقه ـ رحمه الله ـ

📖 كما تحلى الإمام ـ رحمه الله ـ بالتقوي والورع تحلى أيضاً بمكارم الأخلاق ومعاليها ، فكان سمحاً إذا باع وإذا اشتري ، معطاء يكرم أهل العلم والعلماء ، وينفق عليهم ابتغاء وجه الله تعالى . . .

متواضعاً لأصحابه ورفاقه وكافة الناس ، على الرغم من علمه ومكانته عند الخلق . . .

فعن عبد الله ابن المبارك قال :

" رأيت أبا حنيفة في طريق مكة ، وشوي لهم فصيل سمين ، فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل فتحيروا ، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة ، وسكب الخل على ذلك الموضع ،

فأكلوا الشواء بالخل ، فقالوا : تحسن كل شيء ، فقال : عليكم بالشكر ، فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم " . [١]

وقال علي بن عاصم :

" دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذه من شعره ، فقال للحجام : تتبع مواضع البياض ، فقال الحجام : لا تزد ، فقال : ولم ؟ قال : لأنه يكثر ، قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر ، وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال :

لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام " . [٢]

وعن الحسن بن الربيع قال :

" كان قيس بن الربيع يحدثني عن أبي حنيفة : انه كان يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة ، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم ، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم ، فيقول : أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله ، فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً ، ولكن من فضل الله علي فيكم ، وهذه أرباح بضائعكم فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حول لغيره " . [٣]

وقال عبد الله بن رجاء :

---

[١] " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١٠/٥ .
[٢] " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤٠٩/٥ .
[٣] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٠/١٣ .

" كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف ـ يصلح الأحذية ـ يعمل نهاره أجمع ، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله ، وقد حمل لحماً فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب ، حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغـــــــر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة ، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه ، فقيل : أخذه العسس ـ الشرطة ـ منذ ليال وهو محبوس ، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ ، وركب بغلته ، واستأذن على الأمير ، فقال الأمير ايذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ، ففعل ، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه ، وقال : ما حاجتك ؟

فقال : لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال ، يأمر الأمير بتخليته ، فقال : نعم ، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ، فأمر بتخليتهم أجمعين ، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال يا فتى أضعناك .

فقال : لا ، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق ، وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه " . [١]

وعن الحسن بن زياد قال :

[١] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١٠/٥ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٢/١٣ .

" رأى أبو حنيفة على بعض جلسائه ثياباً رثة ، فأمره فجلس حتى تفرق الناس وبقي وحده فقال له : ارفع المصلى وخذ ما تحته ، فرفع الرجل المصلى فكان تحته ألف درهم ، فقال له : خذ هذه الدراهم فغير بها من حالك .

فقال الرجل : إني موسر ـ غني ـ وأنا في نعمة ولست أحتاج إليها ، فقال له أما بلغك الحديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك " . [١]

وعن حفص بن حمزة القرشي قال :

" كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة ، فإذا قام سأل عنه ، فإن كانت به فاقة ـ فقر ـ وصله ، وإن مرض عاده حتى يجره إلى مواصلته ، وكان أكرم الناس مجالسة " . [٢]

وعن أبو سعيد الكندي قال :

" كان أبو حنيفة يبيع الخز فجاءه رجل فقال : يا أبا حنيفة قد احتجت إلى ثوب خز ، فقال : ما لونه ؟

فقال : كذا وكذا ، فقال له : اصبر حتى يقع وآخذه لك ان شاء الله .

قال : فما دارت الجمعة حتى وقع فمر به الرجل ، فقال له أبو حنيفة : قد وقعت حاجتك ، قال : فاخرج إليه الثوب فأعجبه ، فقال : يا أبا حنيفة كم أزن للغلام ؟ قال : درهما .

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " ٣٦١/١٣ .
[٢] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦١/١٣ .

قال : يا أبا حنيفة ما كنت أظنك تهزأ .

قال : ما هزأت ، إني اشتريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم ، وإني بعت أحدهما بعشرين دينارا وبقى هذا بدرهم وما كنت لأربح على صديق " . [1]

وعن مساور الوراق قال :

كنا من الدين قبل اليوم في سعــة حتى ابتلينا بأصحاب المقاييـــــس

قاموا من السوق إذ قلت مكاسبهم فاستعملوا الرأي عند الفقر والبــؤس

أما العريب فأمسوا لا عطاء لهـم وفي الموالي علامات المغاليـــــس

فلقيه أبو حنيفة فقال : هجوتنا ، نحن نرضيك فبعث إليه بدراهم فقال :

إذا ما أهل مصر بادهونـــــا بداهية من الفتيا لطيفـــــــــة

أتيناهم بمقياس صحيـــــــح صليب من طراز أبي حنيفـــــة

إذا سمع الفقيه به حواه وأثبتــه بحبر في صحيفـــــــــــة [2]

[1] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٢/١٣ .
[2] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٤٠/٢٩ .

شجاعته وجرأته ـ رحمه الله ـ

📖 كان ـ رحمه الله ـ شجاعاً ، جريئاً في الحق . . .

لا يخشي في الله لومة لائم . . .

فكم تصدي لكثير من ضلالات المفترين . . . .

وكم وقف أمام شبهات المشككين . . .

وكم من مرة وقف أمام الخيلفة المنصور وصدع بالحق أمامه دون خوف أو مهابة ، أو وجل . . .

فعن ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ قال :

" انتفض أهل الموصل على أبي جعفر المنصور ، وقد اشترط المنصور عليهم أنهم إن انتفضوا تحل دماؤهم له ، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم الإمام أبو حنيفة .

فقال : أليس صحيحاً أنه ﷺ قال : " **المؤمنون عند شروطهم** " ، وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي ، وقد خرجوا على عاملي وقد حلت دماؤهم .

فقال رجل منهم : يدك مبسوطة عليهم ، وقولك مقبول فيهم ، فإن عفوت فأنت أهل العفو ، وإن عاقبت فبما يستحقون .

فقال لأبي حنيفة : ما تقول أنت يا شيخ ؟ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟.

فأجاب : إنهم شرطوا لك ما لا يملكون ـ وهو استحلال دمائهم ـ وشرطت عليهم ما ليس لك ، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاث ـ الحديث ـ .

فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا فدعاه وحده .

فقال : يا شيخ ، القول ما قلت ، انصرف الى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين على أمامك فتبسط أيدي الخوارج " . [1]

وروي أنه وقع يوماً بين الخليفة المنصور وزوجته شقاق وخلاف بسبب ميله عنها ، فطلبت منه العدل فقال لها : من ترضين في الحكومة بيني وبينك ؟

[1] أنظر : " المناقب " لابن الحوزي ١٧/٢ .

قالت : أبا حنيفة ، فرضي هو به فجاءه فقال له : يا أبا حنيفة زوجتي تخاصمني فانصفني منها .

فقال له أبو حنيفة : لِيتكلم أمير المؤمنين .

فقال المنصور : كم يحل للرجال أن يتزوج من النساء ؟

قال : أربع .

قال المنصور لزوجته : أسمعتِ .

فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين إنما أحل الله هذا لأهل العدل ، فمن لم يعدل أو خاف أن لا يعدل فواحدة لقوله تعالى : { **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** } النساء : ٣ ، فينبغي لنا أن نتأدب مع الله و نتعظ بمواعظه .

فسكت المنصور وطال سكوته ، فقام أبو حنيفة وخرج فلما بلغ منزله أرسلت إليه زوجة المنصور خادماً ومعه مال وثياب ، فردها وقال : أقرئها السلام وقل لها إنما ناضلت عن ديني ، وقمت بذلك المقام لله ولم أرد بذلك تقرباً إلى أحد ولا التمستُ به دنيا .

محنته ـ رحمه الله ـ

تعرض الإمام أبي حنيفة لمحنة عصيبة مع الخليفة المنصور ، ومع " **ابن هبيرة** " ، وكان ابن هبيرة والياً بالكوفة ، حيث ظهرت الفتن بالعراق ، فجمع فقهاءها ببابه ، و فيهم ابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن أبي هند ، فولى كل واحد منهم صدراً من عمله ، وأرسل إلى أبي حنيفة طالباً جعل الخاتم في يده ، ولا يُنفذ كتاب إلا من تحت يده ، ولا يخرج من بيت المال شيء إلا من تحت يده .

و كان إخضاع أبي حنيفة قهراً أو إغراء . .

فامتنع الإمام وقال : لو أرادني أن أعد له أبواب ماجد واسط لما فعلت!

وعن مغيث بن بديل قال :

دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع ، فقال : أترغب عما نحن فيه ؟

فقال : لا أصلح .

قال : كذبت .

قال : فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح ، فإن كنت كاذباً ، فلا أصلح وإن كنت صادقاً ، فقد أخبرتكم أني لا أصلح ، فحبسه .

وعن الربيع الحاجب قال :

" وفيها قال أبو حنيفة : والله ما أنا بمأمون الرضى ، فكيف أكون مأمون الغضب ؟ فلا أصلح لذلك .

قال المنصور: كذبت ، بل تصلح .

فقال : كيف يحل أن تولي من يكذب ؟! " .

وقال الفقيه أبو عبد الله الصيمري :

" لم يقبل العهد بالقضاء ، فضرب وحبس ، ومات في السجن " . [١]

وعن عباس الدوري قال :

[١] أنظر : " وفيات الاعيان " لابن خلكان ٤٠٧/٥ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٤/٦ .

" حدثونا عن المنصور أنه لما بنى مدينته ونزلها ، ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة ، أرسل إلى أبي حنيفة فجيئ فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى .

فقال له : إن لم تفعل ضربتك بالسياط .

قال : أو تفعل ؟

قال : نعم ، فقعد في القضاء يومين ، فلم يأته أحد ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر ، فقال الصفار : لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق بقية ثمن تور صفر .

فقال أبو حنيفة : اتق الله وانظر فيما يقول الصفار ، قال : ليس له علي شيء فقال أبو حنيفة للصفار : ما تقول ؟

قال : استحلفه لي .

فقال أبو حنيفة للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو .

فجعل يقول ، فلما رآه أبو حنيفة معزماً على أن يحلف قطع عليه وضرب بيده إلى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين ، فقال للصفار : هذان الدرهمان عوض من باقي تورك ، فنظر الصفار إليهما وقال : نعم ، فأخذ الدرهمين .

فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات " . [1]

[1] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٢٩/١٣ .

ثناء الناس عليه ـ رحمه الله ـ

عن يس بن الربيع قال :

" كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً محسوداً ، وكان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه ، كثير الأفضال على إخوانه ، قال : وسمعت قيساً يقول : كان النعمان بن ثابت من عقلاء الرجال " . [1]

وعن أبي يوسف قال :

[1] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٠/١٣ .

" قال لي هارون الرشيد : صف لي أبا حنيفة ، فقلت : كان والله شديد الذب عن محارم الله ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهداراً ولا ثرثاراً ، صائنا لدينه ونفسه ، مشتغلاً بما هو فيه عن الناس ، ولا يذكر أحداً إلا بخير .

فقال هارون : هذه والله أخلاق الصالحين " . [١]

وعن عبد الله بن المبارك قال :

" لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان ، كنت كسائر الناس " . [٢]

وعن حجر بن عبد الجبارقال :

" قيل للقاسم بن معن : ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة ؟

قال : ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة " . [٣].

وعن عن قيس بن الربيع قال :

" كان أبو حنيفة ورعا ، تقيا ، مفضلا على إخوانه " .

وعن عبد الله بن داود الخريبي قال :

" يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلاتهم ، قال : و ذلك لحفظه عليهم السنن والفقه " . [١]

[١] أنظر : " مناقب أبي حنيفة " للموفق المكي ١٨١/١ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩٨/٦ ، ويقصد بهذا الجملة أن يظهر مدي فضل هذان العالمان الكبيران عليه .
[٣] " سير أعلام النبلاء " ٣٩٨/٦ .

وعن يزيد بن هارون قال :

" أدركت الناس فما رأيت أحدا أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة ، وعن محمد بن عبد الله الأنصاري قال : كان أبو حنيفة يتبين عقله في منطقه ومشيه ، ومدخله ، ومخرجه " . [٢]

وعن ابن المبارك قال :

" ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة ، كان يشبه الفقهاء ، وكان حسن السمت حسن الوجه ، حسن الثوب ، ولقد كنا يوماً في مسجد الجامع فوقعت حية فسقطت في حجر أبي حنيفة وهرب الناس غيره ، فما رأيته زاد على أن نفض الحية وجلس مكانه " . [٣]

وقال ابن المبارك أيضاً :

" قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدواً له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها " . [٤]

وعن ابن المبارك قال :

" كان أبو حنيفة آية ، فقال له قائل : في الشر يا أبا عبد الرحمن أو في الخير؟

[١] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ١١٤/١٠ ، و" تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٢/٢٩ .
[٢] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٣٩/٢٩ .
[٣] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٣٦/١٣ .
[٤] " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١١/٥ .

فقال : اسكت يا هذا ، فإنه يقال : غاية في الشر ، وآية في الخير ، ثم تلا هذه الآية : { **وجعلنا بن مريم وأمه آية** } . [١]

وعن هلال بن مزاحم قال :

" بذلت الدنيا لأبي حنيفة فلم يردها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها " . [٢]

وعن الحماني قال :

" سمعت بن المبارك يقول : رأيت الحسن بن عمارة آخذاً بركاب أبي حنيفة وهو يقول : والله ما أدركنا أحداً تكلم في الفقه أبلغ ، ولا أصبر ، ولا أحضر جواباً منك ، وإنك لسيد من تكلم فيه في وقتك غير مدافع وما يتكلمون فيك إلا حسداً " . [٣]

وعن الفضيل بن عياض قال :

" كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً معروفا بالفقه مشهوراً بالورع ، واسع المال معروفاً بالأفضال على كل من يطيف به ، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار ، حسن الليل ، كثير الصمت ، قليل الكلام حتى ترد مسألة في حلال أو حرام فكان يحسن أن يدل على الحق هارباً من مال السلطان " . [٤]

وعن عن أبي بكر بن عياش قال :

[١] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٣٦/١٣ .
[٢] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٣٧/١٣ .
[٣] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٦٧/١٣ .
[٤] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٤٠/١٣ .

" مات عمر بن سعيد أخو سفيان فأتيناه نعزيه ، فإذا المجلس غاص بأهله وفيهم عبد الله بن إدريس إذ أقبل أبو حنيفة في جماعة معه ، فلما رآه سفيان تحرك من مجلسه ثم قام فاعتنقه وأجلسه في موضعه وقعد بين يديه ، قال أبو بكر : فاغتظت عليه ، وقال ابن إدريس : ويحك ألا ترى ، فجلسنا حتى تفرق الناس ، فقلت لعبد الله بن إدريس : لا تقم حتى نعلم ما عنده في هذا ، فقلت يا أبا عبد الله رأيتك اليوم فعلت شيئا أنكرته وأنكره أصحابنا عليك ، قال : وما هو ؟

قلت : جاءك أبو حنيفة فقمت إليه وأجلسته في مجلسك وصنعت به صنيعاً بليغاً ، وهذا عند أصحابنا منكر ، فقال : وما أنكرت من ذاك ، هذا رجل من العلم بمكان ، فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه ، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه ، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه " . [١]

وعن غسان بن محمد بن عبد الله بن سالم التميمي قال :

وضع القياس أبو حنيفة كلـــه فأتى بأوضح حجة وقيـــــاس
وبنى على الآثار رأس بنائـــه فأتت غوامضه على الأســـاس
والناس يتبعون فيها قولـــــه لما استبان ضياؤه للنـــــاس [٢]

وعن ابن المبارك قال :

رأيت أبا حنيفة كل يـــــوم يزيد نبالة ويزيد خيـــــرا

[١] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٤١/١٣ .
[٢] " تاريخ بغداد " للخطيب ٣٥٠/١٣ .

وينطق بالصواب ويصطفيه إذا ما قال أهل الجور جورا
يقايس من يقايسه بلب فمن ذا تجعلون له نظيرا
كفانا فقد حماد وكانت مصيبتنا به أمرًا كبيرا
فرد شماتة الأعداء عنا وأبدى بعده علماً كثيرا
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى ويطلب علمه بحرا غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعها رجال العلم كان بها بصيرا [1]

تلميذه أبي يوسف ـ رحمه الله ـ

ومن تلاميذ الإمام الأعلام الذين صاروا علماء و أصبحوا آية بعده ، و كتبوا فتاويه و اجتهاداته كلها العالم القاضى " **أبي يوسف** " ، مدون فقه أبي حنيفة في الكتب ، و كذا فعل محمد بن الحسن الشيبانى ، الذي دون كل فقهه والاجتهادات الأخرى حتى التي تراجع عنها .

وأبو حنيفة هو من رتب مسائل الفقه حسب أبوابها من طهارة وصلاة ، ودون أغلبها الإمام أبو يوسف في سجلات بلغت عشرات الألاف من المسائل المدونة . . .

[1] " تهذيب الكمال " للمزي ٤٤١/٢٩ .

وأحببت أن أذكر في هذا الفصل نبذه يسيرة عن هذا العالم من باب أن نبوغ التلميذ يدل على تفوق شيخه ومعلمه . . .

هو : القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري ـ وسعد بن حبتة أحد الصحابة ـ وهو مشهور في الأنصار بأمه ، وهي حبتة بنت مالك من بني عمرو بن عوف .

كان القاضي أبو يوسف من أهل الكوفة ، وهو صاحب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ كان فقيهاً عالماً حافظاً ، سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وتلك الطبقة .

وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ثم جالس أبا حنيفة النعمان بن ثابت ، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة وخالفه في موضع كثيرة .

وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء : المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد ، وكان الرشيد يكرمه ويجله ، وكان عنده حظياً مكيناً وهو أول من دعي بقاضي القضاة ، ويقال إنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان ، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً ، لا يتميز أحد عن أحد بلباسه .

ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل . [١]

ما حدث معه ومع الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ

قال الخطيب البغدادي :

" أن أبا يوسف قال : كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ـ فقير ـ فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة ، فانصرفت معه ، فقال : يا بني ، لا تمد رجلك مع أبي حنيفة ، فإن أبا حنيفة خبزه مشوي ـ أي ميسور الحال ـ ، وأنت تحتاج إلى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي ، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه ، قال لي : ما شغلك عنا ؟

قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدي ، فجلست ، فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال : استمتع بها ، فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، فقال لي : ألزم الحلقة ، وإذا فرغت هذه فأعلمني ، فلزمت الحلقة ، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدني ، وما أعلمته بخلة قط ، ولا أخبرته بنفاد شيء ، وكأنه كان يخبر بنفادها ، حتى استغنيت وتمولت .

وحكي : أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلاً صغيراً ، وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة .

[١] أنظر : " تاري بغداد " للخطيب ١٤/٢٤٢ـ٢٤٤ ، و " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٦/٣٧٨ـ٣٧٩ .

ثم روى الخطيب أيضاً بإسناد متصل إلى علي بن الجعد قال : أخبرني أبو يوسف القاضي قال : " توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي ، فأسلمتني إلى قصار أخدمه ، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع فكانت أمي تجيء خلفي فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصار ، وكان أبو حنيفة يعتنى بي ، لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم ، فلما كثر ذلك على أمي ، وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة : ما لهذا الصبي فساد غيرك ، هذا صبي يتيم لا شيء له وإنما أطعمه من مغزلي ، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه .

فقال لها أبو حنيفة : مري يا رعناء ـ بلهاء ـ ، ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق ـ نوع من الحلوي ـ فانصرفت عنه وقالت له : أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك .

ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ، ورفعني حتى تقلدت القضاء ، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته ، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالوذجة ، فقال لي : يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت : وما هذه يا أمير المؤمنين فقال : هذه فالوذجة بدهن الفستق ، فضحكت فقال لي : مم ضحكك ؟!

فقلت : خيراً ، أبقى الله أمير المؤمنين ، قال : لتخبرني ، وألح علي ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ، فعجب من ذلك وقال : لعمري إن العلم

لينفع دنيا وديناً ، وترحم على أبي حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه " . [١]

(قصة) : قال الفضل بن غانم :

" كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض فعاده أبو حنيفة مراراً ، فصار إلى آخر مرة ، فرآه ثقيلاً فاسترجع ثم قال : لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير .

ثم رزق العافية وخرج من الغد ، فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه ، وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلساً في الفقه ، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة ، فسأل عنه فأخبر أنه عقد مجلساً وأنه يلقي كلامك فيه ، فدعا رجلاً كان له عنده قدر فقال : سر إلى مجلس يعقوب فقل له ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوباً ليقصره بدرهم ، ثم عاد إليه بعد أيام في طلب الثوب ، فقال له القصار : ما لك عندي شيء وأنكره ، ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع له الثوب مقصوراً ، أله أجرة ؟ فإن قال لك : له أجرة ، فقل له أخطأت ، وإن قال : لا أجرة له ، فقل : أخطأت ، فسار إليه وسأله ، فقال أبو يوسف : له أجرة ، فقال : أخطأت ، فنظر ساعة ثم قال : لا أجرة له ، فقال له أخطأت ، فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال : ما جاء بك إلى مسألة القصار ، قال : أجل ، قال : سبحان الله ، من قعد بفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره ، لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات ، فقال: يا

[١] والخبر موجود في " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ١٤/٢٤٤ـ٢٤٥ ، و " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٦/٣٩٧ـ٣٨٠ .

أبا حنيفة ، علمني ، فقال : إن كان قصره بعدما غصبه فلا أجرة ، لا أنه قسر لصاحبه ؛ ثم قال : من ظن أنه يستغني عن التعلم فلبيك على نفسه " . [١]

علمه ـ رحمه الله ـ وثناء الناس عليه ـ

قال طلحة بن محمد بن جعفر :

" أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل ، وهو صاحب أبي حنيفة ، وأفقه أهل عصره ، ولم يتقدمه أحد في زمانه ، وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر ، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، وأملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض .

وقال عمار بن أبي مالك :

" ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف ، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ، ولكنه هو نشر قولهما وبث علمهما " .

وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة :

" مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضاً خيف عليه منه ، فعاده أبو حنيفة ونحن معه ، فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال : إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها ، وأومأ إلى الأرض " . [٢].

وقال حماد بن أبي حنيفة :

[١] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٥/٤٠٨ .
[٢] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٦/٣٨٢ ، و " تاريخ بغداد " ١٤/٢٤٦ .

" رأيت أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر ـ وهو من أشهر تلاميذه أيضاً ـ ، وهما يتجادلان في مسألة ، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زفر ، ولا يقول زفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف ، إلى وقت الظهر ، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر ، وقال : لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف ، وقضى لأبي يوسف على زفر ، ولم يكن بعد أبي بها ، والثانية يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر " . [١]

من كلامه ـ رحمه الله ـ

قال ـ رحمه الله تعالى ـ :

" صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة " .

وكان يقول : " رؤوس النعم ثلاثة : فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة : نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها " .

وقال علي بن الجعد :

" سمعت أبا يوسف يقول : العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كذلك ، وأنت إذا أعطيته كذلك من إعطائه البعض كنت على غرر " .

وقال طاهر بن أحمد الزبيري :

[١] " فيات الاعيان " ٣٨٣/٦ ، و " تاريخ بغداد " ٢٤٧/١٤.

" كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت ، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم ، فقال : بلى ، متى يفطر الصائم ؟ فقال : إذا غابت الشمس ، فقال : فإن لم تغب إلى نصف الليل ؟ ، فضحك أبو يوسف وقال : أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ، ثم تمثل :

عجبت إزراء الغبي بنفســـــه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلمـــــــا [١]

وفاته ـ رحمه الله ـ

قال ابن خلكان :

" كانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة ، وتوفي يوم الخميس لوقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد .

وقيل : إنه توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة ، والأول أصح ، وولي القضاء سنة ست وستين ومائة ، ومات وهو على القضاء ، رحمه الله تعالى " .[٢]

وفاته ـ رحمه الله ـ

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" توفي الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ في سنة خمسين ومئة ، وله سبعون سنة ، وعليه قبة عظيمة ومشهد فاخر ببغداد ، والله أعلم .

[١] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان " ٣٨٣/٦ ، و " تاريخ بغداد " ٢٤٨/١٤ .
[٢] " وفيات الأعيان " ٣٨٨/٦ .

وابنه الفقيه حماد بن أبي حنيفة كان ذا علم ودين وصلاح وورع تام ، لما توفي والده ، كان عنده ودائع كثيرة ، وأهلها غائبون ، فنقلها حماد إلى الحاكم ليتسلمها ، فقال : بل دعها عندك فإنك أهل .

فقال : زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة الوالد ، ثم افعل ما ترى .

ففعل القاضي ذلك .

وبقي في وزنها وحسابها أياماً ، واستتر حماد ، فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين .

توفي حماد سنة ست وسبعين ومئة كهلا " . [١]

وقال ابن خلكان :

" وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة ، وتوفي في رجب ، وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة ، وقيل إحدى وخمسين وقيل ثلاث وخمسين ، والأول أصح ؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل ، هذا هو الصحيح .

وقيل إنه لم يمت في السجن .

وقيل : توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ ودفن بمقبرة الخيرزان ، وقبره هناك مشهور يزار " . [٢]

[١] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٠٣/٦ .
[٢] " أنظر وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤١٤/٥ .

الإمام مالك بن أنس

(٩٣ - ١٧٩ هـ = ٧١٢ - ٧٩٥ م)

إمام الحرمين . . .

المشهور في البلدين . . .

الحجاز والعراقين . . . .

المستفيض مذهبه في المغربين والمشرقين . . .

كان أحد النبلاء . . .

وأكمل العقلاء . . .

تحقق بالتقوي ، فابتلى بالبلوى . . .

هو : شيخ الإسلام ، وإمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة ، وهو حمير الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني حليف بني تيم من قريش ، فهم حلفاء عثمان ، أخي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة .

والأصبحي : بفتح الهمزة ، وسكون الصاد المهملة ، وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة ، هذه النسبة الى " **ذي أصبح** " ، واسمه الحارث بن عوف

بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة ، وهو من يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة باليمن ، وإليها تنسب السياط الأصبحية . [١]

وأمه هي : عالية بنت شريك الأزدية ، وأعمامه هم : أبو سهيل نافع ، وأويس ، والربيع ، والنضر ، أولاد أبي عامر .

وقد روى الزهري عن والده أنس ، وعميه أويس وأبي سهيل .

مولده : ولد على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل . [٢]

وعن الواقدي قال :

" حملت به أمه سنتين " . [٣]

و قال ابن بكير :

" مولد مالك بذي المروة ، وكان أخوه النضر يبيع البز ، وكان مالك معه بزازاً ، ثم طلب العلم وكان ينزل أولاً بالعقيق ثم نزل بالمدينة ، وقيل لمالك لم تنزل العقيق فإنه يشق عليك إلى المسجد ؟.

فقال : بلغني أن النبي ﷺ كان يحبه ويأتيه ، وأن بعض الأنصار أراد النقلة منه إلى قرب المسجد فقال له النبي ﷺ : أما تحسبون خطاكم " . [٤].

---

[١] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ١٣٧/٤ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٩/٨ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٥٥/٨
[٤] أنظر : " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " للقاضي عياض ، وبيبع البز : أي القماش .

صفته وسمته ـ رحمه الله ـ

عن عيسى بن عمر قال :

" ما رأيت قط بياضاً ولا حمرة أحسن من وجه مالك ، ولا أشد بياض ثوب من مالك " .

ونقل غير واحد : " أنه كان طوالا ، جسيماً ، عظيم الهامة ، أشقر ، أبيض الرأس واللحية ، عظيم اللحية ، أصلع ، وكان لا يحفي شاربه " . [١]

ونقل الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ صفته فقال :

وقيل : " كان أزرق العين " .

وقال محمد بن الضحاك الحزامي :

" كان مالك نقي الثوب ، رقيقه ، يكثر اختلاف اللبوس " .

وقال أشهب :

" كان مالك إذا اعتم ، جعل منها تحت ذقنه ، ويسدل طرفها بين كتفيه " .

وقال أيضاً : " كان مالك إذا اكتحل للضرورة ، جلس في بيته " .

وقال مصعب :

" كان يلبس الثياب العدنية ويتطيب " .

[١] أنظر : " الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب " لابن فرحون (ص : ١٨) ، و " زاد المعاد " لابن القيم ١٧٨/١ .

وقال أبو عاصم :

" ما رأيت مُحدثاً أحسن وجها من مالك " .

وقيل : " كان شديد البياض إلى صفرة ، أعين ، أشم ، كان يوفر سبلته ، ويحتج يفتل عمر شاربه " .

وقال ابن وهب :

" رأيت مالكاً خضب بحناء مرة ".

وقال أبو مصعب :

" كان مالك من أحسن الناس وجهاً ، وأجلاهم عيناً ، وأنقاهم بياضاً ، وأتمهم طولاً ، في جودة بدن " .

وعن الواقدي :

" كان ربعة ، لم يخضب ، ولا دخل الحمام " .

وعن بشر بن الحارث قال :

" دخلت على مالك فرأيت عليه طيلساناً يساوي خمس مئة ، وقد وقع جناحاه على عينيه أشبة شئ بالملوك " . [١]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦٩/٨ـ٧٠ .

طلبه للعلم ـ رحمه الله ـ

📖 نشاء الإمام مالك ـ رحمه الله ـ فى أسرة علم ، فوالده أنس كان عالماً ، واسم جده مالك أبو عامر الأصبحي ، كان مُحدثاً وراوياً ، سمع الحديث من أبي بكر وعمر وعثمان وكثير من الصحابة ﷺ .

ولقد روى مالك الحديث عن أبيه وجده ، ويروى أنه ذات ليلة وقد اجتمع أفراد أسرة مالك على عادتهم متحلقين حول الأب يسرد عليهم بعض وقائع أيامه وأحداثه ، سأل الوالد أبناءه سؤالاً في الدين ، فأجابوه جميعاً إجابات سليمة صحيحة عدا مالك الذي عجز وتلجلج و كان في العاشرة من عمره قد حفظ القرآن الكريم وشيئاً من حديث رسول الله ﷺ ، إلا أن عقله في مثل سنه لم يكن ليسمح له بالفهم والعلم ، فعجز عن الجواب فعنفه أبوه أنس ووبخه ونهره لانشغاله باللعب عن طلب العلم ، وانفجر مالك بالبكاء و هو يأوي إلى صدر أمه ، فضمته إليها وعانقته ولاطفته وخففت عنه ما به من حزن و ألم .

قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ :

" كان لي أخ في سن ابن شهاب ، فألقى أبي يوماً علينا مسألة ، فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي : ألهتك الحمام عن طلب العلم " . [1]

وفي اليوم التالي شدت أمه على رأسه عمامة جديدة ، وضمخته بأطيب العطر ، وأشارت عليه بإتيان مسجد الرسول الأعظم ﷺ والجلوس إلى حلقات العلم المنتشرة هناك ، ودعت له بالخير وبالتفقه والفهم والحفظ .

[1] أنظر : " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " للقاضي بن عياض ، والحمام : أي اللعب .

ومنذ ذلك اليوم لازمته عادة الاستحمام والتطيب كلما أتى مجلس العلم سواء كان متعلماً أو معلماً فيكون في أحسن سمت وأكمل مظهر وأرقى صورة .

قال مطرف :

" قال مالك : قلت لأمي أذهب فأكتب العلم ؟ فقالت : تعال فالبس ثياب العلم فألبستني ثياباً مشمرة ، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ، ثم قالت : اذهب فاكتب الآن " .

وقال رحمه الله : " كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه " . [1]

📖 ودخل مالك بوابة العلم الكبرى ولم يغادرها حتى توفاه الله تعالى ، و كان يجد نفسه بحاجة إلى مزيد علم ، فقد كان يهمه أحياناً أمر علمي أو مسألة فبعد أن تنفض الحلقات ويأوي الشيوخ إلى دورهم فلا يجد مالك صبراً إلى الغد كي يسأل و يفهم ، لذا راح يسعى إلى الشيوخ في بيوتهم و مساكنهم وقد ينتظر أحدهم في الطريق الساعات الطوال ما يجد فيها ظل شجرة تقيه حرارة الشمس حتى إذا ما رآه يدخل داره ينتظر لحظات ، ثم يقرع الباب وكان في بعض الأحيان يحمل معه تمراً يهديه لجارية الفقيه لتمكنه من الدخول على العالم .

قال أنس ين عياض :

" جالست ربيعة ، ومالك يومئذ معنا وما يعرف إلا بمالك أخو النضر، ثم ما زال حرصه في طلب العلم حتى صرنا نقول النضر أخو مالك ، وكان لمالك

[1] أنظر : " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " للقاضي بن عياض .

حين طلبه يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد " . [١]

📖 وتعلق الإمام بالعلم تعلقاً جاداً ، فلزم عبد الرحمن بن هرمز ـ و هو عالم من أجل علماء المدينة ـ سبع سنوات لم يتخلّف فيها إلى غيره ، وكان يأخذ عنه المسائل الإجتهادية وقضايا الفقه ، وكان ابن هرمز مشهوراً بقوة عارضته ودلائل الحق .

وعن الإمام مالك قال :

" جالست ابن هرمز ثلاث عشره سنة ، كنا نجلس في صحن مسجد النبي ﷺ حتى اتخذت سراويل محشوا " . [٢]

وقال ـ رحمه الله ـ :

" وكنت أجعل في كفي تمراً وأناوله صبيانه ـ يقصد ابن هرمز ـ وأقول لهم أن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا مشغول " .

وقال ابن هرمز يوماً لجاريته : " من بالباب ؟ فلم ترَ إلا مالكاً ، فرجعت فقالت له : ما ثم إلا ذاك الأشقر ، فقال لها : دعيه فذلك عالم الناس " .

وكان مالك اتخذ تباناً محشواً للجلوس على باب هرمز يتقي به برد حجر هناك ، وقيل بل من برد صحن المسجد وفيه كان مجلس ابن هرمز . [٣]

[١] أنظر : " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " للقاضي عياض
[٢] أنظر : " مقدمة الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم الرازي ٢٧/١ .
[٣] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

📖 ثم بدأ يأخذ عن نافع مولى ـ أي خادم ـ عبد الله ابن عمر ﷺ وكان من أحفظ علماء الحديث ، كان حافظاً وكان فقيهاً ، أخذ الفقه والحديث عن ابن عمر .

فعن ابن وهب قال :

" قال مالك : كنت آتي نافعاً وأنا غلام حديث السن مع غلام لي ، فينزل من درجه ، فيقف معي ويحدثني ، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد ، فلا يكاد يأتيه أحد " . [١]

وقال مصعب :

" كان مالك يقود نافعاً من منزله إلى المسجد ، وكان قد كف بصره فيسأله فيحدثه ، وكان منزل نافع بناحية البقيع ، وقال مالك : كنت آتي نافعاً نصف النهار ، وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه .

فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له : كيف قال ابن عمر في كذا وكذا ؟ فيجيبني ، ثم أجلس عنه وكان فيه حدة " . [٢]

📖 ثم أخذ مالك أيضاً عن الزهري وكان يلازمه كما لازم ابن هرمز ، وكان يسير معه من بيته إلى المسجد ، يقول الإمام مالك عن نفسه : " كنت أخرج من وقت الظهيرة وليس للأشياء ظل أتيمم درساً عند الزهري " .

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠٧/٨ .
[٢] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

قال ابن عبد الحكم :

" قال لي مالك : كنا نأتي ابن شهاب في دارة في بني الريل ، وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها نتدافع إذا دخلنا عليه ، وقال مالك : كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهري : قال ابن عمر كذا وكذا فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه ، وقلنا له الذي ذكرت عن ابن عمر من حدثك به ، فيقول ابن سالم " . [١]

وقال مالك :

" شهدت العيد ، فقلت هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب الزهري ، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه ، فسمعته يقول لجاريته : أنظري من على الباب .

فنظرت فسمعتها تقول : مولاك الأشقر مالك .

قال : أدخليه ، فدخلت فقال : ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك ؟

قلت : لا .

قال : هل أكلت شيئاً ؟ .

قلت : لا .

قال : فاطعم .

قلت : لا حاجة لي فيه .

[١] أنظر : المرجع السابق .

قال : فما تريد ؟

قلت : تحدثني ، فحدثني سبعة عشر حديثاً ، ثم قال : وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها ؟

قلت : إن شئت رددتها عليك ، فرددتها عليه .

وفي رواية قال : هات فأخرجت ألواحي فحدثني بأربعين حديثاً .

فقلت : زدني ، قال : حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ .

قلت : قد رويتها فحبذا الألواح من يدي ، ثم قال : حدث ، فحدثته بها فردها إلي وقال : قم فأنت من أوعية العلم ، أو قال : إنك لنعم المستودع للعلم " . [١]

📖 ثم أخذ العلم عن الإمام ربيعة الراي ـ رحمه الله ـ وتتلمذ على يديه منذ كان صبياً صغيراً .

قال الزبيري :

" رأيت مالكاً في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف ، وهذا يدل على ملازمته الطلبة من صغره كما قال في خبر نافع " .

وعن الزبير بن بكار قال :

" حدثنا مطرف ، حدثنا مالك قال : لما أجمعت التحويل عن مجلس ربيعة ، جلست أنا وسليمان بن بلال في ناحية المسجد ، فلما قام ربيعة ، عدل إلينا ،

[١] أنظر : المرجع السابق .

فقال : يا مالك ، تلعب بنفسك زفنت ، وصفق لك سليمان ، بلغت إلى أن تتخذ مجلسا لنفسك ؟! ارجع إلى مجلسك " . [١]

قال بكر بن عبد الله الصنعاني :

" أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي فكنا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذاك الطاق ، فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة ؟

قال : نعم .

قلنا : أنت الذي يحدث عنك مالك بن انس ؟

قال : نعم ، فقلنا : كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك ؟

قال : أما علمتم أن مثقالاً من دولة ، خير من حمل علم " . [٢]

📖 ثم بعد ذلك اتخذ الإمام ـ رحمه الله ـ مجلساً خاصاً لنفسه ، يجلس ويحدث الناس فيه بعد أن استشار شيوخه ومعلميه في ذلك ، فأعطوا له الإذن بالحديث والكلام ، وكان عمره وقتذاك سبعة عشر عاماً فأخذ ـ رحمه الله ـ يفتي ويحدث الناس ، وكان له مجلس علم يجلس فيه الناس يستمعون إليه ، مع وجود من هو أفضل منه وأعلم . .

فعن خلف ابن عمر قال :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٨٨/٨ . زفنت : يقال يزفن أي : يرقص .
[٢] أنظر : " طبقات الفقهاء " للشيرازي ٦٨/١ .

" سمعت مالكاً يقول : ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني : هل تراني موضعا لذلك ؟ سألت ربيعة ، وسألت يحيى بن سعيد ، فأمراني بذلك .

فقلت : فلو نهوك ؟ قال : كنت أنتهي ، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه " . [١]

وعن أبا مصعب قال :

" سمعت مالكا يقول : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك " . [٢]

وقال القاضي بن عياض ـ رحمه الله ـ في " ترتيب المدارك " :

قال ابن المنذر : " أفتى مالك في حياة نافع ـ وهو شيخه ـ وزيد بن أسلم " .

وقال ابن عبد الحكم : " أفتى مالك مع يحيى بن سعيد " .

وقال أيوب السختياني : " قدمت المدينة في حياة نافع ولمالك حلقة " .

وقال مصعب : " كان لمالك حلقة في حياة نافع أكبر من حلقة نافع " . [٣]

📖 ولقد أوتي الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من الهمة والنهم في طلب العلم ما لم يعطاه غيره ، فكان ـ كما تقدم ـ شغوفاً بطلب العلم ، يتحري مواضع العلماء لينهل من علمهم ، لا يبالي في ذلك مدي الجهد والتعب في تحصيل ذلك ، ولا مدي ما أنفق من المال في طلب ما يريد . .

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣١٧/٦ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦٢/٨ .
[٢] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣١٦/٦ .
[٣] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

فعن ابن القاسم قال :

" أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه ، ثم مالت عليه الدنيا بعد " .[١]

فانظر أخي القارئ : يبيع سقف داره من أجل طلب العلم ، فيالها من همة ، لا يدانيها شئ ، ولا يوازيها شئ .

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

شيوخه وتلاميذه ـ رحمه الله ـ

📖 تتلمذ الإمام مالك على يد كثير من العلماء والمشايخ الذين عاصروه ، فأخذ العلم عن ابن هرمز ، وعن نافع ، وعن الزهري ، وربيعة الرأي ، وسعيد المقبري ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وابن المنكدر، وعبد الله بن دينار ، إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وأيوب بن أبي تميمة السختياني عالم البصرة ، وأيوب بن حبيب الجهني مولى سعد بن مالك ، وإبراهيم بن عقبة ، وإسماعيل بن أبي حكيم ، وإسماعيل بن محمد بن سعد ، وثور بن زيد الديلي ، وجعفر بن محمد ، وحميد الطويل ، وحميد بن قيس الاعرج ، وخبيب بن عبدالرحمن ، وداود بن الحصين ، وداود أبو ليلى بن عبد الله ، وزيد بن أسلم وزيد بن رباح ، وزياد بن سعد ، وزيد بن أبي أنيسة ، وسالم أبو النضر و سلمة بن دينار أبو حازم ، وسهيل بن أبي صالح ، وصالح بن كيسان ، وضمرة بن سعيد ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن الفضل ، و عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك ، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم ، وعبد الله بن يزيد مولى الأسود ، وعبد الله بن دينار ، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان وعبيد الله بن سليمان الاغر ، وعبيد الله بن عبدالرحمن ، وعبد المجيد بن سهيل وعطاء الخراساني ، وقطن بن وهب .

وحدث عنه من شيوخه : عمه أبو سهيل ، ويحيى بن أبي كثير، والزهري ، ويحيى بن سعيد ، ويزيد بن الهاد ، وزيد بن أبي أنيسة ، وعمر ابن محمد بن زيد ، وغيرهم .

وحدث عنه من أقرانه ـ أي من أصحابه ـ : معمر ، وابن جريج ، وأبو حنيفة ، وعمرو بن الحارث ، والأوزاعي ، وشعبة ، والثوري ، وجويرية بن أسماء ، والليث ، وحماد بن زيد، وخلق ، وإسماعيل بن جعفر ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك ، والدراوردي ، وابن أبي الزناد ، وابن علية ، ويحيى بن أبي زائدة ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومحمد بن الحسن الفقيه ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ومعن بن عيسى القزاز ، وعبد الله بن وهب ، وأبو قرة موسى بن طارق ، والنعمان بن عبد السلام ، ووكيع، والوليد بن مسلم ، ويحيى القطان ، وإسحاق بن سليمان الرازي ، وأنس بن عياض الليثي ، وضمرة بن ربيعة ، وأمية بن خالد ، وبشر بن السري الافوه ، وبقية بن الوليد ، وبكر بن الشرود الصنعاني ، وأبو أسامة ، وحجاج ابن محمد وروح بن عبادة ، وأشهب بن عبد العزيز ، وأبو عبد الله الشافعي ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وزياد بن عبدالرحمن شبطون الاندلسي ، وأبو داود الطيالسي وأبو كامل مظفر بن مدرك ، وأبو عاصم النبيل ، وعبد الرزاق ، وأبو عامر العقدي ، وأبو مسهر الدمشقي ، وعبد الله ابن نافع الصائغ ، وعبد الله بن عثمان المروزي عبدان ، ومروان بن محمد الطاطري ، وعبد الله بن يوسف التنيسي ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، ومعلى بن منصور الرازي ، ومنصور بن سلمة الخزاعي . . [1]

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٨/٦٠ـ٥٢ .

رجاحه عقله وحفظه ـ رحمه الله ـ

📖 أوتي الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ من الرجاحة في العقل ، والقوة في الحفظ والتثبت الكثير والكثير . . .

حتى عرف واشتهر ـ رحمه الله ـ برجاحة عقله ، وقوة منطقه ، وعذوبه بيانه . . .

وقد قيل لابن هرمز ـ شيخه ـ نسألك فلا تجيبنا ، ويسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما .

فقال : دخل علي في بدني ضعف ، ولا آمن أن يكون قد دخل علي في عقلي مثل ذلك ، وأنتم إذا سألتموني عن الشيء فأجبتكم قبلتموه ، ومالك وعبد العزيز ينظران فيه .

فإن كان صواباً قبلاه ، وإن كان غيره تركاه . [1]

وعنه ـ رحمه الله ـ قال :

" قدم علينا الزهري ، فأتيناه ومعنا ربيعة ، فحدثنا بنيف وأربعين حديثاً ، ثم أتيناه من الغد ، فقال : انظروا كتاباً حتى أحدثكم منه ، أرأيتم ما حدثتكم به أمس ، أيش في أيديكم منه ؟

فقال ربيعة : ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس .

[1] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

قال : ومن هو ؟ قال : ابن أبي عامر .

قال : هات ، فسرد له أربعين حديثا منها ، فقال الزهري : ما كنت أرى أنه بقي من يحفظ هذا غيري " . [١]

وقالوا : كان ربيعة يقول إذا جاء مالك : " قد جاء العاقل " .

وقال ابن مهدي :

" لقيت أربعة : مالكاً ، وسفيان ، وشعبة ، وابن المبارك ، فكان مالك أشدهم عقلاً " .

وقال أيضاً :

" ما رأت عيناي أحداً أهيب من هيبة مالك ، ولا أتم عقلاً ولا أشد تقوى ولا أوفر دماغاً من مالك " .

وقال هارون الرشيد عنه : " ما رأيت أعقل منه " . [٢]

وقال ابن بكير وغيره :

" أول ما بان من فقه مالك أن رجلاً أوصى عند وفاته قد زوج ابنتيه من ابني أخيه وقد أخذ مهورهما ومات الرجل فأحضر الوالي ـ وكان الحسن بن يزيد ـ الناس ، وفيهم ابن أبي ذئب وابن عمران وابن أبي سبرة ومالك ، وهو حدث وذكر المسألة .

[١] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٧٢/٨ .
[٢] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

فقال جميعهم : ذلك جائز ، ومالك ساكت .

فقال : ما ترى يا مالك ؟ قال : ذلك لا يجوز .

فغضب الجميع وقال ابن أبي ذئب : لا يشاء أن يرد علينا إلا رد .

فقال الوالي : أصاب وأخطأتم .

ثم قال : من أين قلت يا أبا عبد الله هذا ؟

قال : أرأيتم إن هديتنا جميعاً إلى زوجيهما فتعلق كلا واحد منهما بهودج واحدة كل واحد يقول هي زوجتي دون الأخرى ، لمن تقضون بها ؟ فسكت القوم ، وقالوا : أصاب .

قال : فما ترى يا أبا عبد الله .

قال : النكاح مفسوخ حتى تسمى كل امرأة لرجل معين " . [١]

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

صفة مجلسه ـ رحمه الله ـ

عن قتيبة قال :

" كنا إذا دخلنا على مالك خرج إلينا مزينا مكحلاً مطيباً ، قد لبس من أحسن ثيابه ، وتصدر الحلقة ، ودعا بالمراوح ، فأعطى لكل منا مروحة " . [١]

وقال الواقدي :

" كان يجلس في منزله على ضجاع له ، ونمارق مطروحة في منزله يمنة ويسرة لمن يأتيه من قريش ، والأنصار، والناس ، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم " .

قال : " وكان رجلا مهيباً نبيلاً ، ليس في مجلسه شئ من المراء واللغط ، ولا رفع صوت ، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث ، فلا يجيب إلا في الحديث بعد الحديث ، وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه ، وكان له كاتب قد نسخ كتبه ، يقال له : حبيب ، يقرأ للجماعة ، ولا ينظر أحد في كتابه ولا يستفهم ، هيبة لمالك ، وإجلالا له ، وكان حبيب إذا قرأ فأخطأ ، فتح عليه مالك ، وكان ذلك قليلا " . [٢]

ونقل القاضي عياض في " ترتيب المدارك " صفه مجلسه فقال :

قال أبو مصعب :

[١] " سير أعلام النبلاء " ٦٤/٨ .
[٢] أنظر : " ترتيب المدارك " ١ / ١٥٣،و " الانتقاء " (ص : ٤١) و " الديباج المذهب " ١ / ١٠٨.

" كان جلساء مالك كأنما على رؤوسهم الطير تسمتاً وأدباً " .

وقال حبيب :

" كان مالك إذا جلس جلسة لم يتحول عنها حتى يقوم " .

وقال مطرف :

" وكان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم : يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل ؟ فإن قالوا : المسائل ، خرج إليهم فأتاهم ، وإن قالوا : الحديث ، قال لهم : اجلسوا ، ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً ، ولبس ساجه ، وتعمم ، ووضع على رأسه طويلة ، وتلقى له المنصة فيخرج إليهم وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع ويوضع عود ، فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ " .

وقال يحيى بن معين :

" كنا نجتمع على بابه فإذا توافينا صرخ الآذن ليدخل أهل المدينة ، ثم ليؤذن لغيرهم ، فيدخل ويسم عليه ، ويسكت ونسكت ساعة ، فإذا رأى ازدحامنا قال توقروا فإنه عون لكم ، وليعرف صغيركم حق كبيركم " .

ومن رواية أخرى : " كان إذنه لنا رفع سطر في أسطوانة ، فندخل عليه وهو قاعد ، قد ميل رأسه حتى إذا أخذ الناس مجالسهم رفع رأسه فقال : السلام عليكم ، إنما كان يفعل ذلك لئلا يقرب بعض الناس على بعض من العلوية أو العثمانية أو غيرهم ، فينتقد عليه ذلك ، كان يدعهم حتى يأخذون مجالسهم

وكان بعضهم يعرف حق بعض ، فإذا قدم الحاج جعل جواباً على بابه فيأذن أولاً لأهل المدينة ، فإذا دخلوا قال للبواب : تنح " .

و قال ابن أبي أويس :

" كان مالك إذا جلس للحديث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة " .

وقال عبد الرزاق :

" بينما نحن في المسجد الحرام فقيل لنا : هذا مالك ، فلقيناه داخلاً من باب بني هاشم وعليه رداء وقميص صنعاني ، فطاف بالبيت وخرج ناحية الصفا فصلى ركعتين ثم احتبى .

فلما فرغ احتوشناه كما يصنع أصحاب الحديث ، فلما جلسنا قام من بيننا كالمغضب .

فجئنا مشائخنا.

فقالوا لنا :أي شيء كتبت عن مالك ، فأخبرناهم بالذي فعل .

فقالوا : الذي فعلتم لا يحتمله مالك ، فلما كان من الغد جئنا واحداً واحداً وعلينا السكون ، فحدثنا وقال : الذي فعلتم أمس فعل السفهاء " .

وقال جعفر بن إبراهيم :

" كلم صديق لأبي مالكاً أن أسمع منه ، فأذن ، فكنت اختلف إليه وأنا مدل بنسبي من الرسول ﷺ وموضعي ، فأنخطأ الناس إلى وساد مالك ، فلا يتزحزح ، ويريني أنه لم يدنيني احتقاراً لي .

فشكوت ذلك إلى أبي وغيره ، فبعثوا إليه يسألونه إكرامي وأثرتي ، فقال للرسول : ما هو عندنا وغيره إلا سواء .

إنما هي عافاك الله مجالس علم ، السابق إليها أحق بها .

فكنت أتي وقد أحدق الناس فما يوسع لي فاستدني حيث وجدت " .[١]

وقال أبو مصعب :

" كانوا يزدحمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام .

وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا ، قائلون برؤوسهم هكذا " .[٢]

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .
[٢] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١١/٨ .

علمه ـ رحمه الله ـ

📖 الإمام مالك كما هو معروف عند العامة والخاصة أحد أكابر فقهاء المسلمين ، ومذهبه واحد من المذاهب الأربعة المتبوعة ، وهو المذهب المالكي والذي يسير عليه خلق كثير من المسلمين . . . .

أما علمه ـ رحمه الله ـ فإذا ذكر العلماء كان هو النجم . . .

وإذا ذكر الفقهاء كان هو الإمام . . .

وإذا ذكر المحدثون كان هو المقدم عليهم . . .

فعن ابن عيينة قال :

" مالك عالم أهل الحجاز ، وهو حجة زمانه " . [١]

وقال الشافعي وصدق وبر :

" إذا ذكر العلماء فمالك النجم ". [٢]

وعن الشافعي قال :

" مالك وابن عيينة القرينان ، ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز" . [٣]

وقال محمد بن الحسن :

[١] " سير أعلام النبلاء " ٥٧/٨ .
[٢] أنظر : " العبر " للذهبي ٢٨٢/١ ، و " سير أعلام النبلاء " ٥٧/٨ .
[٣] " سير أعلام النبلاء " ٧٣/٨ .

" أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسرا ، وسمعت من لفظه أكثر من سبع مئة حديث ، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلأ منزله ، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين، لم يجئه إلا اليسير " .

وقال ابن أبي عمر العدني :

" سمعت الشافعي يقول : مالك معلمي ، وعنه أخذت العلم " . [١]

وقال الشافعي : " العلم يدور على ثلاثة : مالك ، والليث ، وابن عيينة " .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال :

" أخبرني وهيب وكان من أبصر الناس بالحديث والرجال أنه قدم المدينة ، قال : فلم أر أحداً إلا تعرف وتنكر إلا مالكاً ، ويحيى بن سعيد الانصاري " . [٢]

وقال ابن لهيعة :

" قلت لأبي الأسود : من للرأي بعد ربيعة بالمدينة ؟
قال : الغلام الأصبحي ـ يقصد مالك ـ " . [٣]

وعن هارون بن سعيد قال :

" سمعت ابن وهب ذكر اختلاف الحديث والروايات ، فقال : لولا أني لقيت مالكا لضللت " . [٤]

[١] " سير أعلام النبلاء " ٧٥/٨ .
[٢] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ١٣/١ ، و " سير أعلام النبلاء " ٧٤/٨ .
[٣] أنظر : " ترتيب المدارك " ١٢٩/١ ، و " سير أعلام النبلاء " ٧٤/٨ .
[٤] " ترتيب المدارك " ١٤١/١ .

وعن سفيان ، وذكر حديثاً فقالوا :

" يخالفك فيه مالك ، فقال : أتقرنني بمالك ؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس [١]

ونقل الذهبي ـ رحمه الله ـ من كلام الأئمة فقال :

وروي عن الاوزاعي أنه كان إذا ذكر مالكا يقول :

" عالم العلماء ، ومفتي الحرمين " .

وعن بقية أنه قال :

" ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنة ماضية منك يا مالك " .

وقال أبو يوسف :

" ما رأيت أعلم من أبي حنيفة ، ومالك ، وابن أبي ليلى " .

وذكر أحمد بن حنبل مالكاً : " فقدمه على الاوزاعي ، والثوري ، والليث ، وحماد ، والحكم في العلم ، وقال : هو إمام في الحديث وفي الفقه " .

وقال القطان :

[١] " سير أعلام النبلاء " ٧٤/٨ ، ابن اللبون : ما أوفى على ثلاث سنين ، لز : ربط . القرن: الحبل الذي يشد به البعيران ونحوهما فيقرنان معا ، والبزل : جمع بازل : البعير الذي دخل في السنة التاسعة ، والقناعيس : جمع قنعاس : الجمل العظيم الجسم ، الشديد القوة ، قال البغدادي : ضربه مثلا لمن يعارضه ويهاجيه ، يقول : من رام إدراكي كان بمنزلة ابن اللبون إذا قرن في قرن مع البازل القنعاس ، إن صال عليه لم يقدر على دفع صولته ومقاومته ، وإن رام النهوض معه قصر عن عدوته .

" هو إمام يقتدى به " .

وقال ابن معين :

" مالك من حجج الله على خلقه " .

وقال أسد بن الفرات :

" إذا أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك " . [١]

وقال علي بن المديني :

" نظرت فإذا الإسناد يدور على سته ، ثم صار علم هؤلاء السته إلى أصحاب التصانيف ممن صنف ، فمن أهل الحجاز مالك بن أنس ، وابن جريج وسفيان بن عيينة ، ومحمد بن إسحاق " . [٢]

وعن الحارث بن مسكين :

" أنه سمع بعض المحدثين يقول : قدم علينا وكيع ، فجعل يقول : حدثني الثبت ، حدثني الثبت ، فظننا أنه اسم رجل ، فقلنا : من هذا الثبت أصلحك الله قال : مالك بن أنس " . [٣]

وقال محمد بن رمح :

" رأيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن مالكاً والليث يختلفان ، فبأيهما

[١] " سير أعلام النبلاء " ٩٤/٨.
[٢] " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم الرازي ١٧/١ .
[٣] " تهذيب الكمال " للمزي ١١٥/٢٧ .

آخذ ؟

قال : مالك ، مالك " . [١]

وعن عبد العزيز الدراوردي قال :

" رأيت في المنام أني دخلت مسجد النبي ﷺ فوافيته يخطب ، إذا أقبل مالك فلما أبصره النبي ﷺ قال : إلي إلي ، فأقبل حتى دنا منه ، فسل ﷺ خاتمه من خنصره ، فوضعه في خنصر مالك " . [٢]

وقال خلف :

" دخلت على مالك فقال لي : انظر ما ترى تحت مصلاي أو حصيري فنظرت فإذا أنا بكتاب ، فقال : اقرأه ، فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه ، فقال رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجده قد اجتمع الناس عليه فقال لهم : إني قد خبأت لكم تحت منبري طيباً ، أو علماً ، وأمرت مالكا أن يفرقه على الناس فانصرف الناس وهم يقولون : إذا ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ ثم بكى فقمت عنه " . [٣]

وقال الحسن بن رشيق :

" سمعت النسائي يقول : أمناء الله على علم رسول الله ﷺ ثلاثة : شعبة ، ومالك ، ويحيى القطان " . [٤].

---

[١] أنظر : " الإنتقاء " (ص : ٣٨) .
[٢] " سير أعلام النبلاء " ٧٨/٨ .
[٣] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣١٧/٦.
[٤] " سير أعلام النبلاء " ١٠٦/٨ .

وقال عبد السلام بن عاصم :

" قلت لأحمد بن حنبل : رجل يحب أن يحفظ حديث رجل بعينه ؟

قال : يحفظ حديث مالك .

قلت : فرأي ؟

قال : رأي مالك " . [١]

ونقل القاضي عياض في " ترتيب المدارك " عن الأئمة فقال :

قال أحمد بن صالح :

" كان مالك في ثلاث طبقات ، طبقة دونه وأخرى فوقه ، ولم يكن في الثلاث طبقات من يجيد الطلب مثله ، فاق الثلاث طبقات ، فالتي فوقه من ولد في الثمانين : ابن عجلان ، وابن أبي ذئب ونمطهم ، والتي معه عبد العزيز ابن الماجشون ، وأبي الزناد ، وسليمان بن بلال وغيرهم ، والذين دونهم : ابن الدراوردي ، وابن أبي حازم أنس بن عياض " .

وقال ابن هرمز يوماً لجاريته :

" من بالباب ؟ فلم تر إلا مالكاً فذكرت ذلك له فقال : دعيه فإنه عالم الناس "

وقال ابن شهاب :

" أنت من أوعية العلم ، وإنك لنعم مستودع العلم " .

---

[١] " سير أعلام النبلاء " ١١١/٨ .

وقال محمد بن الحكم :

" كان الشافعي دهره إذا سئل عن الشيء يقول : هذا قول الأستاذ .

يريد مالكاً " .

وقال ابن المبارك :

" لو قيل لي اختر للأمة إماماً اخترت لها مالكاً " .

وقال ابن مهدي :

" أئمة الحديث الذين يقتدى بهم أربعة : سفيان بالكوفة ، ومالك بالحجاز والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة " . [١]

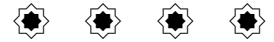

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

وقاره و هيبته ـ رحمه الله ـ

📖 كان للإمام مالك عند الناس هيبه شديدة في صدور الخلق ، خاصتهم وعامتهم ، حتى خليفة المسلمين كان يهابه ويخشاه . . .

وإليكم ما ذكره القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في كتابه " ترتيب المدارك" من كلام الأئمة والعلماء في ذلك : [١]

قال زياد بن يونس :

" ما رأيت قط عالماً ، ولا عابداً ، ولا شاطراً ، ولا والياً أهيب من مالك رحمه الله تعالى " .

وقال ابن الماجشون :

" دخلت على أمير المؤمنين المهدي ، فما كان بيني وبينه إلا خادمه ، فما هبته هيبتي مالكاً ، وقال مثله الدراوردي " .

وقال سعيد بن أبي مريم :

" ما رأيت أشد هيبة من مالك ، لقد كانت هيبته أشد من هيبة السلطان " .

وقال مصعب الزبيري :

" ما رأيت قط أهيب من مالك إلا الخليفة " .

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

وقال سعيد بن أبي هند :

" ما هبت أحداً هيبتي عبد الرحمان بن معاوية ـ يريد ملك الأندلس ـ حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة ، صغرت هيبة ابن معاوية " .

وقال الشافعي :

" ما هبت أحداً قط هيبتي مالك بن أنس حين نظرت إليه " .

وقيل : كان الثوري في مجلسه فلما رأى إجلال الناس له وإجلاله للعلم أنشد:

يأبي لجواب فلا يراجع هيبـــة فالسائلون نواكس الأذقـــــان
أدب الوقار وعز سلطان التقـى فهو المهيب وليس ذا سلطـــان

وقال عبد الله بن نافع الزبيري :

" كنت أقرأ على نافع بن أبي نعيم بعد الصبح ، فرفعت صوتي فزجرني وقال : أما ترى مالكاً ، وهو أول ما عرفت به مالكاً " .

وقال يونس بن تميم :

" قدمت المدينة سنة ستين ومائة ، فأتيت مالكاً ، فلما نظرت إليه هبته ولم أتقدم إليه ، ورأيت الناس يهابونه ، فأقمت أتردد عشرة أيام ، فشكوت ذلك لبعض أهل المدينة ، فقيل لي : اعط كاتبه يسأل لك عما أحببت ، وأما أنت فلا أحسب تتهيأ لك مسائلته ، لأنه أهيب من ذلك في صدور الناس " .

وقال المسيبي :

" كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال رجل من أهل نصيبين : يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم " **الصوفية** " يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون .

فقال مالك : الصبيان هم ؟ قال : لا .

قال أمجانين ؟ قال : لا ، قوم مشائخ وغير ذلك عقلاً .

قال مالك : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا .

قال الرجل : بل يأكلون ، ثم يقومون فيرقصون نوائب ، ويلطم بعضهم رأسه ، وبعضهم وجهه ، فضحك مالك ، ثم قام فدخل منزله .

فقال أصحاب مالك للرجل : لقد كنت يا هذا مشؤوماً على صاحبنا ، لقد جالسناه نيفاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم " .

وقال ابن أبي أويس :

" حضرت الاستسقاء بالمصلى ، فلما حول الإمام رداءه قام مالك يحول ساجا عليه ، فقام الناس فحولوا أرديتهم .

فلما انصرف مالك قيل له : أمن سنة الاستسقاء إذا حول الإمام ، أن يقوم الناس يحولوا أرديتهم ؟

قال : ليس عليهم قيام ويحولون قعوداً ، وإنما قمت لأن ساجي كان تحتي فلم أقدر على تحويله حتى قمت " .

عفته وزهده ـ رحمه الله ـ

📖 على الرغم من شده اهتمامه بنفسه وبمظهره ـ رحمه الله ـ . . .

إلا أنه كان زاهداً في الدنيا . . .

راغباً عنها . . .

حيث كانت تأتيه الهدايا والأموال من الأمراء والخلفاء فيردها ولا يقبلها . . .

فعن حسين بن عروة قال :

" قدم المهدي ، فبعث إلى مالك بألفي دينار ، أو قال : بثلاثة آلاف دينار ، ثم أتاه الربيع بعد ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين يحب أن تعادله ـ أي تكون له عديلا في " **المحمل** " وتصاحبه في سفره إلى بغداد ـ إلى مدينة السلام .

فقال : قال النبي ﷺ : " **المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون** " .

والمال عندي على حاله " . [١]

وعن أبا مسهر قال :

" سأل المأمون مالك بن أنس : هل لك دار ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال : اشتر لك بها داراً ، قال : ثم أراد المأمون الشخوص وقال لمالك تعال معنا فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن ، فقال له : مالك إلى ذلك سبيل ، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ

[١] " تذكرة الحفاظ " للذهبي ٢١٠/١ ، و " الإنتقاء " (ص : ٤٢) .

افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا ، فعند كل أهل مصر علم ، ولا سبيل إلى الخروج معك ، فإن النبي ﷺ قال : " **والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون** " ، وقال : " **المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد** " ، وهذه دنانيركم فإن شئتم فخذوه وإن شئتم فدعوه " . [١]

وقال الحارث بن مسكين :

" رحم الله مالكاً ، ما كان أصونه للعلم وأصبره على الفقر ولزوم المدينة .

أمر له بجوائز ثلاثة آلاف دينار ، فما استبدل منزلاً غير المنزل الذي كان فيه ، ولا استفاد منه غلة ولا صنعة ولا تجارة " .

وقال ابن القاسم :

" كان لمالك ـ رحمه الله تعالى ـ أربعمائة دينار يتجر له بها ، فمنها كان قوام عيشه ومصلحته " . [٢]

❁ ❁ ❁ ❁

[١] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣٣١/٦ .
[٢] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

أخلاقه ـ رحمه الله ـ وتقواه

عن إسماعيل بن أبي أويس قال :

" سألت خالي مالكا عن مسألة ، فقال لي : انتظر ، ثم توضأ ، ثم جلس على السرير ، ثم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان لا يفتي حتى يقولها " . [١]

وعن مطرف بن عبد الله قال :

" قال لي مالك : ما يقول الناس في ؟ قلت : أما الصديق فيثني ، وأما العدو فيقع .

فقال : ما زال الناس كذلك ، ولكن نعوذ بالله من تتابع الالسنة كلها " . [٢]

وقال زهير بن عباد :

" ما كنت أقول لمالك رحمك الله ، إلا قال : وأنت رحمك الله .

وإذا قلت له عافاك الله ، قال : وأنت عافاك الله ، حسن أدب " . [٣]

وقال مطرف :

" كان مالك إذا دخل بيته قال : ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

[١] " سير أعلام النبلاء " ٦٦/٨ .
[٢] " حلية الأولياء " ٣٢١/٦ ، و " سير أعلام النبلاء " ٦٧/٨ .
[٣] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

فسئل عن ذلك فقال : قال الله تعالى : { **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ولا قوة إلا بالله** } ، وجنته بيته " . [١]

وعن أحمد بن سعيد الرباطي قال :

" سمعت عبد الرزاق يقول : سأل سندل مالكا عن مسألة ، فأجابه ، فقال : أنت من الناس ، أحيانا تخطئ ، وأحيانا لا تصيب .

قال : صدقت ، هكذا الناس .

فقيل لمالك : لم تدر ما قال لك ؟

ففطن لها ، وقال : عهدت العلماء ، ولا يتكلمون بمثل هذا ، وإنما أجيبه على جواب الناس " . [٢]

وقال عبد الله بن عبد الحكم :

" هيأ مالك بن أنس دعوة للطلبة وكنت فيهم ، فمضينا معه إلى داره ، فلما دلنا الدار قال : هذا المستراح ، وهذا الماء ، ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا ، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام ولم يؤت بالماء قبله لغسل أيدينا .

ثم أتى به بعده ، فلما خرج الناس سألته عما رأيت .

قال : أما أعلامي لكم بالمستراح والماء ، فإنما دعوتكم لأبركم ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيصل إليه الضرر .

[١] المصدر السابق .
[٢] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦٧/٨ .

وأما تركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول : هاهنا أبا فلان اجلس وها هنا أبا فلان اجلس ، وقد أنسى بعضكم ، فيظن ذلك نقصاً فيه ، فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم .

وأما تركي الماء قبل الطعام فإن الوضوء قبله من سنة الأعاجم ، وأما بعده فقد جاء في ذلك حديث " . [١]

[١] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

عبادته ـ رحمه الله ـ

📖 نقل القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في " ترتيب المدارك " ما كان عليه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من العبادة والطاعة فقال :

قال المغيرة :

" خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة ـ ناموا ـ فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلي ، فلما فرغ من الحمد لله ابتدأ بألهاكم التكاثر ، حتى بلغ : ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ، فبكى بكاءاً طويلاً وجعل يرددها ويبكي ، وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت إليها ، فلم أزل قائماً وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر .

فلما تبين له ركع ، فصرت إلى منزلي ، فتوضأت ، ثم أتيت المسجد فإذا به في مجلسه والناس حوله ، فلما أصبح نظرت فإذا وجهه قد علاه نور حسن " .

وقال محمد بن خالد بن عتمة :

" كنت إذا رأيت وجه مالك رأيت أعلام الآخرة في وجهه ، فإذا تكلم علمت أن الحق يخرج من فيه " .

وقال أبو مصعب :

" كان مالك يطيل الركوع والسجود في ورده ، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء .

فلما ضرب قيل له : لو خففت في هذا قليلاً .

فقال : ما ينبغي لأحد أن يعمل لله عملاً إلا حسنه ، والله تعالى يقول : { **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** } .

وقال ابن المبارك :

" رأيت مالكاً فرأيته من الخاشعين ، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه ، وذلك أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول : من أحل أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية " .

وقال مطرف :

" لقد رأيته يوماً وهو جالس في المجلس بعد الصبح يدعو ووجهه يصفر ويخضر ، حتى أطال الدعاء فأتاه سائل عن مسألة ، فقطع عليه ، فالتفت مغضباً ، فقال : يأت أحدكم الرجل وهو في دعائه وقد فتح الله عليه منه ما شاء أن يفتحه مما يستدعي به الإجابة ، فيقطع ذلك عليه فلا يعود أبداً " . [١]

وقال ابن وهب :

" قيل لأخت مالك : ما كان شغل مالك في بيته ؟ قالت : المصحف ، والتلاوة " . [٢]

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١١/٨ .

من كلامه ـ رحمه الله ـ

عن ابن وهب قال :

" سمعت مالكا يقول : اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع "[١]

وعن معن قال :

" عن مالك قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يعلن السفه ، وإن كان أروى الناس ، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ، ومن يكذب في حديث الناس ، وإن كنت لا أتهمه في الحديث ، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به " . [٢]

وعن ابن وهب قال :

" قيل لمالك : ما تقول في طلب العلم ؟ قال : حسن جميل ، لكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه " . [٣]

وعن مطرف بن عبد الله قال :

" سمعت مالكا يقول : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً ، الآخذ بها اتباع لكتاب الله ، واستكمال بطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في شئ خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ،

[١] " سير أعلام النبلاء " ٦٦/٨ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " ٦٧/٨ .
[٣] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣١٩/٦ .

ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها ، اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا " . [١]

وعن جعفر بن عبد الله قال :

" كنا عند مالك ، فجاءه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله : { **الرحمن على العرش استوى** } طه : ٥ ، كيف استوى ؟

فما وجد ـ غضب ـ مالك من شئ ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض ، وجعل ينكت بعود في يد ه، حتى علاه الرحضاء ، ثم رفع رأسه ، ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة " . [٢]

وروي عن عبد الله العمري العابد :

" أنه كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل ، والتخلي عن الناس ، فكتب إليه مالك : " إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فرب رجل فتح له

[١] أنظر : " حلية الأولياء " ٣٢٤/٦ ، و " سير أعلام النبلاء " ٨٩/٨ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ١٠٠/٨ . الرحضاء : العرق إثر الحمى ، قلت : وهذا هو المذهب الحق في صفات الله سبحانه ، نؤمن بها ، ونمرها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل { **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** } ، فإن الله أعلم بنفسه من كل أحد ، ورسول الله ﷺ أعلم الخلق ، فمتى ورد النص من الكتاب أو السنة الصحيحة بإثبات صفة أو نفيها ، فلا يجوز لأحد العدول عنه إلى قياس أو رأي ، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، يحتذى فيه حذوه ، ويتبع مثاله ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف ، وهذا هو مذهب السلف المشهود لهم بالفضل والخيرية ، كما ثبت عن سيدنا محمد خير البرية .

في الصلاة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد .

فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر " . [١]

وعن الإمام مالك قال :

" الجدال في الدين ينشئ المراء ، ويذهب بنور العلم من القلب ، ويقسي ويورث الضعن " . [٢]

وقال ابن وهب :

" قال مالك : العلم حيث شاء الله جعله ، ليس هو بكثرة الرواية " .

وعنه أيضاً قال :

" سمعت مالكاً يقول : حق على من طلب العلم أن يكون له وقار ، وسكينة ، وخشية ، والعلم حسن لمن رزق خيره ، وهم قسم من الله تعالى ، فلا تمكن الناس من نفسك ، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير ، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ .

وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه " . [٣]

[١] " سير أعلام النبلاء " ١١٤/٨ .
[٢] " ترتيب المدارك " ٧٠/١ .
[٣] " ترتيب المدارك " ١٨٦/١ ، و " سير أعلام النبلاء " ١٠٧/٨ .

وعنه قال : " عن مالك قال : بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى ، إلا نطق بالحكمة " .

وعنه قال : " عن مالك قال : إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه " [١]

وعن عبد الله بن يوسف قال :

" سئل مالك بن أنس عن الداء العضال ؟ فقال : الخبث في الدين " . [٢]

وعن الفروي قال :

" سمعت مالكاً يقول : إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير ، لم يكن للناس فيه خير " . [٣]

وعن مطرف بن عبد الله قال :

" سمعت مالكاً يقول : الدنو من الباطل هلكة ، والقول بالباطل بعد عن الحق ولا خير في شيء وإن كثر من الدنيا بفساد دين المرء ومروءته " . [٤]

ونقل القاضي ـ رحمه الله ـ عنه فقال :

" ينبغي للرجل إذا خول علماً وصار رأساً يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه ويمتهن نفسه إذا خلا بها ولا يفرح بالرئاسة ، فإذا اضطجع في قبره ووسد التراب رأسه ساءه ذلك كله " .

[١] " سير أعلام النبلاء " ١٠٩/٨ .
[٢] " حلية الأولياء " ٣١٩/٦ .
[٣] " حلية الأولياء " ٣٢١/٦ .
[٤] " تذكرة الحفاظ " للذهبي ٢١١/١ .

وقال لأبي مسهر : " لا تسأل عما لا تريد فتنسى ما تريد ، فإنه من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه " .

وقال : " من إذالة العلم أن تجيب كل من سألك ، ولا يكون إماماً من حدث بكل ما سمع ، ومن إذالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه " .

وقال : " إن المسألة إذا سئل فيها الرجل ولم يجب واندفعت عنه فإنما هي بلية صرفها الله عنه " .

وقال خالد بن حميد :

" سمعته يقول : عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله ، ويدعوك لحال الآخرة فعله ، وإياك ومجالسة من يعللك قوله ، ويعيبك دينه ، ويدعوك إلى الدنيا فعله " .

وقال لبعض بني أخيه : " إذا تعلمتم علماً من طاعة الله فلير عليك أثره ، ولير فيك سمته ، وتعلم لذلك العلم الذي علمته السكينة والحلم والوقار " . [١]

[١] " أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

من نصائحه للخلفاء ـ رحمه الله ـ

قال سعيد بن أبي زنبر :

" كتب مالك ـ رحمه الله ـ إلى بعض الخلفاء كتاباً يعظه فيه : أما بعد فإني كتبت إليك كتاباً لم آل فيه رشداً ، ولم أدخر فيه نصحاً ، تحميد الله ، وأدب رسول الله ﷺ فتدبر ذلك بعقلك ، ورد فيه بصرك ، وأوعه سمعك ، واعقله بعقلك ، واحضره فهمك ، ولا تغيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة .

ذكر نفسك غمرات الموت وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله تعالى ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وأعد له ما تسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها ، فإنك لو رأيت أهل سخط الله وما صاروا إليه من أنواع العذاب وشدة نقمة الله ، وسمعت زفيرهم في النار ، وتنهيقهم مع كلوح وجوههم ، وطول غمتهم ، وتقلبهم في إدراكها على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون يدعون بالثبور ، وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى بوجهه ، وانقطاع رجائهم من روحه ، وإجابته إياهم بعد طول الغم : أن اخسئوا فيها ولا تكلموني ، لم يتعاظمك شيء من الدنيا أردت به النجاة من ذلك ، ولا آمنك من هوله ولو قدمت في طلب النجاة جميع ما لأهل الدنيا كان ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله وما صاروا إليه من كرامة الله ، ومنزلتهم مع قربهم من الله تعالى

ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنظر إليه والمكانة منه ، والجاه عنده مع قربه منهم ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به الدنيا .

فاحذر على نفسك حذراً غير تقرير ، وبادر إلى نفسك قبل أن تسبق إليها وما تخاف الحسرة فيه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك لله تعالى على مهل وأنت تقدر بإذن الله تعالى على جر المنفعة ، وصرف الحجة عنها قبل أن يوليك الله حسابها ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ولا جر المنفعة ، وصرف الحجة عنها قبل أن يوليك الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ولا جر المنفعة إليها .

واجعل الله من نفسك نصيبها بالليل والنهار ، إن عمرك ينقص مع ساعات الليل ، وأنت قائم على الأرض وهو يساربك ، فكلما مضت ساعة من أجلك ، والحفظة لا يغفلون عن الدق والجل من عملك حتى تملأ صحيفتك التي كتب الله عليك ، فعليك بخلاص نفسك إن كنت لها محباً ، فاحذر وما قد حذرك الله منه تعالى فإنه يقول : { **ويحذركم الله نفسه** } ، ولا تحقر الذنب الصغير مع ما علمت من قول الله تعالى : { **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** } ، وقال : { **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** }.

وحافظ على فرائض الله واجتنب سخط الله ، واحذر دعوة المظلوم واتق يوماً ترجع فيه إلى الله والسلام " . [١]

وقال ابن نافع الصائغ :

---

[١] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

" كتب مالك إلى بعض الخلفاء كتاباً فيه : اعلم أن الله تعالى قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديماً ، وأتيت لك فيه ما أرجو أن يكون الله تعالى جعله لك سعادة ، وأمراً جعل به سبيلك إلى الجنة ، فلتكن رحمنا الله وإياك فيما كتبت إليك مع القيام بأمر الله ، وما استدعاك الله في رعيته فإنك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم ، وقد قال النبي ﷺ : " **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** " ، وروي في بعض الحديث : أنه يؤتى بالوالي ويده مغلولة إلى عنقه ، فلا يفك عنه إلا العدل ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول والله إن هلكت سخلة بشط الفرات ضياعاً لكنت أرى الله تعالى سائلاً عنها عمر وحج عشرة سنين ، وبلغني أنه كان ما ينفق في حجة إلا اثني عشر ديناراً .

وكان ينزل في ظل الشجرة ، ويحمل على عنقه الدرة ـ العصا ـ ويدور في الأسواق يسأل عن أحوال من حضره وغاب عنه ، فعمر رضي الله عنه كان مسدداً موفقاً مع ما قد شهد له النبي ﷺ بالجنة ، ثم مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين فكيف من قد علمت .

فعليك بما يقربك إلى الله وينجيك منه غداً ، أو احذر يوماً لا ينجيك فيه إلا عملك ، ويكون لك أسوة بما قد مضى من سلفك ، وعليك بتقوى الله فقدمه حيث هممت ، وتطلع فيما كتبت به إليك في أوقاتك كلها ، وخذ بنفسك فتعاهدها والأخذ به والتأديب عليه ، وأسأل الله تعالى التوفيق والرشاد ، إن شاء الله تعالى " . [1]

[1] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

📖 كان الإمام مالك ـ رحمه الله ـ قوالاً للحق ، أمراً به . . .

ناهياً عن المنكر ، بعيداً عنه . . .

قواماً على حدود الله تعالى في الأرض . . .

فكان ـ رحمه الله ـ لا تلومه في الله لومة لائم . . .

وكان كثيراً ما يتردد على الأمراء والخلفاء يعظهم ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر . . .

وكانت له ـ رحمه الله ـ كلمة مسموعة عندهم . . . .

فلا يقدر أحد أن يرد عليه قولاً قاله ، ولا حداً أمر به أن يطبق . . .

قال عبد الجبار بن عمر :

" حضرت مالكاً وقد أحضره الوالي في جماعة من أهل العلم ، فسألهم عن رجل عدى على أخيه حتى إذا أدركه ، فدفعه في بئر وأخذ رداءه ، وأبوا الغلامين حاضران ، فقال جماعة من أهل العلم : الخيار للأبوين في العفو أو القصاص .

فقال مالك : أرى أن تضرب عنقه الساعة .

فقال الأبوان : يقتل ابن بالأمس ، ونفجع في الآخر اليوم ؟ ، نحن أولياء الدم وقد عفونا .

فقال الوالي : يا أبا عبد الله ليس ثم طالب غيرهما ، وقد عفوا.

فقال مالك : والله الذي لا إله إلا هو لا تكلمت في العلم أبداً أو تضرب عنقه ، وسكت .

وكلم فلم يتكلم ، فارتجت المدينة وصاح الناس : إذا سكت مالك فمن يسأل ومن يجيب ؟ ، وكثر اللغط وقالوا : لا أحد بمصر من الأمصار مثله ، ولا يقوم مقامه في العلم والفضل .

فلما رأى الوالي عزمه على السكوت قدم الغلام فضرب عنقه ، فلما سقط رأسه ألتفت مالك إلى من حضر وقال : إنما قتلته بالحرابة حين أخذ ثوب أخيه ولم أقتله قوداً إذ عفا أبواه ، فانصرف الناس وقد طابت نفوسهم حين رأوه بر في يمينه إذ كان يعلم أنه لا يحنث " . [١]

وقال حفص بن عياث :

" كان مالك يجلس عند الوالي ، فيعرض عليه أهل السجن فيقول : اقطع هذا واضرب هذا مائة ومائتين ، واصلب هذا كأنه أنزل عليه كتاب " . [٢]

قال أشهب :

" دعا بعض الأمراء مالكاً يستشيره في شيء ، فدخل عليه وأشار بقطع قوم وقتل قوم ، وخرج علينا وهو يبتسم ويقرأ : { **لكم في القصاص حياة يا أولي الألباب** }.

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .
[٢] أنظر : المرجع السابق .

وقال معن :

" دخل إبراهيم بن يحيى العباسي أمير المدينة يوماً على مالك ، ومالك حديث عهد بعلة ـ مريض ـ فثبت مالك في مجلسه لم يقم له ولم يوسع ، فجلس إبراهيم على أقل فراش مالك ، ومالك لا يتزحزح ، فحادثة ساعة ثم قال له : ما تقول يا أبا عبد الله في محرم قتل قملة ؟

قال : لا يقتلها .

قال : فإنه قتلها فما فديتها ؟

قال مالك : لا يفعل .

قال : فعل .

قال : لا يفعل .

قال : أقول لك : قد فعل فتقول لي لا يفعل .

قال : نعم .

فقام إبراهيم مغضباً وسكت مالك ساعة ثم قال : إنما يريدون أن يعبثوا بالدين ، إنما الفدية على من قتلها غير عامد لقتلها .

وهذا يريد أن لا يبقى في عسكره قملة على أحد من حشمه " . [١]

وقال عتيق بن يعقوب :

[١] أنظر : المرجع السابق .

" خرجنا مع مالك إلى المصلى يوم عيد ومالك يمشي ، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة في سلاح وتعبيه ورايات وأعلام ، فنظر إليهم مالك فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ما هكذا كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون .

فبلغ ذلك عبد الملك فأتاه في المصلى .

فقال : يا أبا عبد الله ما الذي أنكرت ؟ قال ما رأيت معك .

إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة ، ولقد أخبرني يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثني عشر ألف ، وكان راكباً وحط راحلته وتحته قطيفة قيمتها أربعة دراهم ، منكس الرأس وهو يقول : الملك لله الواحد القهار .

وكان يأتي المصلى للعيدين والاستسقاء متوكئاً على عصا أو قوس منكساً رأسه خاشعاً " . [١]

وروي : " أن المهدي شاور مالكاً في ثلاثة أشياء : في الكعبة أن ينقضها ويردها على ما كانت عليه ، فأشار عليه أن لا يفعل ، وفي المنبر أن ينقضه ويرده على ما كان عليه وذلك حين أراد أن يرد المنابر كلها صغاراً على منبر النبي ﷺ ، فقال له مالك : إنما هو من طرفاء وقد سمر إلى هذه العيدان ، يعني التي زادها معاوية ﷺ ، وأخشى إن نقضته أن يخرب وينكسر ولولا ذلك لرأيت أن ترده إلى حالته الأولى ، وشاوره في نافع بن أبي نعيم القارىء أن يقدمه للصلاة ، فأشار عليه أن لا يفعل .

[١] أنظر : المرجع السابق .

وقال : هو إمام الآف أن يكون منه شيء من الغفلة فيحكى عنه " . [١]

وروي : " أن أبو جعفر المنصور ناظر مالكاً في مسجد النبي ﷺ فرفع أبو جعفر صوته ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد إن الله تعالى أدب قوماً فقال{ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** . الآية} ومدح قوماً فقال : { **إن الذين يغضون أصواتهم** . . . الآية } ، وذم قوماً فقال: { **إن الذين يناودنك من وراء الحجرات** . . الآية } ، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان أبو جعفر " . [٢]

[١] أنظر : المرجع السابق .
[٢] أنظر : المرجع السابق .

شجاعته وقوته في الحق ـ رحمه الله ـ

عن عمر بن المحبر الرعيني قال :

" قدم المهدي المدينة فبعث إلى مالك ، فأتاه ، فقال لهارون وموسى ـ ولداه ـ اسمعا منه ، فبعث إليه ، فلم يجبهما ، فأعلما المهدي فكلمه ، فقال : يا أمير المؤمنين العلم يؤتى أهله .

فقال : صدق مالك ، صيرا إليه ، فلما صار إليه ، فقال له مؤدبهما : اقرأ علينا ، فقال : إن أهل المدينة يقرؤون على العالم ، كما يقرأ الصبيان على المعلم ، فإذا أخطؤوا أفتاهم .

فرجعوا إلى المهدي ، فبعث إلى مالك فكلمه ، فقال : سمعت ابن شهاب يقول جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال ، وهم يا أمير المؤمنين : سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ، وعروة ، والقاسم ، وسالم ، وخارجة بن زيد ، وسليمان بن يسار ، ونافع ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ومن بعدهم : أبو الزناد ، وربيعة ويحيى بن سعيد ، وابن شهاب ، كل هؤلاء يقرأ عليهم ولا يقرؤون ، فقال : في هؤلاء قدوة ، صيروا إليه فاقرؤوا عليه ، ففعلوا " . [١]

وعن مصعب الزبيري قال :

" سأل هارون الرشيد مالكاً وهو في منزله ومعه بنوه أن يقرأ عليهم .

قال : ما قرأت على أحد منذ زمان وإنما يقرأ علي .

[١] " سير أعلام النبلاء " ٦٤/٨ .

فقال : أخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك ، فقال : إذا منع العلم لبعض الخاص لم ينتفع الخاص ، وأمر معن بن عيسى فقرأ عليه " . [١]

وعن ابن وهب :

" عن مالك قال : دخلت على أبي جعفر ـ الخليفة ـ فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبلون يده ، وعوفيت فلم أقبل له يدا " . [٢]

وعن أبو حاتم الرازي قال :

" حدثنا عبد المتعال بن صالح من أصحاب مالك قال : قيل لمالك : إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ، ويجورون ، فقال : يرحمك الله ، فأين المكلم بالحق " . [٣]

وقال مصعب :

" لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال ، فلما أبصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسلم عليه وسايره .

فالتفت مالك إلى المهدي فقال : يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن بالمدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم ، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ، ولا خير من المدينة .

فقال له : ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟

[١] " سير أعلام النبلاء " ٦٦/٨ .
[٢] " ترتيب المدارك " ٢٠٨/١ ، و " سير أعلام النبلاء " ٧٩/٨ .
[٣] " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم الرزاي ٣٠/١ .

قال : لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ ومن قبر محمد ﷺ عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم .

ففعل المهدي ما أمره به مالك .

فلما دخل المدينة ونزل وجه بغلة إلى مالك ليركبها ويأتيه ، فرد البغلة وقال إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ وأتاه ماشياً .

وكانت به علة ـ مرض ـ فاتكأ على المغيرة المخزومي ، وعلى ابن حسن العلوي ، وعلى بن أبي علي اللهلي ، وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها .

فلما بصر به المهدي قال : يا سبحان الله ، ترك ركوب البغلة إجلالاً لرسول الله ﷺ فقيض الله تعالى له هؤلاء فاتكأ عليهم ، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابوني .

فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا " . [١]

وروى : " أن مالكاً دخل على عبد الملك بن صالح أمير المدينة ، فجلس ساعة ثم دعا بالطعام والوضوء ، فقال : ابتدئ أولاً بأبي عبد الله .

فقال له مالك : إن أبا عبد الله ـ يعني نفسه ـ لا يغسل يده .

فقال لم ؟ قال : ليس هذا هو الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا ، إنما هو من زي الأعاجم ، وقد نهى عمر عن أمر الأعاجم ، وكان عمر إذا أكل مسح يده

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

بباطن قدمه .

فقال له عبد الملك : أأترك يا أبا عبد الله ؟ فقال : أي والله .

فما عاد إلى ذلك عبد الملك بن صالح " . [١]

وروي :

" أنه أثني على والي المدينة بحضرته عند مالك ، فغضب مالك ، ثم التفت إليه وقال : إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك ، فإن من أثنى عليك ، وقال فيك من الخير ما ليس فيك أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك ، فاتق الله في التزكية منك لنفسك ، وترضى بها من يقولها لك في وجهك ، فإنك أنت أعرف بنفسك منهم .

فإنه بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : " **قطعتم ظهره أو عنقه ، لو سمعها ما أفلح** " . [٢]

[١] أنظر : المرجع السابق .
[٢] المرجع السابق .

محنته ـ رحمه الله ـ

📖 تعرض الإمام مالك ـ رحمه الله ـ لمحنه عصيبه ، وابتلاء كبير . . .

جلد فيه ، وضرب ، ونكل به ـ رحمه الله ـ

وكل ذلك من أجل كلمة حق قالها في وجهه سلطان جائر . . .

ولكن إذا لم يكن هذا الإمام ممن يصدعون بالحق أمام وجوه الطغاة ، فمن يكون إذا ؟! . . .

إنها ضريبة الإيمان ، فالإبتلاء يكون على قدر إيمان العبد ، فكلما زاد إيمانه اشتد بلاؤه ، كما قال ﷺ عندما سُأل عن اشد الناس بلاء فقال : " **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة** " . [١]

قال محمد بن جرير :

" كان مالك قد ضرب بالسياط ، واختلف في سبب ذلك ، فحدثني العباس بن الوليد ، حدثنا ابن ذكوان ، عن مروان الطاطري ، أن أبا جعفر نهى مالكا عن حديث : " ليس على مستكره طلاق " ، ثم دس إليه من يسأله ، فحدثه به على رؤوس الناس ، فضربه بالسياط " . [٢]

[١] صحيح : صححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " : رقم : (١٤٣) .
[٢] أنظر : " ترتيب المدارك " ٢٢٨//١ ، و " وفيات الأعيان " لابن خلكان ١٣٧/٤ ، و " الإنتقاء " (ص : ٤٣)

وعن إبراهيم بن حماد قال :

" أنه كان ينظر إلى مالك إذا أقيم من مجلسه ، حمل يده بالأخرى " . [١]

وعن الفضل بن زياد قال :

" سألت أحمد بن حنبل : من ضرب مالكاً ؟ قال : بعض الولاة في طلاق المكره ، كان لا يجيزه ، فضربه لذلك " . [٢]

وعن أبا داود يقول :

" حكى لي بعض أصحاب ابن وهب عنه ، أن مالكا لما ضرب ، حلق وحمل على بعير ، فقيل له : ناد على نفسك .

فقال : ألا من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس ، أقول طلاق المكره ليس بشئ .

فبلغ ذلك جعفر بن سليمان الأمير ، فقال : أدركوه ، أنزلوه " . [٣]

وعن الواقدي قال :

" لما دُعي مالك ، وسمع منه ، وقبل قوله حُسد ، وبغوه بكل شئ ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة ، سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى إيمان بيعتكم هذه بشئ ، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره ، أنه لا يجوز عنده ، قال : فغضب جعفر ، فدعا بمالك ، فاحتج

[١] " سير أعلام النبلاء " ٨٠/٨ .
[٢] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣١٦/٦ .
[٣] " سير أعلام النبلاء " ٩٦/٨ ، و " حلية الأولياء " ٣١٦/٦ .

عليه بما رفع إليه عنه ، فأمر بتجريده وضربه بالسياط ، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه ، وارتكب منه أمر عظيم ، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو " .

قلت ـ **الذهبي** ـ : " هذا ثمرة المحنة المحمودة ، أنها ترفع العبد عند المؤمنين ، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا ، ويعفو الله عن كثير ، : " **ومن يرد الله به خيراً يصب منه** " ، وقال الله تعالى : { **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** } محمد : ٣١ .

فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه ، فالله حكم مقسط ، ثم يحمد الله على سلامة دينه ، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له " . [١]

[١] " سير أعلام النبلاء " ٨١/٨ .

ثناء الناس عليه ـ رحمه الله ـ

📖 شهد الجميع للإمام ماك بالإمامة في العلم . . . .

وبالرجاحة في العقل . . . .

وبالتثبت في الرواية . . .

وهذا الأمر لا يختلف عليه اثنان ، ولا ينتطح فيه كبشان . . .

فكان ـ رحمه الله ـ إمام للمسلمين بحق . . .

وهذه شهادة أغلب المسلمين منذ عهده هو ـ رحمه الله ـ إلى وقتنا هذا . .

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره أحدها : طول العمر ، وعلو الرواية ، وثانيتها : الذهن الثاقب والفهم ، وسعة العلم ، وثالثتها : اتفاق الأئمة على انه حجة صحيح الرواية ، ورابعتها : تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن ، وخامستها : تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده " . [١]

وقال ابن حبان :

" من سادات أتباع التابعين ، وجلة الفقهاء والصالحين ، ممن كثرت عنايته بالسنن وجمعه لها وذبه عن حريمها ، وقمعه من خالفها أو رام مباينتها ، مؤثراً لسنة رسول الله ﷺ ، على غيرها من المخترعات الداحضة ، قائلاً بها

[١] أنظر : " تذكرة الحفاظ " للذهبي ٢١٢/١ .

دون الإعتماد على المقايسات الفاسدة " . [١]

وعن أبو مصعب قال :

" سمعت مالكاً يقول : دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين ، وقد نزل على مثال له ، يعني فرشه ، وإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولا تبولان ، وجاء صبي يخرج ثم يرجع ، فقال لي : أتدري من هذا ؟ قلت : لا .

قال : هذا ابني ، وإنما يفزع من هيبتك ، ثم ساءلني عن أشياء منها حلال ، ومنها حرام ، ثم قال لي : أنت والله أعقل الناس ، وأعلم الناس .

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين .

قال : بلى ، ولكنك تكتم .

ثم قال : والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف ، ولأبعثن به إلى الآفاق ، فلاحملنهم عليه " . [٢]

وقال ابن مهدي :

" أئمة الناس في زمانهم أربعة : الثوري ، ومالك ، والأوزاعي ، وحماد بن زيد ، وقال : ما رأيت أحدا أعقل من مالك " . [٣]

وعنه قال: " ما رأيت أحدا أهيب ولا أتم عقلاً من مالك ، ولا أشد تقوى " .

[١] أنظر : " مشاهير علماء الأمصار " لابن حبان ١٤٠/١ .
[٢] أنظر : " تذكرة الحفاظ " للذهبي ٢٠٩/١ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦١/٨ .
[٣] " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم الرازي ٣١/١ .

وقال ابن وهب :

" ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه " . [١]

وعن يحيي بن حيان قال :

" كنا عند وهيب فذكر حديثاً عن ابن جريج ومالك بن أنس عن عبد الرحمن بن القاسم ، فقلت لصاحب لي : اكتب ابن جريج ودع مالكاً ، وإنما قلت ذلك لأن مالكاً يومئذ حي ، فسمعها وهيب فقال : تقول دع مالكاً ! ما بين شرقها وغربها أحدا آمن عندنا على ذلك من مالك ، والعرض على مالك أحب إلى من السماع من غيره " . [٢]

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال :

" إنما أقتدي في ديني برجلين : مالك بن أنس في علمه ، وسليمان بن القاسم في ورعه " . [٣]

ونقل القاضي عياض ـ رحمه الله ـ عن الأئمة فقال :

قال زياد بن يونس :

" كان والله مالك أعظم الخلق مروءة ، وأكثرهم صمتاً ، وكان إذا جلس جلسة لا ينحل منها حتى يقوم ، ورأيته كثير الصمت ، قليل الكلام ، متحفظاً

[١] " سير أعلام النبلاء " ١١٣/٨ .
[٢] " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم الرزاي ١٥/١ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣٢١/٦ .

للسانه " .

وقال ابن المبارك :

" كان مالك أشد الناس مدارة للناس ، وترك ما لا يعنيه " .

وقال ابن أبي أويس :

" كان مالك يستعمل الأنصاف ، ويقول : ليس في الناس أقل منه ، فأردت المداومة عليه " .

وقال الزهراني :

" كان مالك إذا أصبح لبس ثيابه وتعمم ، ولا يراه أحد من أهله ولا أصدقائه إلا متعمماً لابساً ثيابه ، وما رآه أحد قط أكل أو شرب حيث يراه الناس ، ولا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعنيه " .

وقال سفيان بن عينية :

" ما نحن عند مالك ؟! إنما كنا نتبع آثار مالك " .

وقال : " ومالك سيد أهل المدينة " .

وقال : " مالك سيد المسلمين " .

وقال : " مالك إمام " .

وقال : " مالك عالم أهل الحجاز " .

وقال : " كان مالك سراجاً ، ومالك حجة في زمانه " .

وقال وقد بلغه وفاة مالك : " ما ترك مثله ، أو ما ترك على الأرض مثله " .

وقال عتيق :

" ما أجمع أهل المدينة على أحد بعد النبي ﷺ إلا على أبي بكر وعمر ، ومات مالك ولم نعلم أن أحداً من أهل المدينة قبل موته إلا وقد أجمع عليه " .

وقال ابن وهب :

" سألت عبد العزيز بن الماجشون عن مسألة ، فقال : ما يحضرني فيها جواب ، ولكن سل مالكاً وأخبرني بما يقول .

فسألته وأخبرته ، فقال : مالك سيدنا وعالمنا " .

وذكر عبد العزيز بن الماجشون مسألة اختلف فيها قول أبيه وقول مالك فقال وبقول مالك أقول ، وأميل مع مالك حيثما مال ، فإنه كان موفقاً " . [١]

❁ ❁ ❁ ❁

[١] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

ما قيل فيه من الشعر ـ رحمه الله ـ

قال أبو المعافى بن أبي رافع المديني :

ألا إن فقد العلم في فقد مالـــك فلا زال فينا صالح الحال مالـــك
يقيم طريق الحق والحق واضـح ويهدي كما تهدي النجوم الشوابـك
فلولاه ما قامت حدود كثيـــرة ولولاه لاشتدت علينا المسالـــك
عشونا إليه نبتغي ضوء رأيـــه وقد لزم الغي اللحوح المماحـــك
فجاء برأي مثله يقتدى به كنظـم جمان زينته السبائـــــك [1]

وقال ابن المبارك فيه :

صموت إذا ما الصمت زين أهلـه وفتاق أبكار الكلام المختـــم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة وسيطت له الآداب باللحم والـدم [2]

و قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في" المدارك " :

قال ابن مناذر :

ومن يبغي الوصاة فإن عنـــدي وصاة للكهول وللشبـــاب
خذوا عن مالك وعن ابن عـــون ولا تروا أحاديث ابـــن داب

وأنشد أبو محمد الضراب لبعضهم:

إذا ما عدت العلماء يومـــاً فمالك في العلوم هو الضيـــاء

[1] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ١١٨/٢٧ .
[2] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ١٣٣/٨ .

تبوأ ذروة العلماء قـــوم فهو كالأرض وهو لهم سمـــاء

وقال أبو محمد بن أبي زيد لبعض من ناقض قول مالك :

تخطيت نجوم السمـــاء وهذا هو الأمل الكـــاذب
تروم إمام الهدى مالكـــاً وذاك هو الجبل الراهـــب
فما أثر الدر في صحـــوة ومجهوده قائم راتـــب
بدون منالك من مالـــك فدونك هذا الرجاء الخائـــب
ودونك من دون ما رمتـــه بعيد كما بعد الثاقـــب

وأنشد لابن سليمان أخو بني خضرة في مالك :

كم فقه الله من جاب بمجلســـه وزاد فقهاً به من فقه عبـــاس
ما ينتهي الناس في الفتوى إذا اجتهـ دوا وقايسوك لذي النوكى بمقياس
أنت الفقيه إذا ودت بقيتنـــا لا الضارب فيه أخماساً بأســداس

وقال الفقيه محمد بن عمار الكلاعي أيضاً من قصيدة منها :

وكن في ذي المذاهب مالكيـــاً مدينياً وسنياً متينـــا
مدينة خير من ركب المطايـــا ومهبط وحي رب العالمينـــا
بها كان النبي وخير صحـــب وأكثرهم بها أضحى دفينـــا
ومالك الرضى لا شك فيـــه وقد سلك الطريق المستبينـــا
نظرنا في المذاهب فما رأينـــا كمذهب مالك للناظرينـــا
ومذهبه اتباع لا ابتـــداع كما اتبع الكريم الأكرمينـــا
وعندي كل مجتهد مصيـــب ولكن مالكاً في السابقينـــا
وقد دل الدليل على صـــواب يقول به لدى المتحققينـــا

توقيره وتعظيمه للنبي ﷺ

📖 كان الإمام مالك ـ رحمه الله ـ شديد الحب والتعظيم للنبي ﷺ . . .

حيث كان حب النبي ﷺ يملأ سويداء قلبه . . .

فكان ـ رحمه الله ـ شديد التوقير والتعظيم له ﷺ . .

ولقد بلغ محبته للنبي ﷺ وتوقيره له أنه كان يمشي على قدميه دوماً في المدينة ، ولا يركب شئ أبداً ، ويقول : " كيف أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ " .

وعن معن بن عيسى قال :

" كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل ، وتبخر ، وتطيب ، فإن رفع أحد صوته في مجلسه زبره ـ نهاه ـ وقال : قال الله تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** } فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ " .

وعن ابن أبي أويس قال :

" كان مالك إذا أراد أن يحدث ، توضأ وجلس على فراشه ، وسرح لحيته وتمكن في الجلوس بوقار وهيبة ، ثم حدث ، فقيل له في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا ، وكان يكره

أن يحدث في الطريق وهو قائم أو يستعجل ، فقال : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ " . [١]

وعن إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قال :

" مر مالك بن أنس على ابن حازم وهو يحدث فجازه ـ تخطاه ـ ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني لم أجد موضعاً أجلس فيه ، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم " . [٢]

وعن الحارث بن مسكين قال :

" أخبرنا ابن القاسم قال : قيل لمالك : لم لم تأخذ عن عمرو بن دينار ؟

قال : أتيته ، فوجدته يأخذون عنه قياماً ، فأجللت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائماً " . [٣]

وقال أبو مصعب :

" كان مالك لا يحدث إلا وهو على طهارة إجلالاً للحديث " . [٤]

وقال ابن خلكان :

" وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة " . [٥]

---

[١] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣١٨/٦ .
[٢] المصدر السابق .
[٣] " سير أعلام النبلاء " ٦٧/٨ .
[٤] " حلية الأولياء " ٣١٨/٦ .
[٥] " وفيات الأعيان " لابن خلكان ١٣٦/٤ .

وقال مصعب بن عبد الله :

" كان مالك إذا سئل الحديث توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ، فقيل له في ذلك ، فقال إنه حديث رسول الله ﷺ " . [١]

وقال ابن مهدي :

" مشيت مع مالك يوماً إلى العقيق من المسجد ، فسألته عن حديث فانتهرني ، وفي رواية : فالتفت إلي وقال لي : كنت في عيني أجل من هذا ، أتسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي .

فقلت : إنا لله ، ما أراني إلا وقد سقطت من عينه .

فلما قعد في مجلسه بعدت منه ، فقال : ادن ها هنا ، فدنوت فقال : قد ظننت أنا أدبناك .

تسألني عن حديث رسول الله ﷺ وأنا أمشي ، سل عما تريد هاهنا " . [٢]

وقال المروي :

" كان مالك إذا جلس معنا كأنه واحد ينبسط معنا في الحديث ، وهو أشد تواضعاً منا له .

فإذا أخذ في الحديث تهيبنا كلامه كأنه ما عرفنا ولا عرفناه " .

وقال مصعب بن عبد الله :

[١] " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .
[٢] أنظر : المصدر السابق .

" كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه ، وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك

فقال : لو رأيتم لما أنكرتم علي ، ما ترون كنت آتي محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله على حديث إلا بكى حتى نرحمه ، ولقد أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم ، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اخضر واصفر" . [١]

وقال الشافعي :

" رأيت بباب مالك كراعاً من أفراس خراسان ، وبغال مصر ، فقلت : ما أحسنها ! فقال : هي هبة مني إليك ، فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها.

قال : أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة " . [٢]

وقال عتيق بن يعقوب :

" فلما حضرته الوفاة ـ يقصد مالك ـ سئل عن تخلفه عن المسجد ، قال عتيق بن يعقوب وكان تخلفه عنه قبل موته بسنين ، فقال : لولا أني في آخر يوم من الدنيا ، وأوله من الآخرة ما أخبرتكم ؟ سلس بولي .

فكرهت أن آتي مسجد رسول الله ﷺ على غير طهارة استخفافاً لرسول الله ﷺ ، وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي " . [٣]

[١] أنظر : المصدر السابق .
[٢] المصدر السابق .
[٣] المصدر السابق .

حرصه ـ رحمه الله ـ في الفتوى والرواية

📖 اشتهر عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ كثرة ترداده لكلمة : " **لا أدري** " ، وما كان عليه شيء أسهل من هذه الكلمة ، و لم يكن يشعر أن في هذا منقصة له بل كان إذا سُئل عن مسألة قال للسائل : أنظرني حتى أفكر .

وربما يأتيه في الغد فيجيبه ، وربما يقول له أيضاً أنظرني . . .

و لقد عوتب الإمام مالك في ذلك فبكى وقال : " إني أخاف أن يكون لي في المسائل يوم وأي يوم " .

وقال لهؤلاء المنتقدين : " من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض على نفسه الجنة والنار ، و ليتصور موقفه من الله غداً " .

ولقد قال ـ رحمه الله ـ :

" جنة العالم : " **لا أدري** " ، فإذا أغفلها أصيبت مقاتله " . [١]

وعن ابن وهب :

" عن مالك ، سمع عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول : " **لا أدري** " ، حتى يكون ذلك أصلا يفزعون إليه " . [٢]

وقال ابن عبد البر :

[١] " سير أعلام النبلاء " ٧٧/٨ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " ٧٧/٨ .

" صح عن أبي الدرداء ﷺ أن : " **لا أدري** " ، نصف العلم " . [١]

وقال ابن وهب :

" لو شئت أن أملا ألواحي من قول مالك : (**لا أدري**) لفعلت " . [٢]

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال :

" كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله جئتك من مسيره سته أشهر ، حملني أهل بلادي مسئله أسألك عنها ، قال : فسل ، قال : فسأل الرجل عن أشياء ، فقال مالك : لا أحسن ، قال : فقطع بالرجل كأنه قد جاء الى من يعلم كل شيء ، قال : وأي شيء أقول لأهل بلادي إذا رجعت إليهم .

قال : تقول لهم : قال مالك بن أنس لا أحسن " . [٣]

وعن سعيد بن سليمان قال :

" قلما سمعت مالكاً يفتي بشيء إلا تلا هذه الآية : { **إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين** } " . [٤]

وعن عمرو بن يزيد قال :

" قلت لمالك : يا أبا عبد الله ، يأتيك ناس من بلدان شتى قد أنضوا مطاياهم وأنفقوا نفقاتهم يسألونك عما جعل الله عندك من العلم ، تقول : لا أدري .

[١] " ترتيب المدارك " ١٤٤/١ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠٨/٨ .
[٣] " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ١٨/١ .
[٤] " حلية الأولياء " ٣٢٣/٦ .

فقال : يا عبد الله يأتيني الشامي من شامه ، والعراقي من عراقه ، والمصري من مصره فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به ، فأين أجدهم " . [١]

وقال الهيثم بن جميل :

" سمعت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة ، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بلا أدري " .

وعن خالد بن خداش قال :

" قدمت على مالك بأربعين مسألة ، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل " .

وعن ابن وهب قال :

" سمعت مالكا وقال له ابن القاسم : ليس بعد أهل المدينة أحد أعلم بالبيوع من أهل مصر ، فقال مالك : من أين علموا ذلك ؟ قال : منك يا أبا عبد الله .

فقال : ما أعلمها أنا ، فكيف يعلمونها بي ؟ " . [٢]

📖 وكما كان الإمام مالك شديد الحرص في الفتوي ، كان أيضاً شديد الحرص في من يروي عنه حديث النبي ﷺ .

فلا يروي ـ رحمه الله ـ إلا عن ثقة أمين . . .

وذلك إنما اجلالاً لحديث رسول الله ﷺ . . . .

[١] " حلية الأولياء "لأبي نعيم ٣٢٤/٦ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " ٧٦/٨ .

فعن سفيان قال :

" رحم الله مالكاً ، ما كان أشد انتقاده للرجال " . [١]

وقال بشر بن عمر الزهراني :

" سألت مالكاً عن رجل ، فقال : هل رأيته في كتبي ؟ قلت : لا ، قال : لو كان ثقة لرأيته في كتبي " . [٢]

قلت ـ **المصنف** ـ : فهذا القول يؤكد بأنه لا يروي إلا عمن هو عنده ثقة .

وعن ثمان بن كنانة :

" عن مالك قال : ربما جلس إلينا الشيخ ، فيحدث جل نهاره ، ما نأخذ عنه حديثاً واحداً ، وما بنا أن نتهمه ، ولكن لم يكن من أهل الحديث " .

وقال ابن عيينة :

" ما نحن عند مالك ، إنما كنا نتبع آثار مالك ، وننظر الشيخ إن كان كتب عنه مالك كتبنا عنه " .

وعن ابن عيينة قال :

" كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ، ولا يحدث إلا عن ثقة ، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته ـ يعني من العلم ـ " . [٣]

[١] " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢/١ .
[٢] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٧٢/٨ .
[٣] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٧٣/٨ .

وعن الشافعي قال :

" كان مالك إذا شك في حديث طرحه كله " . [١]

وعن حبيب بن زريق قال :

" قلت لمالك بن أنس : لم تكتب عن صالح مولى التوأمة ، وحزام بن عثمان وعمر مولى غفرة ، قال : أدركت سبعين تابعياً في هذا المسجد ، ما أخذت العلم إلا عن الثقات المأمونين " . [٢]

ونقل القاضي عياض ـ رحمه الله ـ كلام العلماء في هذا فقال : [٣]

قال عبد الرحمن العمري :

" قال لي مالك : ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم ، فقلت : يا أبا عبد الله ما كلامك عند الناس إلا كنقش في حجر ، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك .

قال فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا " .

وقال ابن القاسم :

" سمعت مالكاً يقول : إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة ، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن " .

[١] " سير أعلام النبلاء " ٧٥/٨ .
[٢] " حلية الأولياء " ٣٢٣/٦ .
[٣] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاض عياض .

وقال ابن عبد الحكم :

" كان مالك إذا سئل عن المسألة قال للسائل : انصرف حتى أنظر فيها .

فينصرف ويتردد فيها .

فقلنا له في ذلك ، فبكى وقال : إني أخاف أن يكون لي من السائل يوم ، وأي يوم " .

قال وزاده : " كان مالك إذا جلس نكس رأسه ويحرك شفتيه بذكر الله ، ولم يلتفت يميناً ولا شمالاً " .

وزاده : " فإذا سئل عن مسألة تغير لونه ، وكان أحمر بصفرة ، فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفتيه ، ثم يقول : ما شاء الله ولا قوة إلا بالله ، فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة " .

وقال مالك ـ رحمه الله ـ :

" ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام ، كأن هذا هو القطع في حكم الله ، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه .

ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا ، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غداً لقللوا من هذا ، وإن عمر بن الخطاب وعلياً خيار الصحابة كانت تتردد عليهم المسائل وهم خير القرون الذي بعث فيهم النبي ﷺ وكانوا

يجمعون أصحاب النبي ﷺ ويسألون حينئذ ثم يفتون فيها ، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا ، فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم " .

و قال ـ رحمه الله ـ : " ولم يكن من أمر الناس ولا من مضى ولا من سلفنا الذين يقتدى بهم ويعول الإسلام عليهم أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام ، ولكن يقول أنا أكره كذا ، وأحب كذا .

وأما حلال وحرام فهذا الإفتراء على الله ، لأن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرماه " .

وقال موسى بن داوود :

" ما رأيت أحداً من العلماء أكثر أن يقول: ما أحسن من مالك .

وربما سمعته يقول : ليس هذا ببلدنا " .

وقال معن بن عيسى :

" سمعت مالكاً يقول : إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه " .

موطأ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ

قد ذكر العلماء أن تأليف الإمام مالك " **الموطأ** " إنما كان باقتراح من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في قدمة من قدماته إلى الحج ، دعاه المنصور لزيارته فزاره فأكرمه أبو جعفر وأجلسه بجانبه وسأله أسئلة كثيرة فأعجبه سمته وعلمه وعقله وسداد رأيه وصحة أجوبته ، فعرف له مقامه في العلم والدين وإمامة المسلمين .

فقال له : ضع للناس كتابا أحملهم عليه ، فكلمه مالك في ذلك ـ أي مانعه مالك في حمل الناس على كتابه – فقال : ضعه فما أحد اليوم أعلم منك ، فوضع " **الموطأ** " فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر . [١]

والموطأ معناه : المسهل الميسر ، يقال في اللغة : وطؤ الموضع يوطؤ وطاءة ووطوءة : لان سهل فهو وطيء ووطأ الموضع صيره وطيء ، ووطأ الفراش : دمثه ودثره والموطأ : المسهل الميسر ، كما في " **المعجم الوسيط** ".

ولكتاب " **الموطأ** " مزايا كثيرة تميز بها عن سواه من كتب الحديث الشريف نتعرض هنا إلى جملة منها باختصار :

فمزية " **الموطأ** " **أولا** : أنه تأليف إمام فقيه محدث مجتهد متقدم كبير متبوع شهد له أئمة عصره ومن بعدهم بالإمامة في الفقه والحديث دون منازع .

ومزيته ثانيا : أنه أطبق العلماء على الثناء عليه وتبجيله ، وكثر كلامهم في

[١] " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٧٨/٨ .

مدحه وتقريظه ، وأكتفي هنا بكلمات قالها إمام الأئمة الفقيه المحدث المجتهد المتبوع الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وحسبك به وكفى .

قال : " ما على ظهر الأرض كتاب أصح بعد كتاب الله من كتاب مالك " .

وفي لفظ آخر : " ما بعد كتاب الله كتاب أنفع من الموطأ " .

ومزيته ثالثا : أنه من مؤلفات منتصف القرن الثاني من الهجرة ، فهو سابق غير مسبوق بمثله ، إذ هو أول كتاب في بابه ، وللسابق فضل ومزية إذ هو الإمام الذي سن التأليف الحديثي على أبواب الفقه ، واقتدى به المؤتمون من ورائه ، مثل عبد الله بن المبارك والبخاري ومسلم وسعيد بن منصور وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وسواهم .

فهو بسبق حائز تفضيـــلا مستوجب ثناءنا الجميـــــلا

وقال أبو الطاهر أحمد بن محمد الأصفهاني يمدح الموطأ :

وأعم الكتب نفعاً للفقيـــــه موطأ مالك لا شك فيـــــه

فلا تبدأ بشيء من سمـــاع سواه عن إمام ترتضيـــــه

وصاحب من يعظمه وجانب كتاب جميع من قد يزدريـــه [1]

[1] أنظر : " ترتيب المدارك " للقاضي عياض .

وفاته ـ رحمه الله ـ

قال القعنبي :

" سمعتهم يقولون : عمر مالك تسع وثمانون سنة ، ومات سنة تسع وسبعين ومئة " .

وقال إسماعيل بن أبي أويس :

" مرض مالك ، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت ، قالوا : تشهد ، ثم قال : { **لله الامر من قبل ومن بعد** } ، وتوفي صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة ، فصلى عليه الأمير عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد " .

وقال أبو مصعب الزهري :

" مات لعشر مضت من ربيع الأول سنة تسع " .[1]

وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" وغسله ابن أبي زنبر وابن كنانة ، وابنه يحيى ، وكاتبه حبيب يصبان عليه الماء ، ونزل في قبره جماعة ، وأوصى أن يكفن في ثياب بيض ، وأن يصلى عليه في موضع الجنائز ، فصلى عليه الأمير المذكور .

قال : وكان نائباً لأبيه محمد على المدينة ، ثم مشى أمام جنازته ، وحمل

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٣٠/٨ .

نعشه ، وبلغ كفنه خمسة دنانير " . [١]

وعن القعنبي قال :

" دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيته يبكي ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ما الذي يبكيك ؟ قال : فقال لي : يا ابن قعنب ، وما لي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني ، والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط ، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه ، وليتني لم أفت بالرأي ، أو كما قال ، وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ودفن بالبقيع بجوار إبراهيم ولد النبي ﷺ " . [٢]

وعن القواريري قال :

" كنا عند حماد بن زيد وجاءه نعي مالك بن أنس فقال : رحم الله أبا عبدالله كان من الدين بمكان " . [٣]

وعن الحسن بن عمر بن يزيد قال :

" سمعت القعنبي يقول : أتينا سفيان بن عيينة فرأيته حزيناً ، فقيل : بلغه موت مالك بن أنس ثم قال سفيان : ما ترك على الأرض مثله " . [٤]

وعن محمد بن إدريس الشافعي قال :

[١] " سير أعلام النبلاء " ١٣١/٨ .
[٢] " وفيات الاعيان " لابن خلكان ١٣٧/٤ .
[٣] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣٢١/٦ .
[٤] " حلية الأولياء " ٣٢١/٦ .

" قالت لي عمتي ونحن بمكة : رأيت في هذه الليلة عجباً ، فقلت لها : وما هو قالت : رأيت كأن قائلا يقول : مات الليلة أعلم أهل الأرض .

قال الشافعي : فحسبنا ذلك فإذا هو يوم مات مالك بن أنس " . [١]

و لقد رثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج فقال :

سقى جدثاً ضم البقيع لمالـــــك ... من المزن مرعاد السحائب مبـراق
إمام موطأه الذي طبقت بـــــه ... أقاليم في الدنيا فساح وآفـــــاق
أقام به شرع النبي محمـــــد ... له حذر من أن يضام وإشفـــــاق
له سند عال صحيح وهيبـــــة ... فللكل منه حين يرويه إطـــــراق
وأصحاب صدق كلهم علم فسـل ... بهم إنهم إن أنت ساءلت حـــــذاق
ولو لم يكن إلا ابن إدريس وحده ... كفاه ألا إن السعـــــادة أرزاق [٢]

[١] " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٣٣٠/٦ .
[٢] " وفيات الأعيان " لابن خلكان ١٣٧/٤ .

الإمام الشافعي

(١٥٠ - ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠ م)

إمام من أئمة المسلمين . . .

وعلم من أعلام الدين . . .

صاحب أحد المذاهب الأربعة المتبوعة . . .

هو الإمام الكامل ، العالم العامل . . .

ذو الشرف المنيف ، والخلق الظريف . . .

له السخاء والكرم ، وهو الضياء في الظلم . . .

أوضح المشكلات ، وأفصح عن المعضلات . . .

المنتشر علمه شرقاً وغرباً ، المستفيض مذهبه براً وبحراً . . .

المتبع للسنن والآثار ، والمقتدي بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار . . .

اقتبس عن الأئمة الأخيار ، فحدث عنه الأئمة الأحبار . . .

كان للآثار والسنن تابعاً ، وفي استنباط الأحكام والأقضية رائعاً . . .

وبالمقاييس المبنية على الأصول قائلاً ، وعن الآراء الفاسدة المخالفة للأصول عادلاً . . .

هو : الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، الإمام ، عالم العصر ، ناصر الحديث ، فقيه الملة ، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد .

نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه ، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب .

وأما جده السائب المطلبي ، فكان من كبراء من حضر بدراً مع الجاهلية ، فأسر يومئذ ، وكان يشبه بالنبي ﷺ ، ووالدته هي : الشفاء بنت أرقم بن نضلة ، ونضلة هو أخو عبد المطلب جد النبي ﷺ ، فيقال : إنه بعد أن فدى نفسه أسلم .

وابنه شافع له رؤية ، وهو معدود في صغار الصحابة .

وولده عثمان تابعي ، لا أعلم له كبير رواية .

وكان أخوال الشافعي من الأزد ـ قبيلة ـ .

وُلد بالاتفاق عام ١٥٠هجرية ، أي في العام الذي توفي فيه أبو حنيفة ، وقد غالى البعض فقال : في اليوم نفسه الذي مات فيه أبو حنيفة .

والصحيح الذي ذهب إليه الجمهور أنه ولِدَ في غزة في فلسطين ، وأن والده قرشي ، ويلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف جده ﷺ .

أما أمه فمن قبيلة أخرى ، من قبيلة الأسد وهي قبيلة عربية أصيلة و لكنها ليست قرشية .

ولِدَ الشافعي في أسرة فقيرة جداً ، وبعد ولادته بعامين توفي أبوه فقررت أمه العودة بإبنها محمد إلى مكة لأنه قرشي حتى لا يضيع نسبه ، ولأن له سهم من ذوي القربى .

عن ابن عبد الحكم قال :

" لما حملت والدة الشافعي به ، رأت كأن المشتري خرج من فرجها ، حتى انقض بمصر ، ثم وقع في كل بلدة منه شظية ، فتأوله المعبرون أنها تلد عالماً يخص علمه أهل مصر ، ثم يتفرق في البلدان " . [١]

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" ولد الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ بغزة من أرض فلسطين ، ومات أبوه إدريس شاباً ، فنشأ محمد يتيماً في حجر أمه ، فخافت عليه الضيعة ، فتحولت به إلى محتده وهو ابن عامين ، فنشأ بمكة " . [٢]

وعن أبي عبد الله الشافعي قال :

" ولدت باليمن ـ يعني القبيلة فإن أمه أزدية – قال : فخافت أمي علي الضيعة ، وقالت : ألحق بأهلك ، فتكون مثلهم ، فإني أخاف عليك أن تُغلب على نسبك ، فجهزتني إلى مكة ، فقدمتها يومئذ وأنا ابن عشر سنين ، فصرت إلى نسيب لي ، وجعلت أطلب العلم فيقول لي : لا تشتغل بهذا ، وأقبل على ما

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ٢/٥٨ـ٥٩ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/١٠ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦/١٠ .

ينفعك ، فجعلت لذتي في العلم " . [١]

ولخص ابن خلكان سيرة الشافعي فقال :

" مولده سنة خمسين ومائة ، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة ، وكانت ولادته بمدينة غزة ، وقيل بعسقلان ، وقيل باليمن ، والأول أصح ، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم ، وحديث رحلته إلى مالك بن أنس مشهور ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ، ثم خرج إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل سنة إحدى ومائتين .

ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى ، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم ـ رحمه الله ـ " . [٢]

[١] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم ، و " مناقب الشافعي " للبيهقي ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/١٠ .
[٢] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ١٦٥/٤ .

صفته ـ رحمه الله ـ

قال المزني :

" ما رأيت أحسن وجها من الشافعي ـ رحمه الله ـ وكان ربما قبض على لحيته فلا يفضل عن قبضته " . [١]

وعن إبراهيم بن برانة قال :

" كان الشافعي جسيماً طوالاً نبيلاً " . [٢]

وقال الزعفراني :

" قدم علينا الشافعي بغداد في سنة خمس وتسعين ، فأقام عندنا أشهر ، ثم خرج ، وكان يخضب بالحناء ، وكان خفيف العارضين ـ قليل لحم الوجه ـ " .

وقال أحمد بن سنان :

" رأيته أحمر الرأس واللحية ـ يعني أنه اختضب – " . [٣]

وقال ابن كثير :

" وكان أبيض جميلاً طويلاً مهيباً يخضب بالحناء " . [٤]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١/١٠ .
[٢] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٢٥) ، و " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٢/٩ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٦٨/٩ .
[٤] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ٢٧٧/١٠ .

طلبه للعلم ـ رحمه الله ـ

📖 كما سبق قلنا أن الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ كان فقيراً ، لذلك جاءت به أمه إلى مكة حتى لا يضيع نسبه ، و لأن له سهم من ذوي القربى .

ولكن هذا المال الذي كانت تأخذه من سهم ذوي القربى كان قليلاً وقليلاً جداً، فعانت هي ووليدها محمد حرماناً وفقراً ، ولكن الأم كانت قوية الشخصية راسخة الإيمان ، على جانب من العلم والحفظ ، فأرادت لولدها أن يتعلم و يحفظ ، فدفعت به إلى مكان في مكة يقرىء الصبيان ، ولكن الأم لم تجد أجر المعلم ، فكان الشيخ المقرىء يهمل ويقصِّر في تعليم الصبي المتعطش إلى العلم والمعرفة ، ولكن كان المعلم إذا علم صبياً شيئاً ، تلقف الشافعي ذلك الكلام ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضي شأنه ، أخذ محمد مكانه وراح يعلم الصبيان تلك الأشياء .

ورآه المعلم يفعل ذلك ، فارتاحت نفسه و نظر إلى أن الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي يطمع بها منه فترك طلب الأجرة ، واستمرت هذه الحال مع الشافعي حتى حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره ، ومنهم من قال و هو ابن سبع سنين .

قال الحميدي :

" سمعت الشافعي يقول : كنت يتيماً في حجر أمي ، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب ـ أي اقوم

بتعليمهم ـ ، وأخفف عنه " . [١]

وقال أحمد بن إبراهيم الطائي :

" حدثنا المزني ، سمع الشافعي يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت " الموطأ " وأنا ابن عشر " . [٢]

📖 ثم اتجه الشافعي إلى علم الحديث فلزم حلقة سفيان بن عيينة ، ومسلم بن خالد الزنجي في المسجد الحرام ، وكان الورق غالي الثمن ، باهظ التكاليف والشافعي وأمه في قلة وفقر فكيف يفعل في التدوين ؟

يُروى : أنه كان يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها ، أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التي يلقى بها فيستوهبها ويكتب على ظهرها .

هذه المعاناة وفقته إلى أن يعتمد على الحفظ فتكونت لديه حافظة قوية ساعدته مستقبلاً على حفظ كل ما يسمع وما يُلقى إليه من علم ومعرفة .

قال الحميدي :

" عن الشافعي قال : كان منزلنا بمكة في شعب الخيف ، فكنت أنظر إلى العظم يلوح ، فأكتب فيه الحديث أو المسألة ، وكانت لنا جرة قديمة ، فإذا امتلا العظم طرحته في الجرة " . [٣]

وعن الزبير بن سليمان القرشي :

[١] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٢٤) ، و " المناقب " للبيهقي ٩٢/١ .
[٢] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٦٢/٢ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١!/١٠ .
[٣] أنظر : " آداب الشافعي " (ص : ٢٤) ، و " حلية الأولياء " ٧٣/٩ .

" يذكر عن الشافعي قال : طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد ـ أي عن فقر ـ وكنت أجالس الناس وأتحفظ ، ثم اشتهيت أن أدون ، وكان منزلنا بمكة بقرب شعب الخيف ، فكنت أجمع العظام والأكتاف فأكتب فيها حتى امتلأ من دارنا من ذلك جباب " . [١]

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال :

" أخبرني بعض أصحابنا أن الشافعي قال : لم يكن لي مال ، كنت أطلب العلم في الحداثة ، فكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب عليها " . [٢]

📖 وبذكائه وملاحظته أدرك الشافعي أنَّ لغة قريش قد دخلتها ألفاظ غريبة ولم يعد لسانها هو اللسان العربي السليم في فصاحته وبيانه ، وعلِمَ أنه لا يستطيع أن يجيد علوم القرآن والحديث واستخراج الأحكام من النصوص إلا إذا أتقن اللغة العربية الصحيحة .

وكان يحضر في المسجد الحرام دروس إمام مصر الليث بن سعد حين يأتي حاجاً أو معتمراً ، وكان يوصي مستمعيه أن يتقنوا اللغة وأسرارها وأن يتعلموا خاصة كلام هُذَيل ـ وهم قبيلة في البادية ـ وأن يحفظوا أشعارهم لأن هذيل أفصح العرب .

فانطلق الشافعي إلى مضارب هذه القبيلة فأقام في ظهرانيهم و لازمهم عشرة أعوام ، عكف خلالها على دراسة اللغة وآدابها وحفظ الشعر ـ حفظ

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٧٣/٩ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٧٧/٩ .

أكثر من عشرة آلاف بيت ـ وأصبح الشافعي حجة عصره في اللغة ، كما تعلم الرماية والفروسية وبرع فيهما .

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" وأقبل على الرمي حتى فاق فيه الأقران ، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة ، ثم أقبل على العربية والشعر ، فبرع في ذلك وتقدم ، ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه " . [١]

وقال عمرو بن سواد :

" قال لي الشافعي : كانت نهمتي في الرمي وطلب العلم ، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة ، وسكت عن العلم فقلت : أنت والله في العلم أكبر منك في الرمي " . [٢]

وعن حسين الكرابيسي قال :

" سمعت الشافعي يقول : كنت امرأ أكتب الشعر ، فآتي البوادي فأسمع منهم فقدمت مكة ، فخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد ، وأضرب وحشي قدمي بالسوط فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال : رجل من قريش ثم ابن المطلب ، رضي من دينه ودنياه أن يكون معلماً ، تفقه يعلمك الله .

فنفعني الله بكلامه ، فكتبت ما شاء الله من ابن عيينة ، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد ، ثم قدمت على مالك ، فلما عرضت عليه الموطأ ، قال لي : تفقه يا

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٦/١٠ .
[٢] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٥٩/٢ و " أداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٢٢)

ابن أخي ، فجئت إلى مصعب بن عبد الله فكلمته أن يكلم لي بعض أهلنا ، فيعطيني شيئاً ، فإنه كان بي من الفقر والفاقة ما الله به عليم " . [١]

وقال ابن عبد الحكم :

" سمعت الشافعي يقول : قرأت القرآن على إسماعيل بن قسطنطين ، وقال : قرأت على شبل ، وأخبر شبل أنه قرأ على عبد الله بن كثير ، وقرأ على مجاهد وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس " . [٢]

وعن أبو عبيد قال :

" رأيت الشافعي عند محمد بن الحسن ، وقد دفع إليه خمسين دينارا ، وقد كان قبل ذلك دفع إليه خمسين درهما وقال : إن اشتهيت العلم فالزم .

قال أبو عبيد : " فسمعت الشافعي يقول : كتبت عن محمد وقر بعير ، ولما أعطاه محمد قال له : لا تحتشم .

قال : لو كنت عندي ممن أحشمك ـ أستحي منك ـ ، ما قبلت برّك " .

وعن الربيع بن سليمان :

" سمعت الشافعي يقول : حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي ـ بعير ـ ليس عليه إلا سماعي " . [٣]

📖 ثم لازم الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ الإمام مالك وتعلم على يديه ، ولم

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٧٠/٩ .
[٢] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٧٦/١ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٧٨/٩ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب ١٧٦/٢ .

يكن يتركه إلى إذا ذهب إلى أمه ، أو إلى رحلة علمية يتلقي فيها العلم ـ كما ذهب إلى العراق يتلقي العلم من الإمام أبو حنيفة ـ .

عن الربيع قال :

" سمعت الشافعي يقول : كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا ، ولقد كانوا يكتبون الصبيان أئمتهم ، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم أكون قد حفظت جميع ما أملي ، فقال لي ذات يوم : ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً ، قال : ثم لما خرجت من الكتاب وكنت ألتقط الخزف والدفوف ، وكرب النخل ، وأكتاف الجمال وأكتب فيها الأحاديث ، وأجئ إلى الدواوين فاستوهب منها الظهور ، وأكتب فيها حتى كان لأمي خباب فملأتها أكتافاً وخزفاً .

ثم إني خرجت من مكة فلزمت هذيلاً في البادية ـ قبيلة ـ أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرتحل برحلتهم وأنزل بنزولهم ، فلما أن رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب ، فمر بي رجل من بني عثمان من الزبيريين فقال : يا أبا عبد الله عز علي أن لا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكون قد سدت أهل زمانك ، قال : فقلت : ومن بقي يقصد إليه ـ أي من العلماء والأئمة ـ ؟!

فقال لي : هذا مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، قال : فوقع في قلبي ذلك

فعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً ، ثم دخلت إلى والي مكة ، فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس .

📖 قلت : **المصنف** ـ : خشيَ الشافعي أن لا يستقبله الإمام مالك لحداثة سنه فلقد اشتهرَ عن مالك أنه ـ رغم سماحته و طيب خُلقه ـ كان صارماً في العمل ، ولا يبيح وقته للناس ولا يستقبل من يطرق بابه خلال راحته في داره .

قال : فقدمت المدينة ، وأبلغت الكتاب إلى الوالي فلما أن قرأه قال : والله يا فتى إن أمشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً ، أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس ، فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه ، فقلت : أصلح الله الأمير ، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر ، فقال : هيهات ، ليتني إذا ركبت أنا معك ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا حاجتنا ، قال : فواعدته العصر وركبنا جميعاً ، فوالله لقد كان كما قال ، لقد أصابنا تراب العقيق ، قال : فتقدم رجل فقرع الباب ، فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولي لمولاك إني بالباب ، فدخلت ، فأبطأت ، ثم خرجت فقالت : إن مولاي يقرئك السلام ويقول : إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف.

فقال لها : قولي له معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة ، قال : فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي فوضعت ، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار ، وهو شيخ طوال مسنون اللحية ، فجلس وهو متطلس ، فدفع الوالي الكتاب من يده ثم قال : يا سبحان الله وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالرسائل

قال : فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه فقلت له : أصلحك الله إني رجل مطلبي ومن حالي ومن قصتي ، فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة وكان لمالك فراسة ، فقال لي : ما اسمك ؟

فقلت : محمد ، فقال لي : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن ، ثم قال : نعم وكرامة إذا كان غداً تجئ ويجئ من يقرأ لك الموطأ ، قال فقلت : فإني أقوم بالقراءة ، قال : فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي ، فكلما تهيبت مالكاً وأريد أن أقطع القراءة أعجبه حسن قراءتي وإعرابي يقول لي : بالله يا فتى زد ، حتى قرأته في أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك بن أنس " . [١]

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال :

" سمعت الشافعي يقول : حفظت الموطأ قبل أن آتي مالكاً ، فلما أتيته قال لي : اطلب من يقرأ لك ، فقلت : لا عليك أن تستمع لقراءتي فإن أعجبتك وإلا طلبت من يقرأ ، فقال : لي اقرأ ، فقرأت عليه " . [٢]

وعن الشافعي قال :

" أتيت مالكاً وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ـ كذا قال ، والظاهر أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة – قال : فأتيت ابن عم لي وكان والي المدينة ، فكلم مالكا .

فقال : اطلب من يقرأ لك .

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٥١/٢٨٥ـ٢٨٦ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٩/٦٩ .

قلت : أنا أقرأ ، فقرأت عليه ، فكان ربما قال لي لشئ قد مر : أعده ، فأعيده حفظا ، فكأنه أعجبه ، ثم سألته عن مسألة فأجابني ، ثم أخرى فقال : أنت تحب أن تكون قاضيا " . [١]

📖 إلى جانب هذه العلوم العديدة التى تعلمها الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ ، تعلم أيضاً علم " **الفراسة** " والتى اضطرته إلى أن يذهب إلى اليمن ، ليجمع كتب هذا العلم .

فعن الحميدي قال :

" قال محمد بن إدريس الشافعي : خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها ، ثم لما حان انصرافي مررت على رجل في الطريق وهو محتب بفناء داره ، أزرق العين ، ناتىء الجبهة ، فقلت له : هل من منزل؟ فقال : نعم .

قال الشافعي : وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة ، فأنزلني ، فرأيته أكرم ما يكون من رجل ، بعث إلي بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف فجعلت أتقلب الليل أجمع ما أصنع بهذه الكتب ، إذا رأيت النعت في هذا الرجل فرأيت أكرم رجل ، فقلت : أرمي بهذه الكتب ، فلما أصبحت قلت للغلام : أسرج ، فأسرج ، فركبت ومررت عليه وقلت له : إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى ، فاسأل عن محمد بن إدريس الشافعي ، فقال لي الرجل : أمولى لأبيك أنا ؟!

[١] أنظر : " المناقب " للبيهقي ١/١٠١ ، و " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٩/٦ .

قال : قلت : لا ، قال : فهل كانت لك عندي نعمة ؟

فقلت : لا ، فقال : أين ما تكلفته لك البارحة ؟

قلت : وما هو ؟ قال : اشتريت لك طعاماً بدرهمين ، وإذا ما بكذا وكذا وعطراً بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدابتك بدرهمين ، وكراء الفرش واللحاف درهمان ، قال : قلت : يا غلام اعطه ، فهل بقي من شيء ؟ قال : كراء البيت فإني قد وسعت عليك وضيقت على نفسي .

قال الشافعي : فغبطت بتلك الكتب ، فقلت له بعد ذلك : هل بقي لك من شيء؟ قال : امض أخزاك الله فما رأيت قط شرا منك " . [1]

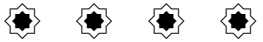

[1] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٤٤/٩ .

شيوخه وتلاميذه ـ رحمه الله ـ

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" أخذ الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ العلم ببلده عن : مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة ، وداود بن عبد الرحمن العطار ، وعمه محمد بن علي بن شافع ، فهو ابن عم العباس جد الشافعي ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي ، وسعيد بن سالم ، وفضيل بن عياض ، وعدة ، ولم أر له شيئا عن نافع بن عمر الجمحي ونحوه ، وكان معه بمكة .

وارتحل ـ وهو ابن نيف وعشرين سنة وقد أفتى وتأهل للإمامة ـ إلى المدينة فحمل عن مالك بن أنس " **الموطأ** " عرضة من حفظه ، وقيل : من حفظه لأكثره ـ وحمل عن : إبراهيم بن أبي يحيى فأكثر ، وعبد العزيز الدراوردي وعطاف بن خالد ، وإسماعيل بن جعفر ، وإبراهيم بن سعد وطبقتهم .

وأخذ باليمن عن : مطرف بن مازن ، وهشام بن يوسف القاضي ، وطائفة .

وببغداد عن : محمد بن الحسن فقيه العراق ولازمه ، وحمل عنه وقر بعير ، وعن إسماعيل بن علية ، وعبد الوهاب الثقفي وخلق .

حدث عنه : الحميدي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأحمد بن حنبل ، وسليمان بن داود الهاشمي ، وأبو يعقوب يوسف البويطي ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ، وحرملة بن يحيى ، وموسى بن أبي الجارود المكي ، وعبد العزيز المكي ، وحسين بن علي الكرابيسي ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ،

والحسن بن محمد الزعفراني ، وأحمد بن محمد الأزرقي ، وأحمد بن سعيد الهمداني ، وأحمد بن أبي شريح الرازي ، وأحمد بن يحيى بن وزير المصري وأحمد بن عبد الرحمن الوهبي ، وابن عمه إبراهيم بن محمد الشافعي ، وإسحاق بن راهويه ، وإسحاق بن بهلول ، وأبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى الشافعي المتكلم ، والحارث بن سريج النقال ، وحامد بن يحيى البلخي ، وسليمان بن داود المهري ، وعبد العزيز بن عمران بن مقلاص ، وعلي بن معبد الرقي ، وعلي بن سلمة اللبقي ، وعمرو بن سواد ، وأبو حنيفة قحزم بن عبد الله الأسواني ، ومحمد بن يحيى العدني ، ومسعود ابن سهل المصري ، وهارون بن سعيد الأيلي ، وأحمد بن سنان القطان ، وأبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ، ويونس بن عبد الأعلى ، والربيع ابن سليمان المرادي ، والربيع بن سليمان الجيزي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وبحر بن نصر الخولاني ، وخلق سواهم .

وقد أفرد الدارقطني كتاب من له رواية عن الشافعي في جزأين " . [١]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/٧-٨ .

علمه ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام ـ رحمه الله ـ آيه من آيات الله في الفقه . . .

ولم يكن الفقه وحده هو الذي نبغ فيه الإمام ـ رحمه الله ـ . . .

بل والشعر أيضاً ، فكان ـ رحمه الله ـ يحفظ عشرة ألاف بيت من الشعر . . .

وأيضاً كان الإمام عالماً في علم " **الفراسة** " . . .

وأيضاً الحديث ، فكان ـ رحمه الله ـ محدثا كبير الشأن ، منقطع النظير . . .

حتى قال عنه أحمد بن حنبل : " ما أحد ممن بيده محبرة ، أو ورق إلا وللشافعي في رقبته مِنة ـ أي فضل ـ " . [١]

قال أحمد بن محمد بن بنت الشافعي :

" سمعت أبي وعمي يقولان : كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شئ من التفسير والفتيا ، ألتفت إلى الشافعي فيقول : سلوا هذا " . [٢]

وقال الربيع :

" سمعت الشافعي قال لبعض أصحاب الحديث : أنتم الصيادلة ، ونحن الأطباء " . [٣]

وعن الحميدي قال :

[١] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ٤/١١٦٥ .
[٢] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢/٢٤٠ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/١٧ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ١/٢٣ .

" سمعت مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي : أفت يا أبا عبد الله ، فقد والله آن لك أن تفتي - وهو ابن خمس عشرة سنة - " . [١]

وقال حرملة :

" سئل الشافعي عن رجل في فمه تمرة ، فقال : إن أكلتها فامرأتي طالق ، وإن طرحتها فامرأتي طالق .

قال : يأكل نصفاً ، ويطرح النصف " . [٢]

وقال محمد بن مسلم بن وارة :

" سألت أحمد بن حنبل : ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين ، أهي أحب إليك ، أو التي بمصر ؟ قال : عليك بالكتب التي عملها بمصر ، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك .

وقلت لأحمد : ما ترى لي من الكتب أن أنظر فيه ، رأي مالك أو الثوري ، أو الأوزاعي ؟

فقال لي قولاً أجلهم أن أذكره وقال : عليك بالشافعي ، فإنه أكثرهم صواباً وأتبعهم للآثار " . [٣]

وعن الأزدي قال :

[١] أنظر : المناقب " للبيهقي ٢٣٤/٢ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب ٦٤/٢ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٤٣/٩.
[٣] أنظر : " أداب الشافعي " لابن ابي حاتم (ص : ٦٠) ، " المناقب " للبيهقي /٢٦٣ .

" سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الشافعي ، فقال : لقد من الله علينا به ، لقد كنا تعلمنا كلام القوم ، وكتبنا كتبهم ، حتى قدم علينا ، فلما سمعنا كلامه ، علمنا أنه أعلم من غيره ، وقد جالسناه الأيام والليالي ، فما رأينا منه إلا كل خير ، فقيل له : يا أبا عبد الله ، كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه - يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك - فقال أحمد بن حنبل : ما ندري ما يقولان والله ما رأينا منه إلا خيراً " . [١]

وعن الربيع قال :

" لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته لعجبت ، ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة ، لم نقدر على قراءة كتبه لفصاحته ، وغرائب ألفاظه ، غير أنه كان في تأليفه يوضح للعوام " .

ونقل الامام ابن سريج عن بعض النسابين قال :

" كان الشافعي من أعلم الناس بالأنساب ، لقد اجتمعوا معه ليلة فذاكرهم بأنساب النساء إلى الصباح ، وقال : أنساب الرجال يعرفها كل أحد " . [٢]

وقال المبرد :

" كان الشافعي من أشعر الناس ، وآدب الناس ، وأعرفهم بالقراءات " . [٣]

وعن محمد بن عوف قال :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٥٨/١٠ .
[٢] " المناقب " للبيهقي ٤٨٨/٢ .
[٣] " المناقب " للبيهقي ٤٨/٢ .

" سمعت أحمد بن حنبل يقول : الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء : في اللغة واختلاف الناس ، والمعاني ، والفقه " . [١]

وعن محمد بن الفضل البزاز قال :

" سمعت أبي يقول : حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت في مكان واحد معه أو في دار - يعني بمكة - وخرج أبو عبد الله ، يعني أحمد بن حنبل باكراً وخرجت أنا بعده ، فلما صليت الصبح درت المسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة ، فكنت أدور مجلساً مجلساً طلبا لأبي عبد الله ، يعني أحمد بن حنبل حتى وجدت أحمد بن حنبل عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة ، وعلى رأسه جمة ، فزاحمت حتى قعدت عند أحمد بن حنبل ، فقلت : يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده الزهري ، وعمرو بن دينار ، وزياد بن علاقة والتابعين ما الله به عليم ، فقال لي : اسكت ، فإن فاتك حديث يعلو تجده بنزول لا يضرك في دينك ولا في عقلك أو في فهمك ، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ، ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي ، قلت : من هذا ؟

قال : محمد بن إدريس الشافعي " . [٢]

وقال ابن ماجة القزويني :

" جاء يحيى بن معين إلى أحمد بن حنبل ، فبينا هو عنده إذا مر الشافعي

[١] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٤١/٢ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٣١/٥١ .

على بغلته ، فوثب أحمد يسلم عليه وتبعه فأبطأ ، ويحيى جالس ، فلما جاء قال يحيى : يا أبا عبد الله كم هذا ؟

فقال: دع عنك هذا ؟ إن أردت الفقه فالزم ذنب البغلة " . [١]

وعن المزني أبا إبراهيم قال :

" قال لي الشافعي : حضرت مالك بن أنس وأنا أسمع منه الحديث ولي دون الأربع عشرة سنة ، فجاءه رجل فوقف عليه ثم قال له : إني رجل أبيع القماري فبعت قمريا على هذه ، فرده إلي ، فقال : ما له صوت ، فحلفت بالطلاق أنه لا يسكت ، فقال : أوسكت ؟ قلت : نعم ، قال : أنت حانث .

قال الشافعي : فتبعته فقلت : له يا رجل كيف حلفت ؟ قال : حلفت بما سمعت قال : فقلت له : صياحه أكثر من سكوته ؟ فقال : صياحه ، فقلت : مر فإن امرأتك لك حلال ، قال : فماذا أصنع وقد أفتاني مالك بما أفتى ؟

فقال : عد إليه فقل له : إن في مجلسك من أفتاني بأن امرأتي هي لي حلال وأومئ إلي ، ودعني وإياه .

فرجع ورجعت ، وجلست فيما بين الناس فقال له إني رأيت أن تنظر في يميني ، قال : أليس قد أفتيناك بأنك حانث ، فقال : في مجلسك من أفتاني بأن امرأتي هي لي حلال ، قال : أفي مجلسي ؟ قال : نعم ، قال : ومن هو ؟ فأومأ إلي ، فقال لي مالك : أنت أفتيته بذلك ؟ قلت : نعم ، قال : ولماذا أفتيته بذلك فلت له : سمعتك تروي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة

[١] " المناقب " للبيهقي ٢٥٢/٢ .

بنت قيس : " **إذا حللت فإذنيني** " ، فلما حلت قالت له : قد خطبني معاوية وأبو جهم فقال : " **أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه** " ، وعلم رسول الله ﷺ أن أبا جهم يضع عصاه عن عاتقه ويتصرف في أموره ، فإنما نسب إلى ضرب النساء ، فذكر أنه لا يضع عصاه عن عاتقه وحمله على الأغلب من أمره ، وإني سألته وقلت : سكوته أكثر أم صياحه ؟ فقال : صياحه ، فأفتيته بذلك .

قال : فتبسم مالك وقال : القول قولك " . [١]

وعن الحميدي قال :

" قلت لأحمد بن حنبل : الليلة يقعد سفيان بن عيينة ـ أي للتحديث ـ ، فقال : الليلة يقعد الشافعي ، قال : قلت :سفيان بن عيينة يفوت ، والشافعي لا يفوت قال : الشافعي يفوت وابن عيينة لا يفوت .

قال : فحضرنا مجلس الشافعي ، قال : فلما قمنا قال : كيف رأيت ؟

قلت : أخطا في ستة أحاديث ، قال : يا سبحان الله ، رجل من قريش يقعد فيروي في مجلس واحد شبيهاً بمائتي حديث تنكر أن يخطئ في ستة أحاديث أيش هي ؟ قلت : حديث كذا وكذا ، قال : هذا رواه فلان ، قلت : حديث كذا قال هذا رواه فلان ، قال : فإذا الستة كلها صحاح وأنا لم أدر " . [٢]

وعن ابن عبد الحكم قال :

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٠٤/٥١ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٣٢/٥١ .

" ما رأينا مثل الشافعي ، كان أصحاب الحديث ونقاده يجيئون إليه فيعرضون عليه ، فربما أعل نقد النقاد منهم ، ويوقفهم على غوامض من علل الحديث لم يقفوا عليها فيقومون وهم يتعجبون منه ، ويأتيه أصحاب الفقه المخالفون والموافقون فلا يقومون إلا وهم مذعنون له بالحذق والدراية ، ويجئ أصحاب الأدب فيقرؤون عليه الشعر فيفسره ، ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها ، وكان من أضبط الناس للتاريخ ، وكان يعينه على ذلك شيئان : وفور عقل وصحة دين ، وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله " . [١]

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٣٥/٥١ .

مناظراته ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في ميدان المناظرة ليس له مثيل . . .

وذلك لما أوتي ـ رحمه الله ـ من حجة قويه ، وعذوبه منطق ، وقوة بيان . .

فقد كان ـ رحمه الله ـ أقدر الفقهاء على المناظرة . . .

ولقد سأل ـ رحمه الله ـ عن أقدر الفقهاء على المناظرة فقال : " من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ ، لم يتلعثم إذا رمقته العيون " . [١]

والإمام ـ رحمه الله ـ كان أماماً في اللغة والفصاحة والبيان . . .

فكان ـ رحمه الله ـ كما وصف إذا ناظر أحد فكأنه سبع . . .

قال ابن عبد الحكم :

" ما رأيت الشافعي يناظر أحداً إلا رحمته ، ولو رأيت الشافعي يناظرك لظننت أنه سبع يأكلك ، وهو الذي علم الناس الحجج " . [٢]

وعن هارون بن سعيد الأيلي قال :

" لو أن الشافعي ناظر على أن هذا العمود الحجر خشب لغلب لاقتداره على المناظرة " . [٣]

وعن أبو حاتم قال :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤١/١٠ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٥٠/١٠ ، " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٧٦/٥١
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٠٣/٩ .

" حدثنا يونس قال : سمعت الشافعي يقول : ناظرت يوماً محمد بن الحسن ، فاشتد مناظرتي له ، فجعلت أوداجه تنتفخ ، وأزراره تنقطع زرا زراً " . [١]

📖 وإليك أخي القارئ ما وقفت عليه من مناظرات هذا الإمام الكبير ـ رحمه الله تعالى ـ :

قال المزني :

" كنا يوما عند الشافعي ، إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف وفي يده عكازة ، فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه ، وسلم الشيخ وجلس ، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له ، إذ قال الشيخ : أسأل ؟

قال : سل ، قال : ما الحجة في دين الله ؟

قال الشافعي : كتاب الله .

قال : وماذا ؟

قال : سنة رسول الله ﷺ .

قال : وماذا ؟

قال : اتفاق الأمة .

قال : من أين قلت : اتفاق الأمة ؟

فتدبر الشافعي ساعة ، فقال الشيخ : قد أجلتك ثلاثاً ، فإن جئت بحجة من كتاب الله ، وإلا تب إلى الله تعالى ، فتغير لون الشافعي ، ثم إنه ذهب فلم

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٠٤/٩ .

يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر ، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه وهو مسقام ـ مريض ـ فجلس ، فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ فسلم ، وجلس فقال : حاجتي ؟

فقال الشافعي : نعم ، قال الله تعالى : { **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**} النساء : ١١٥.

قال : فلا يصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض .

فقال : صدقت ، وقام فذهب .

فقال الشافعي : قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات ، حتى وقفت عليه " .[1]

وقال أبي نعيم :

" وردت مسألة من هارون الرشيد يدعو الناس إليها ، وقد استكتمها الفقهاء فأجابوه إلى ذلك وقبلوها منه طوعاً ، ومنهم كرهاً ، فجيء بالمسألة إلى الشافعي ، فلما نظر فيها قال : غفل والله أمير المؤمنين عن الحق وأخطأ المسير عليه بهذا ، وحق الله علينا أوجب وأعظم من حق أمير المؤمنين ، وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وخلاف ما اعتقدته الأئمة والخلف فكتب بذلك إلى هارون ، فكتب في حمله مقيداً ، فحمل حتى أحضر في دار أمير المؤمنين ، فأجلس في بعض الحجر ، ثم دخل محمد بن الحسن وبشر

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/٨٣ـ٨٤ .

المريسي جميعاً ، فقال لهما هارون الرشيد : القرشي الذي خالفنا في مسألتنا قد أحضر في دارنا مقيداً فما الذي تقولان في أمره ؟

فقال محمد بن الحسن : يا أمير المؤمنين وقد بلغني أيضا أنه قد خالف صاحبه وقد رد عليه وعلى صاحبي أيضاً ، وجعل لنفسه مقالة يدعو الناس إليها ، ويتشبه بالأئمة ، فإن رأيت أن تحضره حتى نبلو خبره ونقطع حجته ، ثم تضاعف عليه عقوبة أمير المؤمنين ، فدعا به بقيده فأحضر بين يدي أمير المؤمنين ، فسلم عليه فلم يرد عليه ، وبقي قائماً طويلاً لا يؤذن له بالجلوس وأمير المؤمنين مقبل عليهما دونه ، ثم أومأ إليه فجلس بين الناس ، فقال محمد ابن الحسن : هات مسألة يا شافعي نتكلم عليها .

فقال له الشافعي : سلوني عما أحببتم ، فتجرد بشر وقال له : لولا أنك في مجلس أمير المؤمنين وطاعته فرض لننزلن بك ما تستحقه ، فليس أنت في كنف العمر ، ولا أنت في ذمة العلم فيليق بك هذا .

فقال له الشافعي : عض ما أنت ، وهذا بلغة أهل اليمن .

فأنشأ يقول :

أهابك يا عمرو ما هبتني ... وخاف بشراك إذ هبتني
وتزعم أمي عن أبيه ... من أولاد حام بها عبتني

فأجابه الشافعي وهو يقول :

من هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا
من قضت الرجال له حقوقا ... ولم يعص الرجال فما أصابا

فأجابه بشر وهو يقول : هذا أوان الحرب فاشتدي زيم .

فأجابه الشافعي وهو يقول :

سيعلم ما يريد إذا التقينـــــا بشط الراب أي فتى أكـــــون

فقال بشر : يا أمير المؤمنين دعني وإياه ، فقال له هارون : شأنك وإياه .

فقال له بشر : أخبرني ما الدليل على أن الله تعالى واحد ؟!

فقال الشافعي : يا بشر ، ما تدرك من لسان الخواص فأكلمك على لسانهم إلا أنه لا بد لي أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت ، الدليل عليه به ومنه وإليه ، واختلاف الأصوات في المصوت إذا كان المحرك واحداً ، دليل على أنه واحد ، وعدم الضد في الكمال على الدوام دليل على أنه واحد ، وأربع نيرات مختلفات في جسد واحد متفقات على ترتيبه في استفاضة الهيكل دليل على أن الله تعالى واحد ، وأربع طبائع مختلفات في الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على أصلاح الأحوال دليل على أن الله تعالى واحد ، وفي خلق السموات والأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ، كل ذلك دليل على أن الله تعالى واحد لا شريك له .

فقال بشر : وما الدليل على أن محمداً رسول الله ؟

قال : القرآن المنزل ، وإجماع الناس عليه ، والآيات التي لا تليق بأحد وتقدير المعلوم في كون الإيمان بدليل واضح دليل على أنه رسول الله لا بعده مرسل يعزله ، وامتحانك إياي بهذين السؤالين ، وقصدك إياي بهما دون فنون

العلوم دليل على أنك حائر في الدين ، تائه في الله عز و جل ، ولو وسعني السكوت عن جوابك لاخترته ، وإن قلت أمراً لي لا تشمر من سؤاليك هذين لقلت بعيد من بركات اليقين ، وكيف قصرت يدي عنك لقد وصل لساني إليك فقال له بشر : ادعيت الإجماع فهل تعرف شيئاً أجمع الناس عليه ؟

قال : نعم ، أجمعوا على أن هذا الحاضر أمير المؤمنين فمن خالفه قتل فضحك هارون ، وأمر بأخذ القيد عن رجليه .

قال : ثم انبسط الشافعي في الكلام فتكلم بكلام حسن ، فأعجب به الرشيد وقربه من مجلسه ورفعه عليهما ، قال : ثم غاصا في اللغة وكان بشر مد بها حتى خرجا إلى لغة أهل اليمن ، فانقطع بشر في مواضع كثيرة ، فقال محمد بن الحسن لبشر : يا هذا إن هذا رجل قرشي واللغة من نسكه ، وأنت تتكلفها من غير طبع فدعوني ومالكاً ودعوا مالكاً معي ، قال الشافعي : إن كنت أبا ثور يعقر الحرف ، فجرى بينهما عشر مسائل انقطع محمد بن الحسن في خمس منها حتى أمر هارون الرشيد بجز رجل محمد بن الحسن ، فأراد الشافعي أن يكافئه لما كان له عليه من اليد ، فقال : يا أمير المؤمنين والله ما رأيت يمنياً هو أفقه منه ، وجعل يمدحه بين يدي أمير المؤمنين ويفضله ، فعلم هارون الرشيد ما يريد الشافعي بذلك ، فخلع عليهما وحمل كل واحد منهما على مهري قرطاس ، يريد بذلك مرضاة الشافعي ، وخلع علي الشافعي خاصة وأمر له بخمسين ألف درهم ، فانصرف إلى البيت وليس معه شيء قد تصدق بجميع ذلك ، ووصل به الناس فقال له هارون الرشيد : أنا أمير المؤمنين وأنت القدوة فلا يدخل علي أحد من الفقهاء قبلك فأنشأ محمد بن الحسن يقول :

أخذت نارا بيـــــدي أشعلتها في كبـــــدي

فقلت ويحي سيـــــدي قتلت نفسي بيـــــدي [١]

وعن الربيع بن سليمان قال :

" سأل رجل من أهل بلخ الشافعي عن الإيمان ، فقال للرجل : فما تقول أنت فيه ؟

قال : أقول : إن الإيمان قول .

قال : ومن أين قلت ؟

قال : من قول الله تعالى : { **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** } ، فصار الواو فصلاً بين الإيمان والعمل ، فالإيمان قول ، والأعمال شرائعه .

فقال الشافعي : وعندك الواو فصل ؟!

قال : نعم .

قال : فإذا كنت تعبد إلهين ، إلهاً في المشرق وإلهاً في المغرب ، لأن الله تعالى يقول : { **رب المشرقين ورب المغربين** } ، فغضب الرجل وقال : سبحان الله أجعلتني وثنياً ؟!

فقال الشافعي : بل أنت جعلت نفسك كذلك .

قال : كيف ؟

قال : بزعمك أن الواو فصل .

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٨٢/٩-٨٥ .

فقال الرجل : فإني أستغفر الله مما قلت ، بل لا أعبد إلا رباً واحداً ، ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل ، بل أقول إن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص.

قال الربيع : فأنفق على باب الشافعي مالاً عظيماً ، وجمع كتب الشافعي وخرج من مصر سنياً ". [١]

وعن عثمان بن سعيد قال :

" سمعت المزني يقول : كنت أنظر في الكلام ـ ما يتعلق بالعقيدة والتوحيد ـ قبل أن يقدم الشافعي ، فلما قدم أتيته فسألته عن مسألة من الكلام ، فقال لي : تدري أين أنت ؟

قلت : نعم ، في مسجد الفسطاط .

قال لي : أنت في تاران ، ثم ألقى علي مسألة في الفقه ، فأجبت ، فأدخل شيئاً أفسد جوابي ، فأجبت بغير ذلك ، فأدخل شيئاً أفسد جوابي ، فجعلت كلما أجبت بشئ أفسده ، ثم قال لي : هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس ، يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام في رب العالمين ، الذي فيه الزلل كثير ؟

فتركت الكلام ، وأقبلت على الفقه " . [٢]

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١١٠/٩ .

[٢] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٤٥٨/١ ، " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٥/١٠ ، وقال البيهقي : " تاران " في بحر القلزم ، يقال : فيها غرق فرعون وقومه ، فشبه الشافعي المزني فيما أورد عليه بعض أهل الإلحاد ، ولم يكن عنده جواب ، بمن ركب البحر في الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه ، وأشرف على الهلاك ، ثم علمه جواب ما أورد عليه حتى زالت عنه تلك الشبهة .

وعن أبويحيى زكريا الساجي قال :

" حدثنا المزني قال : قلت : إن كان أحد يخرج ما في ضميري ، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي ، فصرت إليه وهو في مسجد مصر ، فلما جثوت بين يديه قلت : هجس في ضميري مسألة في التوحيد ، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك ، فما الذي عندك ؟

فغضب ثم قال : أتدري أين أنت ؟

قلت : نعم ، قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون .

أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟

قلت : لا .

قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟

قلت : لا .

قال : تدري كم نجماً في السماء ؟

قلت : لا.

قال : فكوكب منها تعرف جنسه ، طلوعه ، أفوله ، مم خلق ؟

قلت : لا .

قال : فشئ تراه بعينك من الخلق لست تعرفه ، تتكلم في علم خالقه ؟!

ثم سألني عن مسألة في الوضوء ، فأخطأت فيها ، ففرعها على أربعة أوجه فلم أصب في شئ منه ، فقال : شئ تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه وتتكلف علم الخالق ، إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله ، وإلى قوله تعالى : { **إن في خلق السماوات والارض** . . الآية } البقرة : ١٦٣ ، فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك .

قال : فتبت " . [١]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/٣١-٣٢ .

امتحان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ

📖 **ومما ورد أيضاً من مناظراته ـ رحمه الله ـ :**

أن بعض العلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي ، لأنه تربع على قلوب طلاب العلم ، ولذلك اتفقوا على تحضير بعض الأسئلة المعقدة في أسلوب الألغاز حتى يختبروا ذكائه ، أمام الخليفة الرشيد ، وهذه الأسئلة هي :

السؤال الأول : ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ، ثم خرج لحاجة وعاد فقال لأهله : كلوا أنت من الشاة ، فقد حرمت على ؟ فقال أهله : ونحن حرمت علينا كذلك .

قال الشافعي : إن هذا الرجل كان مشركاً ، فذبح الشاة ، وعلى اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات ، فهداه الله تعالى إلى الإسلام ، وأسلم فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله بإسلامه ، أسلموا هم أيضاً ، فحرمت عليهم الشاة كذلك .

الثاني : ما قولك في رجل هرب له غلام ، فقال : هو حر إن أكلت الطعام حتى أجده ، فكيف المخرج له عما قال ؟

قال الشافعي : يهب الغلام لبعض أولاده ، ثم يأكل ، ثم بعد ذلك يسترد ما وهب .

الثالث : شرب مسلمان عاقلان حران الخمر ، يحد أحدهما ، ولا يحد الآخر.

قال الشافعي : إن أحدهما كان بالغاً ، والآخر صبياً .

الرابع : لقيت امرأتان غلامين فقالتا : مرحبا يا ابنينا وزوجينا ، وابنى زوجينا .

قال الشافعى : إن الغلامين كانا ابنى امرأتين ، فتزوجت كل واحدة منهن بابن صاحبتها ، فكان الغلامين ابنيهما وزوجيهما ، وابنى زوجيهما .

الخامس : أخذ رجل قدح من ماء ليشرب ، فشرب نصفه حلالاً ، وحرم عليه بقية ما فى القدح .

قال الشافعى : إن الرجل شرب نصف القدح ، ورعف فى الماء الباقى فى القدح ، فاختلط الدم بالماء فصار حراماً عليه .

السؤال السادس : زنى خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهما الرجم ، وثالثهما الجلد ، ورابعهم نصف الجلد ، وخامسهم لا شئ عليه

قال الشافعى : استحل الأول الزنا فصار مرتداً ، فوجب عليه القتل ، والثانى كان متزوجاً محصناً ، والثالث كان غير محصن ، والرابع كان عبداً ، والخامس كان مجنوناً .

السؤال السابع : رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ، ولما نظر الى السماء وجب عليه دفع ألف درهم ؟

قال الشافعي : لما سلم الرجل عن يمينه رأى شخصاً تزوج ـ هو المصلى ـ امرأته فى بيته ، فلما حضر طلقت منه ، ولما نظر الى يساره ، رأى نجاسة فى ثوبه فبطلت صلاته ، ولما نظر الى السماء رأى الهلال وقد ظهر فى

السماء ، وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده فى أول الشهر ، من ظهور الهلال .

السؤال الثامن : كان إمام يصلى مع أربعة نفر فى مسجد ، فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الإمام ، فلما سلم الإمام عن يمينه ، وذلك الرجل وجب على الإمام القتل وعلى المصلين الأربعة الجلد ، ووجب هدم المسجد إلى أساسه .

قال الشافعي : إن الرجل كانت له زوجة ، وسافر وتركها في بيت أخيه ، فقتل الإمام هذا الرجل ، وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها ، وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتاً للمقتول ، فجعله الإمام مسجداً .

السؤال التاسع : أعطى رجل لامرأته كيساً مملوءاً مختوماً ، وطلب إليها أن تفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهى إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق .

قال الشافعي : إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح ، وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه .

السؤال العاشر : رأى رجل وامرأة غلامين في الطريق ، فقبلاهما ، ولما سئلا عن ذلك ، قال الرجل : أبى جدهما ، وأخي عمهما ، وزوجتي امرأة أبيهما ، وقالت المرأة : أمي جدتهما ، وأختي خالتهما ؟

قال الشافعي : إن الرجل كان أباً الغلامين ، والمرأة أمهما .

فأعجب الرشيد بالشافعي ، فقال : لله درُ بنى عبد مناف ، فقد بينت فأحسنت ، وفسرت فأبلغت ، وعبرت فأفصحت .

فقال الشافعي : أطال الله عمر أمير المؤمنين ، إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة ، فإن أجابوا عليها فالحمد لله ، و إلا فأرجو من أمير المؤمنين أن يكف عنى شرهم .

فقال الرشيد : لك ذلك ، وسلهم ما تريد يا شافعي .

فقال لهم : مات رجل عن ٦٠٠ درهم ، فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً ، فكيف كان النظر في توزيع التركة ؟

فنظر بعضهم إلى بعض ، ولم يستطيعوا الجواب .

فقال الرشيد : قل لهم الجواب يا شافعي .

فقال الشافعي : مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثني عشر أخاً وأختاً ، فأخذت البنتان الثلثين وهو ٤٠٠ درهم ، وأخذت الزوجة الثمن ، وهو ٧٥ درهم ، وأخذت الأم السدس ، وهو ١٠٠ درهم ، وأخذ الأخوة الإثنا عشر ٢٤ درهم ، وبقى درهم واحد أخذته الأخت .

فتبسم الرشيد ، وقال : أكثر الله في أهلي منك ، وأمر بألفي دينار ، فتسلمها الشافعي وزعها على خدم القصر وحاشيته . [١]

[١] أنظر : " من وصايا الرسول " لطه العفيفى ٥٣٦/١ .

من كلامه ـ رحمه الله ـ

📖 تـرك لنـا الإمـام الشـافعي ـ رحمـه الله ـ مـن نفـائس الكـلام ، ومـن جواهرالحكم الشئ الكثير . . .

ولما لا ، وهو كان من أفصح الناس ، و أبلغهم ، وأشعرهم . . .

ولعل الذي ساعده على ذلك نشأته في قبيلة " **هذيل** " وتعلمه الشعر منها . .

وهذه بعض من نفائس كلامه ـ رحمه الله ـ والتي تبين لنا مدي علمه وحكمته وعقله . . .

فعن الربيع قال :

" قال الشافعي : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب إلا الشرك خير من أن يلقاه بشئ من الأهواء " . [١]

وعن الحسين بن علي الكرابيسي قال :

" قال الشافعي : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد ، وما سواه فهو هذيان " . [٢]

وعن المزني قال :

" سمعت الشافعي يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تكلم في الفقه

[١] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٨٧) و " المناقب " للبيهقي ٤٥٣/١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠/١٠ .

نما قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه " . [١]

وقال حرملة :

" قال الشافعي : كل ما قلته فكان من رسول الله ﷺ خلاف قولي مما صح ، فهو أولى ولا تقلدوني " . [٢]

وقال الربيع :

" سمعت الشافعي يقول : المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن " [٣]

وعن الربيع قال :

" سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ، ودعوا ما قلته " . [٤]

وسمعته يقول ـ وقد قال له رجل : تأخذ بهذا الحديث يا أبا عبد الله ؟

فقال : " متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحا ولم آخذ به ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب " . [٥]

وقال الحميدي :

[١] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٨٢/١ .
[٢] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٦٧) و" المناقب " للبيهقي ٤٧٣/١ .
[٣] أنظر : " المناقب " للبيهقي ١٥١/٢ .
[٤] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٤٧٢/١ .
[٥] أنظر : " أداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٦٧) .

" روى الشافعي يوماً حديثا فقلت : أتأخذ به ؟ فقال : رأيتني خرجت من كنيسة أو علي زنار حتى إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثا لا أقول به ! " . [١]

وقال الربيع :

" وسمعته يقول : أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقل به " . [٢]

وقال أبو ثور :

" وسمعته يقول : كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي وإن لم تسمعوه مني "[٣]

وعن الربيع قال :

" قال لي الشافعي : عليك بالزهد ، فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد " . [٤]

وعن الأصمعي قال :

" سمعت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول : إن لكل رأي ثمرة ولكل تدبير عافية ، ولكل مشورة اختيار ، وعلى قدر درجات الصواب تكون العافية والسلامة ، وعلى قدر طبقات الخطأ يكون الفوت والندامة " . [٥]

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٠٦/٩ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٠٦/٩ .
[٣] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٩٤) .
[٤] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٠/٩ .
[٥] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٥١/ ٤١١ .

وقال الأصمعي :

" سمعت الشافعي يقول : العالم يسأل عما يعلم وعما لا يعلم ، فيثبت ما يعلم ويتعلم ما لا يعلم ، والجاهل يغضب من التعلم ، ويأنف من التعليم " . [١]

وعنه : " ضياع العالم أن يكون بلا إخوان ، وضياع الجاهل قلة عقله ، وأضيع منهما من واخى من لا عقل له " .

وعنه : " إذا خفت على عملك العُجْب ، فاذكر رضى من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي عقاب ترهب ، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله "

وعنه قال : " آلات الرياسة خمس : صدق اللهجة ، وكتمان السر ، والوفاء بالعهد ، وابتداء النصيحة ، وأداء الأمانة " . [٢]

وعن الربيع قال :

" سمعت الشافعي يقول : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان " . [٣]

وقال يونس بن عبد الأعلى :

" سمعت الشافعي يقول : يا يونس ، الإنقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط " . [٤]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤١//١٠ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٢/١٠ .
[٣] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٠٢/٢ .
[٤] أنظر : " المناقب " للبيهقي ١٩٠/٢ .

وقال لي : " رضى الناس غاية لا تدرك ، وليس إلى السلامة منهم سبيل ، فعليك بما ينفعك فالزمه " .

وقال : " العلم ما نفع ، ليس العلم ما حفظ " .

وقال : " اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل " . [١]

وعنه : " لو أعلم أن الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته " . [٢]

ونقل الإمام الذهبي بعض كلامه فقال :

وقال : " الخير في خمسة : غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، والتقوى ، والثقة بالله " .

وعنه : " أنفع الذخائر التقوى ، وأضرها العدوان " .

وعنه : " اجتناب المعاصي وترك ما لا يعنيك ينور القلب ، وعليك بالخلوة وقلة الأكل ، وإياك ومخالطة السفهاء ومن لا ينصفك ، إذا تكلمت فيما لا يعنيك ملكتك الكلمة ولم تملكها " .

وعنه : " سياسة الناس أشد من سياسة الدواب " .

وعنه : " العاقل من عقله عقله عن كل مذموم " .

وعنه : " للمروءة أركان أربعة : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والنسك " .

وعنه : " لا يكمل الرجل إلا بأربع : بالديانة والأمانة والصيانة والرزانة " .

---

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٢٣/٩ .
[٢] أنظر : " المناقب " للبيهقي ١٨٧/٢ .

وعنه : " ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته " . [١]

وقال : " أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره ، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله " . [٢]

وعن يحيى بن علي قال :

" سمعت الشافعي يقول : السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقهما بدعة " . [٣]

وعن الربيع بن سليمان قال :

" سمعت الشافعي يقول : إذا أنت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي عقاب ترهب ، وأي عافية تشكر ، وأي بلاء تذكر ، فإنك إن ذكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينيك ما قد عملت " . [٤]

وعن يونس بن عبد الأعلى قال :

" سمعت الشافعي يقول : ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير ، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما " . [٥]

وعن المزني قال :

---

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٩٧/١٠-٩٨ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٤/٩ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لابي نعيم ١٣٩/٩ .
[٤] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣١٣/٥١ .
[٥] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٤٠/٩ .

" سمعت الشافعي يقول : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه " .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال :

" سمعت الشافعي يقول : كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل شيئا أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إليه " .

وعن الربيع بن سليمان قال :

" سمعت الشافعي يقول : أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع من خلوة ، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف " . [١]

وعن الربيع بن سليمان قال :

" سمعت الشافعي يقول : اعلموا أن ذا العلم والحصافة لا تبطره المنزلة الرفيعة ولا تعجبه نفسه بالعز الكامل ، كالجبل لا يتزعزع وإن اشتدت به الرياح العواصف ، والخفيف السخيف من الناس تبطره أدنى منزلة يصير إليها وأيسر ولاية ينالها فهو مثل الحشيشة تحركه أضعف الرياح " . [٢]

وعن يونس بن عبد الأعلى قال :

" قال لي الشافعي ذات يوم : يا يونس إذا بلغت عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية ، فتكون ممن أزال يقينه بشك ، ولكن

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤١١/٥ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤١١/٥ .

ألقه وقل له : بلغني عنك كذا وكذا ، وأجدر أن تسمى المبلغ فإن أنكر ذلك فقل له : أنت أصدق وأبر ولا تزيدن على ذلك شيئاً ، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً بعذر فاقبل منه ، وإن لم يرد ذلك فقل له : ماذا أردت بما بلغني عنك ؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبله ، وإن لم يذكر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ اثبتها عليه سيئة أتاها ، ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة ، وإن شئت عفوت عنه ، والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى : { **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** } ، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة ، فإن ذلك الظلم بعينه ، وقد كان الرجل الصالح يقول : رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقا لي .

يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ، ومفارقته سهل ، وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجراً عظيماً فيسهل طرحه عليه ، ويصعب إخراجه على الرجال ، فهذه وصيتي لك والسلام " . [١]

وعن إبراهيم بن خالد قال :

" كتب محمد بن إدريس الشافعي إلى رجل من إخوانه من قريش يعزيه بابن أصيب به فقال : اعلم يا أخي أن كل مصيبة لا يجبر صاحبها ثوابها فهي المصيبة العظمة ، فكيف يا أخي رضيت بابنك فتنة ولم ترض به نعمة ، وكيف

[١] أنظر : " حلية الاولياء " لأبي نعيم ١٢١/٩-١٢٢ .

رضيت به مفارقاً ولم ترض به خالداً ، وكيف رضيته على التغرير من الفساد ولم ترض به على اليقين من الصلاح ، بل كيف لك بمقت منعم لم تعرف له نعمته يريك ما تحب ويرى منك ما يكره ، ارجع إلى الله عز و جل وتعز برسول الله ﷺ وتمسك بدينك والسلام" . [١]

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤١٥/٥١ .

تقواه وورعه ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام الشافعي تقياً ورعاً مخلصاً لا يحب الشهرة ولا السمعة . . .

حيث كان ـ رحمه الله ـ يقول : " وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني " . [١]

وعن الربيع بن سليمان قال :

" دخلت على الشافعي وهو مريض ، فسألني عن أصحابنا فقلت : إنهم يتكلمون .

فقال : ما ناظرت أحداً قط على الغلبة ـ أي أنتصر عليه ـ ، وبودي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب ـ يعني كتبه ـ على أن لا ينسب إلي منه شئ " . [٢]

وعن الربيع قال :

" سمعت الشافعي يقول : وودت أن الناس تعلموا هذا العلم ـ يعني كتبه ـ على أن لا ينسب إلي منه شئ " . [٣]

وعن الحارث بن سريج قال :

" دخلت مع الشافعي على خادم الرشيد ، وهو في بيت قد فرش بالديباج ، فلما أبصره رجع ، فقال له الخادم : ادخل ، قال : لا يحل افتراش الحرم ، فقام

[١] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٩٢) ، و " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١١٩/٩ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٧٦/١٠ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١١٨/٩ .

الخادم متبسماً ، حتى دخل بيتاً قد فرش بالارمني ـ نوع من الفرش ـ فدخل الشافعي ثم أقبل عليه فقال : هذا حلال ، وذاك حرام ، وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمناً ، فتبسم الخادم وسكت " . [١]

وعن الربيع بن سليمان قال :

" قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي : إن عزمت أن تسكن البلد ـ يعني مصر ـ فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال له الشافعي : يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز وما عندنا قوت " . [٢]

وقال يونس الصدفي :

" ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوماً في مسألة ، ثم افترقنا ولقيني ، فأخذ بيدي ، ثم قال : يا أبا موسى ، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة " . [٣]

[١] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٠٣) ، و " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٢٦/٩ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٩٧/٥١ .
[٣] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٠٢/٥١ .

عبادته ـ رحمه الله ـ

عن محمد بن إسماعيل قال :

" حدثني حسين الكرابيسي قال : بت مع الشافعي ليلة ، فكان يصلي نحو ثلث الليل ، فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فمئة آية ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله ، ولا بآية عذاب إلا تعوذ ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعا " . [١]

وقال الربيع بن سليمان من طريقين عنه بل أكثر :

" كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة " .

ورواها ابن أبي حاتم عنه فزاد : " كل ذلك في صلاة " . [٢]

وقال إبراهيم بن محمد الشافعي :

" ما رأيت أحداً أحسن صلاة من الشافعي ، وذاك أنه أخذ من مسلم بن خالد وأخذ مسلم من ابن جريج ، وأخذ ابن جريج من عطاء ، وأخذ عطاء من ابن الزبير، وأخذ ابن الزبير من أبي بكر الصديق، وأخذ أبو بكر من النبي ﷺ " [٣]

وعن الربيع بن سليمان قال :

" كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء ، الثلث الأول يكتب ، والثلث الثاني

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٥/١٠ .
[٢] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٠١) .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٩١/١٠ .

يصلي ، والثلث الثالث ينام " . [١]

(مسألة) : قد يقول قائل : كيف يقرأ الإمام الشافعي القرآن في رمضان ستين مرة ـ كما ورد ـ ولقد قال النبي ﷺ : " ما فقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث " ؟!

والجواب نقول : إن فهم وفقه القرآن بالنسبة لمن قرأه في ثلاث يختلف فيه حال الناس بحسب مؤهلاتهم اللغوية والعلمية والإيمانية ، فإن من عنده علم بلغة العرب من أهل الإيمان يفهم منه ويفقه أكثر مما يفقه غيره ، ومن لا علم عنده باللغة قد لا يفقه منه إلا القليل ، ومن لا إيمان عنده قد لا يفقه منه شيئاً كما أخبر الله عن حال بعض الكفار فذكر أنهم لهم قلوب لا يفقهون بها ، والمقصود بالحديث أن من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه أي : لم يفهم ظاهر معانيه في هذه المدة ، كذا قال المناوي في " شرح الجامع الصغير " وصاحب شرح سنن ابن ماجه .

ولا يفهم من الحديث أن قراءته في أقل من ثلاث لا تجوز ، إذ المنفي في الحديث هو الفقه والفهم ، وليس ثواب القراءة ، فلا يلزم من عدم فهمه في أقل من ثلاث تحريم قراءته في أقل منها ، كذا قال العراقي .

ويدل لهذا أنه نقل عن كثير من السلف ختم القرآن في أقل من ثلاث ، كما نقله النووي في التبيان فيمكن الإطلاع على كلامه كاملاً في التبيان .

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٥/٩ .

أخلاقه ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ يتحلي بمعالى الإخلاق . . .

ويكره سفسافها . . .

وكان قد عرف ـ رحمه الله ـ بكرمه وجوده وبذله . . .

فكان ـ رحمه الله ـ معطاًء كريماً جواداً . . .

ولقد بلغ من جوده وكرمه أنه قد أفلس ثلاث مرات ! . . .

فكان يبيع ـ رحمه الله ـ قليله وكثيره مما يجد ، حتى بلغ به ذلك إلى أن باع حلي ابنته وزوجته . . .

ولقد أنشد ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الشأن فقال :

يا لهف نفسي على مال أفرقـــه على المقلين من أهل المـــروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما لست أملكه إحدى المصيبـــات [١]

وعن عمرو بن سواد قال :

" كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام ، فقال لي الشافعي : أفلست من دهري ثلاث إفلاسات ، فكنت أبيع قليلي وكثيري حتى حلي بنتي وزوجتي ، ولم أرهن قط " . [٢]

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٠٤/٥١ .

[٢] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٢٦) و " حلية الأولياء " ٧٧/٩ .

وعن سعيد بن أحمد اللخمي المصري قال :

" سمعت المزني يقول : كنت مع الشافعي يوماً ، فخرجنا الأكوام ـ جبال ـ فمر بهدف ، فإذا برجل يرمي بقوس عربية ، فوقف عليه الشافعي ينظر ، وكان حسن الرمي ، فأصاب بأسهم ، فقال الشافعي : أحسنت ، وبرك عليه ، ثم قال : أعطه ثلاثة دنانير ، واعذرني عنده " . [١]

وقال الربيع :

" كان الشافعي ماراً بالحذائين ، فسقط سوطه ، فوثب غلام ومسحه بكمه ، وناوله ، فأعطاه سبعة دنانير " . [٢]

وعن الربيع قال :

" كان بالشافعي هذه البواسير ، وكانت له لبدة محشوة بحلبة يجلس عليها ، فإذا ركب أخذت تلك اللبدة ، ومشيت خلفه ، فناوله إنسان رقعة يقول فيها : إنني بقال ، رأس مالي درهم وقد تزوجت فأعني ، فقال : يا ربيع ، أعطه ثلاثين ديناراً واعذرني عنده .

فقلت : أصلحك الله ، إن هذا يكفيه عشرة دراهم ، فقال : ويحك ! وما يصنع بثلاثين ؟ أفي كذا ، أم في كذا ـ يعد ما يصنع في جهازه – أعطه " . [٣]

وعن الزبير بن سليمان القرشي :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٧/١٠ .
[٢] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٢١/٢ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٨/١٠ .

" عن الشافعي قال : خرج هرثمة ، فأقرأني سلام أمير المؤمنين هارون ، وقال : قد أمر لك بخمسة آلاف دينار .

قال : فحمل إليه المال ، فدعا بحجام فأخذ شعره ، فأعطاه خمسين ديناراً ، ثم أخذ رقاعاً ، فصر صرراً وفرقها في القرشيين الذين هم بالحضرة ومن بمكة ، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مئة دينار " . [١]

وعن الحميدي قال :

" قدم الشافعي صنعاء ، فضربت له خيمة ومعه عشرة آلاف دينار ، فجاء قوم فسألوه ، فما قلعت الخيمة ومعه منها شئ " . [٢]

وقال ابن عبد الحكم :

" كان الشافعي أسخى الناس بما يجد ، وكان يمر بنا فإن وجدني ، وإلا قال : قولوا لمحمد إذا جاء يأتي المنزل فإني لا أتغدى حتى يجئ " . [٣]

وعن داود بن علي الاصبهاني قال :

" حدثنا أبو ثور قال : كان الشافعي من أسمح الناس ، يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلواء ، ويشترط عليها هو أن لا يقربها لأنه كان عليلاً لا يمكنه أن يقرب النساء لباسور به إذا ذاك .

وكان يقول لنا : اشتهوا ما أردتم " . [٤]

[١] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٢٨) و " حلية الأولياء " ١٣١/٩ .
[٢] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٢٠/٢ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٩/١٠ .
[٤] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٢٢/٢ .

وعن علي بن أحمد القصري قال :

" حدثني بعض شيوخنا قال : لما أشخص الشافعي إلي " **سامراء** " دخلها وعليه أطمار ـ ثياب ـ رثة ، وطال شعره ، فتقدم إلى مزين فاستقذره لما نظر الى رثاثته فقال له : تمضي الى غيري ، فاشتد على الشافعي أمره ، فالتفت الى غلام كان معه فقال : إيش معك من النفقة ؟ قال : عشرة دنانير ، قال : ادفعها إلى المزين ، فدفعها الغلام إليه فولى الشافعي وهو يقول :

على ثياب لو يباع جميعهـــــــا بفلس لكان الفلس منهن أكثـــــرا

وفيهن نفس لو يقاس بمثلهـــــــا جميع الورى كانت أجل وأخطــرا

فما ضر نصل السيف إخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته بـــــرا

فإن تكن الأيام أزرت ببزتـــــــي فكم من حسام في غلاف تكســـرا [١]

وعن المزني قال :

" ما رأيت رجلاً أكرم من الشافعي ، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره في مسألة ، حتى أتيت باب داره فأتاه غلام بكيس فقال : مولاي يقرئك السلام ويقول : لك خذ هذا الكيس ، فأخذه منه وأدخله في كمه ، فأتاه رجل من الحلقة فقال : يا ابا عبدالله ولدت امرأتي الساعة ولا شئ عندي ، فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شئ " . [٢]

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣١/٩ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٢/٩ .

وعن الربيع قال :

" أعطاني الشافعي دراهم فقال : يا ربيع اشتر لنا بهذه الدراهم لحماً ، قال فذهبت فاشتريت سمكاً ، فلما رجعت قال لي الشافعي : يا ربيع أمرناك أن تشتري لنا لحماً فاشتريت سمكاً ، فقلت : هكذا قضي أو كلمة نحو هذا ، فقال : يا ربيع اليوم نأكل شهوتك ، وغدا تأكل شهوتنا " . [١]

وعن محمد بن العباس قال :

" سمعت إبراهيم بن بريه يقول ـ وكان جليساً للشافي ـ : دخلت مع الشافعي حماماً وخرجت قبله ، وكان الشافعي طوالاً جسيماً نبيلاً ، وكان إبراهيم جسيماً طوالاً ، فلبس إبراهيم ثياب الشافعي ، ولبس الشافعي ثياب إبراهيم ، والشافعي لا يعلم أنها ثياب إبراهيم ، وإبراهيم لا يعلم أنه ثياب الشافعي ، فانصرف الشافعي إلى منزله فنظر فإذا هي لإبراهيم ، فأمر بها فطويت وبخرت وجعلت في منديل ، ونظر إبراهيم فطواها وجعلها في منديل ، ثم راحا جميعاً فجعل الشافعي ينظر إلى إبراهيم ويتبسم إليه ، فلما صليت العصر قال إبراهيم أصلحك الله هذه ثيابك ، فقال الشافعي : وهذه ثيابك والله لا يعود إلي منها شئ ولا يلبسها غيرك فأخذهما إبراهيم جميعاً " . [٢]

وعن السجستاني قال :

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٢/٩ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٣٣/٩ .

" وحدثني أبو ثور قال : أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال ، فقلت له ـ وقل ما كان يمسك الشئ من سماحته ـ : ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة ـ أرض ـ تكون لك ولولدك من بعدك ، فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال ما فعل به فقال : ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وأكثرها قد وقفت عليه ، ولكن قد بنيت بِمِنى مضرباً ـ منزلاً ـ يكون لأصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه " . [1]

[1] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٩٥/٥١ .

ثناء الناس عليه ـ رحمه الله ـ

📖 الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ إمام عالم كبير . . .

ولقد أثني عليه خلق كثير مما لا يحصى عددهم . . . .

من المتقدمين ومن المتأخرين ، ومن كافه الخلق أجمعين . . .

فالكل شهدوا له بالعلم وبالعقل وبالفقه . . .

حيث كان الإمام ـ كما قالوا عنه ـ كأنه ساحر ، يسحر الناس بكلامه وبفصاحته ، حيث أوتي ـ رحمه الله ـ عذوبة منطق ، وحسن بلاغة ، وفرط ذكاء ، وسيلان ذهن ، وكمال فصاحة ، وحضور حجة . . .

قال أبو عبيد :

" ما رأيت أحدا أعقل من الشافعي ، وكذا قال يونس بن عبد الأعلى : حتى إنه قال : لو جمعت أمة لوسعهم عقله " . [1]

وعن أبا عبد الله الصاغاني قال :

" سألت يحيى بن أكثم عن أبي عبيد والشافعي ، أيهما أعلم ؟ قال : أبو عبيد كان يأتينا هاهنا كثيراً ، وكان رجلا إذا ساعدته الكتب ، كان حسن التصنيف من الكتب ، وكان يرتبها بحسن ألفاظه لاقتداره على العربية .

وأما الشافعي فقد كنا عند محمد بن الحسن كثيراً في المناظرة ، وكان رجلاً

[1] أنظر : " المناقب " للبيهقي ١٨٥/٢ .

قرشي العقل والفهم والذهن ، صافي العقل والفهم والدماغ ، سريع الإصابة - أو كلمة نحوها - ولو كان أكثر سماعاً للحديث ، لاستغنى أمة محمد ﷺ به عن غيره من الفقهاء " .

وقال معمر بن شبيب :

" سمعت المأمون يقول : قد امتحنت محمد بن إدريس في كل شئ، فوجدته كاملاً " .[١]

وقال ابن خلكان :

" كان الشافعي كثير المناقب ، جم المفاخر ، منقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، وكلام الصحابة ﷺ وآثارهم ، واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر ، حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره ، حتى قال أحمد بن حنبل : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي " .[٢]

وعن أحمد بن حنبل قال :

" كان الفقهاء أطباء والمحدثون صيادلة ، فجاء محمد بن إدريس الشافعي طبيباً صيدلانياً ، ما مقلت العيون مثله أبداً " .[٣]

وقال تميم بن عبد الله :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٧!/١٠ .
[٢] أنظر : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ١٦٣/٤ .
[٣] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٣٤/٥١ .

" سمعت سويد بن سعيد يقول : كنت عند سفيان ، فجاء الشافعي فسلم ، وجلس ، فروى ابن عيينة حديثا رقيقاً ، فغشي على الشافعي ، فقيل : يا أبا محمد مات محمد بن إدريس .

فقال ابن عيينة : إن كان مات ، فقد مات أفضل أهل زمانه " .[١]

وقال أبو بكر بن خلاد :

" أنا أدعو الله في دبر صلاتي للشافعي " .[٢]

وقال محمد بن هارون الزنجاني :

" حدثنا عبد الله بن أحمد قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ؟

قال : يا بني ، كان كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فهل لهذين من خلف أو منهما عوض " .

وقال أبو داود :

" ما رأيت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - يميل إلى أحد ميله إلى الشافعي " .[٣]

وقال قتيبة بن سعيد :

" الشافعي إمام " .[٤]

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٩٥/٩ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨/١٠ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠/١٠ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٥/١٠ .
[٤] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٦٧/٢ .

وعن قتيبة بن سعيد قال :

" مات الثوري ومات الورع ، ومات الشافعي وماتت السنن ، ويموت أحمد ابن حنبل وتظهر البدع " . [١]

قلت ـ المصنف ـ : " وفي قول قتيبة هذا من المبالغة ما لا يخفى ، فإن السنن لم تمت بموت الشافعي ، بل إنه قد جمعت من بعده ودونت ، وضبطت وحفظت " .

وعن أبو ثور الكلبي قال :

" ما رأيت مثل الشافعي ، ولا رأى هو مثل نفسه " . [٢]

وقال أيوب بن سويد :

" ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثل الشافعي " . [٣]

وقال أحمد بن حنبل :

" إن الله يقيض للناس في رأس كل مئة من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب ، قال : فنظرنا فإذا في رأس المئة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المئتين الشافعي " . [٤]

[١] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٥٠/٢ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي
[٣] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ٤٠) .
[٤] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ٦٢/٢ .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال :

" ما كان الشافعي إلا ساحراً ، ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله ، كأن ألفاظه سكر ، وكان قد أوتي عذوبة منطق ، وحسن بلاغة ، وفرط ذكاء ، وسيلان ذهن ، وكمال فصاحة ، وحضور حجة " . [١]

وعن عبد الملك بن هشام اللغوي قال :

" طالت مجالستنا للشافعي ، فما سمعت منه لحنة قط " .

قلت ـ **الذهبي** ـ : " أنى يكون ذلك ، وبمثله في الفصاحة يضرب المثل ، كان أفصح قريش في زمانه ، وكان مما يؤخذ عنه اللغة " . [٢]

وقال أحمد بن أبي سريج الرازي :

" ما رأيت أحداً أفوه ولا أنطق من الشافعي " . [٣]

وعن ابن عبد الحكم قال :

" ما رأت عيني قط مثل الشافعي ، قدمت المدينة فرأيت أصحاب عبد الملك بن الماجشون يغلون ـ يتباهون ـ بصاحبهم ، يقولون : صاحبنا الذي قطع الشافعي ، قال : فلقيت عبد الملك فسألته عن مسألة ، فأجابني ، فقلت : الحجة ؟ قال : لأن مالكاً قال كذا وكذا.

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٨/١٠ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٤٩/١٠ .
[٣] أنظر : " آداب الشافعي " لابن أبي حاتم (ص : ١٣٧) .

فقلت في نفسي : هيهات ، أسألك عن الحجة وتقول : قال معلمي ! وإنما الحجة عليك وعلى معلمك " . [١]

وعن أبا عبيد القاسم بن سلام قال :

" ما رأيت قط رجلاً أعقل ولا أروع ولا أفصح من الشافعي " . [٢]

وعن إسحاق بن راهويه قال :

" قد اجتمع مع أحمد بن حنبل ببغداد ، والشافعي نازل بباب الطاق ، فقلت : يا أحمد بلغني أن رجلاً من قريش جاء إلى بغداد إلى عندكم ، وهو نازل بباب الطاق ، فكيف ترى أن نلقاه ؟

قال أحمد : إنه رجل إمام من أئمة المسلمين ، وقد رأيته مرات وعدت إليه عودة بن عودة ، ولكن قم بنا إليه ، قال إسحاق : فقمنا إليه فوجدناه يقرأ القرآن فسلمنا عليه وأجلسنا فجلسنا بجنبه ، فلما أن فرغ من درسه ألتفت إلى أحمد فقال : يا أبا عبد الله من الرجل ؟ فقال : أخونا إسحاق بن راهويه ، قال إسحاق فأدناني منه وأدناني وعانقتي وقال : الحمد لله الذي جمع بيني وبينكما ، قال إسحاق : فتناظرنا في الحديث فلم أر أعلم منه ، ثم تناظرنا في الفقه فلم أر أفقه منه ، ثم تناظرنا في القرآن فلم أر أقرأ منه ، ثم تناظرنا في اللغة ووجدته بيت اللغة ، وما رأت عيناي مثله قط حتى تمنيت أن أكون سرياً لثيابه في سرجه.

قال : فخرجنا من عنده فالتفت إلي أحمد فقال لي : يا أبا يعقوب كيف رأيت

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٥٣/١٠ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٠١/٥١ .

الرجل ؟

قال : فقلت : راجحاً وافراً زاد الله مثله في المسلمين " . [١]

وعن عبد الله بن محمد البلوي بمكة قال :

" جلسنا ذات يوم نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء وما بلغ من فصاحتهم وزهدهم وعلمهم ، فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا عمر بن بنانة فقال : فيم تتحاورون ؟ فقلنا : نتذاكر الزهاد والعباد وفصاحتهم ، فقال عمر : والله ما رأيت رجلاً قط أورع ولا أخشع ولا أفصح ولا أصبح ولا أسمح ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ولا أنبل ولا أفضل من محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمة الله ـ

خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا ، وكان الحارث بن لبيد قد صحب صالحاً المري وكان من الخاشعين المتقين الزاهدين وكان حسن الصوت بالقرآن فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : { **هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين** } ، قال : فرأيت الشافعي قد اضطرب وتغير لونه ، وبكا بكاء شديداً حتى لصق بالأرض ، قال فأبكاني والله قلقه وشدة خوفه لله عز وجل ، ثم لم يتمالك أن قال : إلهي أعوذ بك من مقام الكذابين ، وأعلام الغافلين ، إلهي خشعت لك قلوب العارفين وولهت بك همم المشتاقين ، فهب لي جودك ، وجللني سترك ، واعف عني بكرم وجهك يا كريم .

قال : ثم قمنا وتفرقنا " . [٢]

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٣٠/٥١ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٣٦/٥١ .

وعن محمد بن علي الصايغ بمكة قال :

" سمعت يحيى بن معين يقول : محمد بن إدريس الشافعي في الناس بمنزلة العافية للخلق ، والشمس للدنيا ، جزاه الله عن الإسلام وعن نبيه ﷺ خيرا " . [١]

وعن هلال بن العلاء الرقي قال :

" من الله تعالى على الناس بأربعة في زمانهم : بالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد ، ويحيى بن معين ، فأما الشافعي فتفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وأما أبو عبيد ففسر لهم غريب الحديث ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ ، وأما يحيى بن معين فنفى الكذب عن النبي ﷺ وبين الصادق من الكاذب ، وأما أحمد بن حنبل فجعله الله للناس إماماً في القرآن ولولا ذلك لكفر الناس " . [٢]

وعن محمد بن أحمد قال يمدح الشافعي :

ما أن ترى قط فيمن ظل مجتهداً كالشافعي ولا في حسن مذهبه
ذاك امرؤ لا ترى في رأيه أوداً فتق تقر بقويم الرأي مثقبه
موفق للذي نيط الصواب به حسب امرئ طالب تزيين مطلبه
ما انفك يتبع المفروض طاعته فزاده رفعة في فضل منصبه
لم يتبع قط إلا ماله ثبتت عن النبي دلالات تقوم به
لم يرض إلا كتاب الله قدوته وسنة المصطفى المتبوع فارض به

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٥٥/٥١ .
[٢] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٥٧/٥١ .

لا تجعلن كمن لم يلف منتحباً عن الأمور فنكث ما تجئ به
هل مثله أحد ساواه نعلمه في علمه النافع القاصي ومنصبه
مقالة حسن عدل بلا حتف مهذب ليس واعيه بمكذبه
أني يوازي متين القول لجلجه كلا يكون سنا صبح كغيهبه
كم ضمنت كتبه من حكمة عظ مت مزينا ببليغ القول معجبه
هل كالرسالة في الأول التي سطروا أنى لهم ببديع النطق مذهبه
قد خصه الله بالتوفيق فهو به مقارن لسديد الأمر أصوبه
قد قلب الأمر ظهرا منه يقلبه للبطن من حول ناهيك قلبه
من نصح طال علم ما قد بث من حكم يصبح له الرشد مقروناً بمطلبه
أو يفد مقتبساً من علمه غنمت يداه ما كشفت من خير مكسبه
الله أشهد أني ما غششت بذا والنصح ما خلت فالزم ذاك تنج به
لم يأل نصحاً لمن قد ظل يرشده فجوزي الخير من ناء ومقربه
واجعله يا رب ممن قد شكرت له أفعاله وسعيدا في تقلبه
مثواه جنة عدن إذ يقال له سلام ربك وافى بعد مرحبه [١]

وعن الفتح علي بن محمد الكاتب البستي قال :

[١] أنظر: " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٢٤/٥١-٤٢٥ .

الشافعي أجل الناس منزلـــــة وأعلم الناس في دين الهدى أثـــرا

العدل سيرته والصدق شيمتـــه والسحر منطومه والدر إن نثـــرا

فقل لمن عابه وابتاع حاســـده أراك بعت بخوص النخلة الكثـــرا

وعن أبو القاسم قال :

الفقه فقه الشافعي وإنمـــــا من بحره كل بقدر يغـــــــرف

لولا ضياء علومه ونجومـــه ما كان للتحقيق وجه يعـــــرف [1]

وعن الأصبهاني قال :

" اجتمع للشافعي ـ رحمه الله ـ من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، فأول ذلك شرف نسبه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ .

ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع .

ومنها سخاوة النفس .

ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمة .

ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه .

ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ .

ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه .

ومنها كشف لتمويه مخالفيه .

[1] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٢٧/٥١ .

ومنها تأليفه الكتب القديمة ، والجديد منها .

ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة ، ومثل سليمان بن داود الهاشمي ، وعبد الله بن إدريس الحميدي ، والحسين الفلاس ، وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي ، وحرملة بن يحيى التجيبي ، والربيع بن سليمان المرادي ، وأبي الوليد موسى بن الجارود ، والحارث بن سريج النقال وأحمد بن خالد الخلال ، والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ولم يتفق لأحد من العلماء والفقهاء من الأصحاب ما اتفق له رحمة الله عليه وعليهم أجمعين " . [1]

[1] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٥٨/٥١ .

محنته ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ قد سافر إلى اليمن ـ كا سبق ـ ، وهناك تنامت ثروة الإمام الشافعي العلمية ، وذلك بالتعرف على إمام مصر الليث بن سعد الذي كان تلامذته منتشرين هناك .

ولكن والي مدينة نجران قد تحفظ عليه ، فوشى إلى هارون الرشيد بشأنه و شأن عدد من الناس معه كان مجموعهم عشرة ، و كانت الخلافة العباسية آنذاك تحسب حساباً للشيعة لاسيما العلويين ـ أي أسرة و ذرية سيدنا علي ﷺ ـ ذلك لأن الخلافة العباسية قامت على سواعد الشيعة ، أي المتشيعين والمناصرين لعلي ﷺ عنه وأرضاه ، إلا أن العباسيين تنكروا لهم بعد قيام الخلافة .

لذا كانت الخلافة العباسية دائماً تخشى من ثورة العلويين عليهم ، وكان والي نجران قد اتهم الشافعي بأنه يحرض العلويين على الثورة ، وسيق إلى هارون الرشيد مكبلاً بتهمة خيانة الدولة وكانت عقوبة هذه الخيانة القتل .

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ :

" خرجت إلى اليمن وأقمت بها وارتفع بها الشأن ، وكان بها وال من قبل هارون الرشيد وكان ظلوماً غشوماً ، فكنت ربما آخذ على يده وأمنعه من الظلم .

قال : وكان باليمن سبعة من العلوية قد تحركوا ـ للثورة ـ فكتب والي هارون إلى هارون إن ههنا سبعة من العلوية قد تحركوا ، فإني أخاف أن يخرجوا ، وههنا رجل من ولد شافع بن المطلب لا أمر لي معه ولا نهي .

فكتب إليه هارون أن أحمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم ، قال : فاقترنت معهم ، فلما أن قدمنا على هارون قال أبو المجاهد : قال الشافعي : فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن محمد بن زياد المدني وكان يديم مجلس هارون فقال : كنت جالساً عند هارون حين أدخل عليه الطالبيون والشافعي وعنده محمد بن الحسن ، فدعا هارون بالنطع ـ ما يقتل عليه ـ والسيف يضرب رقاب العلوية .

قال : ثم التفت محمد بن الحسن فقال : يا أمير المؤمنين هذا المطلبي ـ أي الشافعي ـ لا يغلبك بفصاحته ولسانه ، فإنه رجل لسِن ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المجيب الدعاء ، وإنك القادر على ما تريد مني ولست القادر على ما أريد منك ، يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده ، أيما أحب إلي ؟!

قال : الذي يراك أخاه ، قال : قلت : كذاك أنت يا أمير المؤمنين .

فقال لي : كيف ذلك ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس ونحن بنو المطلب ترونا إخوانكم ، وولد علي هم يرونا عبيدهم ، قال : فسري ما كان به واستوى جالساً وقال : يا ابن إدريس كيف علمك بالقرآن ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين عن أي علومه تسألني ؟! عن حفظه فقد حفظته ووعيته في جنبي

وعرفت وقفه وابتداءه وعدده مكيه ومدنيه وكوفيه وبصريه ، وقد عرفت ناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه وسهليه وجبليه ، وما خوطب من العام يريد به الخاص ، وما خوطب من العام يراد به العام .

فقال لي : والله يا ابن إدريس لقد ادعيت علماً " . [1]

وعن محمد بن إسماعيل عن أبيه قال :

" كان محمد بن إدريس الشافعي رجلاً شريفا ، وكان يطلب اللغة والعربية والفصاحة والشعر في صغره ، وكان كثيراً ما يخرج الى البدو ويحمل ما فيه من الأدب ، فبينا هو ذات يوم في حي من أحياء العرب إذ جاء اليه رجل بدوي فقال له ما تقول في امرأة تحيض يوماً وتطهر يوماً ؟

فقال : لا أدري ، فقال له : يابن أخي الفضيلة أولى بك من النافلة ، فقال له إنما أريد هذا لذاك ، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق وبه أستعين ، ثم خرج الى مالك بن أنس ، وكان مالك صدوقاً في حديثه ، صادقا في مجلسه ، وحيداً في جلوسه ، فدخل عليه وارتفع على أصحابه ، فنهره مالك ، فوجده موقراً في الأدب ، فرفعه على أصحابه وقدمه عليهم وقربه من نفسه ، فلم يزل مع مالك إلى أن توفي مالك ـ رحمه الله ـ ثم خرج الى اليمن وقد خرج بها الخارجي على هارون الرشيد ، وطعن الشافعي عليه وأعرض عمن ساعده ، ورفع من قعد عنه ، فبلغ ذلك الخارجي ما يقول فيه فبعث إليه فأحضره عنده وهم بقتله فلما سمع كلامه وتبين له شرفه وفضله وعفته عفا عنه ، وعرض عليه قضاء

[1] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٥١/٢٨٥ـ٢٨٨.

اليمن فامتنع من ذلك ، ثم أشخص هارون جيشه إلى ذلك الخارجي ، فقبض عليه وحمل إلى بساط السلطان ، وحمل معه الشافعي ، وأحضراً جميعاً بين يدي الرشيد فأمر بقتلهما .

فقال له الشافعي : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تسمع كلامي وتجعل عقوبتك من وراء لساني ثم تضمني بعد ذلك إلى ما يليق لي من الشدة والرخاء فقال له هات : فبين له القصة وعرفه شرفه ، وذكر له كلاماً استحسنه هارون وأمره أن يعيده عليه ، فأعاد تلك المعاني بألفاظ أعذب منها .

فقال له هارون : كثر الله في أهل بيتي مثلك " . [1]

[1] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ٩/٨١ .

كتابه " الرسالة " وأهميته

📖 بدأ الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ يؤلف في مكة كتابه " **الرسالة** " ، وكان صيته العلمي في هذا الوقت يطبق الآفاق في مختلف أنحاء البلاد ومقاطعات الدولة الإسلامية الشاسعة ، فيأتيه طلاب العلم والمعرفة من أقصى الأماكن وكان من هؤلاء أحمد بن حنبل الذي كان تلميذاً للإمام ابن عيينة إمام الحديث في عصره في المسجد الحرام ، وابن عيينة كان يروي جل أحاديثه عن الزهري وهو أعلى الأسانيد ، فكان الناس يغشون مجلسه .

والذي يدعو إلى الإعجاب أن يكون الشافعي كتب كتابه هذا في أصول الفقه وهو شاب ، و كان قد طلبها منه إمام المحدثين في بغداد لكي يستفيد منها هو وغيره من كبار العلماء في كيفية فهم النصوص .

ولما كتب الشافعي الرسالة ووصلت إلى إمام المحدثين في بغداد ، جعل يتعجب ويقول: لو كانت أقل لنفهم .

وقال الإمام المزني : قرأت الرسالة خمسمائة مرة ، ما من مرة إلا واستفدتُ منها فائدة جديدة ، وفي رواية عنه قال : أنا أنظر في الرسالة من خمسين سنة ما أعلم أني نظرتُ فيها مرة إلا واستفدتُ شيئاً لم أكن عرفته .

📖 إن كتاب " **الرسالة** " هو مقدمة ضخمة لكتابه " **الأم** " مثل مقدمة ابن خلدون لكتابه " تاريخ الأمم والملوك " ، ومقدمة ابن خلدون ليست كتاباً مستقلاً ، وإنما هي مقدمة لموسوعة تاريخية ، ولأهمية هذه المقدمة طُبعَت طبعاً مستقلاً ، وأفردت باسم مستقل ، وأصبحت مقدمة ابن خلدون اسم مستقل

تماماً ، وكذلك كتاب " **الرسالة** " فهو في أصله عبارة عن مقدمة كبيرة وواسعة جداً لكتاب " **الأم** " وهو عبارة عن سبعة أجزاء ، إلا أن " **الرسالة** " فيما بعد أفردَت بالطباعة وأصبحت عبارة عن كتاب مستقل لأنه يحوي علماً مستقلاً ، وقد تضمَّن ما يلي :

أولاً : بيان أن أي علم شرعي لا بد أن يدور على فلك نص مأخوذ من الكتاب أو السُنة ، ثم أكد أهمية وحجية حديث الآحاد ـ وحديث الآحاد هو الحديث الذي يرويه صحابي واحد أو اثنين أو ثلاثة عن النبي ﷺ ـ .

وكان قد ظهر في عصر الشافعي من يدعي أنه يأخذ بالقرآن الكريم وحده ويدع العمل بحديث الآحاد وهم من الزنادقة ، فرد عليهم الشافعي رداً مفحماً وسمي بذلك " **نصير السُنة النبوية** " .

ثانيا : ثم عقد الشافعي باباً سماه " **الدلالات** " أي : كيف تدل النصوص على معانيها سواء كان المفهوم الموافق أو المفهوم المخالف ، و كيف نستخرج قواعد القياس على نص في كتاب الله تعالى .

وأوضح البيان ، أي كيف يمكن أن يكون القرآن بعضه بياناً لبعض ، وأن النص قد يكون عامّا ، وقد يكون خاصاً ، وقد يكون مطلقاً وقد يكون مقيداً .

وأوضح أيضاً فيما إذا كان يمكن للسُنة أن تخصص القرآن العام أو أن تقيده وهل يصح العكس .

📖 باختصار كتاب " **الرسالة** " هو عبارة عن مفاتيح لكيفية فهم الأحكام من النصوص ، وقد كان المجتمع آنذاك يفتقر إلى هذا العلم ولم يكتب فيه أحد

قبلاً ، صحيح أن الإمام أبو حنيفة والإمام مالك كل منهما بنى فقهه على أصول ومبادىء ، ولكن هذه المبادىء لم تسجل ولم يُصرح بها كلها ، بل إن تلامذتهما هم الذين استنبطوا الأصول من فروع المسائل .

والذي أعان الشافعي على هذا العلم علم استنباط الأحكام من النصوص فضلاً عن كونه عالماً بالفقه والحديث وبلوغه درجة قصوى من الذكاء ، هو أنه عاش في البادية عشر سنوات ـ كما ذكرنا ـ حيث أخذ الطبيعة العربية والسليقة العربية من ينبوعها ، فكان يعلم كيف يفهم الرجل العربي الجملة وكيف يأخذ المعنى إثر المعنى من الجملة الواحدة ، ومما جعل من الشافعي حجةً في اللغة .

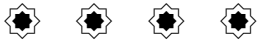

شبهة حول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ

📖 أثيرت حول الإمام الشافعي شبهة ، وهى أن الإمام البخاري رحمه الله لم يخرج له حديث في صحيحه مع جلاله الإمام الشافعي ورسوخه في هذا العلم ، فما هو السبب ؟

يجيب عن هذه الشبهة الإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ فيقول :

" سألني بعض إخواننا بيان علة ترك البخاري الرواية عن الشافعي في الجامع ؟ ولولا ما أخذ الله على العلماء فيما يعلمونه ليبيننه للناس ، لكان أولى الأشياء الإعراض عن اعتراض الجهال ، وتركهم يعمهون ، وذكر لي من يشار إليه خلو كتاب مسلم وغيره من حديث الشافعي ، فأجبته بما فتح الله لي ، ومثل الشافعي من حسد ، وإلى ستر معالمه قصد ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ويظهر من كل حق مستوره ، وكيف لا يغبط من حاز الكمال ، بما جمع الله له من الخلال اللواتي لا ينكرها إلا ظاهر الجهل ، أو ذاهب العقل .

ثم أخذ الخطيب يعدد علوم الأمام ومناقبه ، وتعظيم الائمة له ، وقال : أبى الله إلا رفعه وعلوه ، وليس لما يعليه ذو العرش واضع ، إلى أن قال : والبخاري هذب ما في " **جامعه** " ، غير أنه عدل عن كثير من الأصول إيثاراً للإيجاز .

قال إبراهيم بن معقل : سمعت البخاري يقول : " ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح ، وتركت من الصحاح لحال الطول " .

فترك البخاري الإحتجاج بالشافعي ، إنما هو لا لمعنى يوجب ضعفه ، لكن غني عنه بما هو أعلى منه ، إذ أقدم شيوخ الشافعي مثل مالك ، والدراوردي ، وداود العطار ، وابن عيينة .

والبخاري لم يدرك الشافعي ، بل لقي من هو أسن منه ، كعبيد الله بن موسى وأبي عاصم ممن رووا عن التابعين ، وحدثه عن شيوخ الشافعي عدة ، فلم ير أن يروي عن رجل ، عن الشافعي ، عن مالك .

فإن قيل : فقد روى عن المسندي ، عن معاوية بن عمرو ، عن الفزاري ، عن مالك ، فلا شك أن البخاري سمع هذا الخبر من أصحاب مالك ، وهو في " الموطأ " فهذا ينقض عليك ؟!

قلنا : إنه لم يرو حديثاً نازلاً وهو عنده عال ، إلا لمعنى ما يجده في العالي ، فأما أن يورد النازل ، وهو عنده عال ، لا لمعنى يختص به ولا على وجه المتابعة لبعض ما اختلف فيه ، فهذا غير موجود في الكتاب ، وحديث الفزاري فيه بيان الخبر ، وهو معدوم في غيره ، وجوده الفزاري بتصريح السماع .

ثم سرد الخطيب ذلك من طرق عدة ، قال : والبخاري يتبع الألفاظ بالخبر في بعض الأحاديث ويراعيها ، وإنا اعتبرنا روايات الشافعي التي ضمنها كتبه فلم نجد فيها حديثاً واحداً على شرط البخاري أغرب به ، ولا تفرد بمعنى فيه يشبه ما بيناه ، ومثل ذلك القول في ترك مسلم إياه ، لإدراكه ما أدرك البخاري من ذلك ، وأما أبو داود فأخرج في " **سننه** " للشافعي غير حديث ، وأخرج له الترمذي ، وابن خزيمة ، وابن أبي حاتم " . [1]

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٠/٩٥-٩٦ .

وفاته ـ رحمه الله ـ

📖 كان الشافعي ـ رحمه الله ـ من الأئمة العاملين . . .

فرابط فترة في مصر في الثغور ، وهي المواضع التي يُخشى هجوم العدو منها على بلد مسلم ، وفي آخر حياته ظهرت عليه علة البواسير ، و كان يظن أن هذه العلة إنما نشأت بسبب استعماله اللبان ـ وكان يستعمله للحفظ ـ وبسبب هذه العلة ما انقطع عنه النزيف .

وربما ركب فسال الدم من عقبيه ، وكان لا يبرح الطست تحته وفيه لبدة محشوة ، وما لقي أحد من السقم ما لقي .

والعجيب في الأمر بل يكاد يكون معجزاً أن تكون هذه حال الشافعي و يترك في مدة أربعة سنوات كلها سقم من اجتهاده الجديد ما يملأ آلاف الورق مع مواصلة الدروس والأبحاث والمناظرات والمطالعات في الليل والنهار ، وكأن هذا الدأب والنشاط في العلم هو دواؤه الوحيد الشافي !

وألحَّ على الشافعي المرض ، وأذابه السقم ، ووقف الموت ببابه ينتظر انتهاء الأجل ، وفي هذه الحال عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، دخل عليه تلميذه المزني فقال : يا أبا عبد الله ، كيف أصبحت ؟

فرفع رأسه وقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وعلى الله وارداً ، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها ، أو إلى نار فأعزيها ، ثم بكى ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبـــي جعلت رجائي دون عفوك سلمـــا
تعاظمني ذنبي فلما قرنتـــــه بعفوك ربي كان عفوك أعظمـــا
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرمـــــا
فإن تنتقم مني فلست بآيـــس ولو دخلت نفسي بجرمي جهنمـــا
ولولاك لم يغوى بإبليس عابـــد فكيف وقد أغوى صفيك آدمـــا
وإني لآتي الذنب أعرف قـــدره وأعلم أن الله يعفو ترحمـــــا [1]

وعن يونس بن عبد الأعلى قال :

" ما رأيت أحداً لقي من السقم ـ المرض ـ ما لقي الشافعي ، فدخلت عليه فقال لي : أبا موسى اقرأ علي ما بعد العشرين والمائة من آل عمران ، وأخف القرآن ولا تثقل ، فقرأت عليه ، فلما أردت القيام قال : لا تغفل عني فإني مكروب " . [2]

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال :

" أوصى الشافعي إلى أبي فرأيت في آخر وصيته : ومحمد بن إدريس يسأل الله القادر على ما يشاء أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، وأن يرحمه فإنه فقير إلى رحمته ، وأن يجيره من النار فإن الله غني عن عذابه ، وأن يخلفه في جميع ما خلفه بأفضل ما خلف به أحداً من المؤمنين ، وأن يكفيهم فقده ويجبر

[1] أنظر : " المناقب " للبيهقي ٢٩٣/٢ ، و " معجم الأدباء " ٣٠٣/١٧ .
[2] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٢٩/٥١ .

مصيبتهم والحاجة إلى أحد من خلقه بقدرته ، وكتب في شعبان سنة ثلاث ومائتين " . [1]

وعن الربيع قال :

" كنا جلوساً في حلقة للشافعي بعد موته بيسير ، فوقف علينا أعرابي فسلم ثم قال : أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا : توفي ـ رحمه الله ـ فبكى بكاء شديداً وقال : رحمه الله وغفر له ، فلقد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويسد على خصمه واضح المحجة ، ويغسل من العار وجوها مسودة ، ويوسع بالرأي أبوابا منسدة ، ثم انصرف " . [2]

وقال أبو بكر محمد بن السحن يرثي أبا عبد الله الشافعي :

بملتفتيه للمشيب طوالـــــع ذوائد عن ورد التصابـــي روادع
تصرفه طوع العنان وربمـــا دعاه الصبي فاقتاده وهو طائـــع
ومن لم يزعه لبه وحيـــاؤه فليس له من شيب فوديـــه وازع
هل النافر المذعور للحظ راجـــع أم النصح مقبول أم الوعظ نافـــع
أم الهمك المهموم بالجمع عالـــم بأن الذي يرعى من المال ضائـــع
وأن قصاراه على فرط ضنـــه فراق الذي أضحى له وهو جامـــع
ويخمل ذكر المرء ذي المال بعـده ولكن جمع العلم للمرء رافـــع

[1] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٢٩/٥١ .
[2] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٣٥/٥١ .

ألم ترى آثار ابن إدريس بعـــــده دلائلها في المشكلات لوامـــــــع
معالم يغني الدهر وهي خوالـــــد وتخفض الأعلام وهي فـــــوارع
مناهج فيها للهدى متصـــــــرف موارد فيها للرشاد شرائـــــــــع
ظواهرها حكم ومستنبطاتهـــــا لما حكم التفريق فيه جوامـــــــع
لرأي ابن إدريس ابن عم محمـــد ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطـــع
إذا المعضلات المشكلات تشابهـت سما منه نور في دجاهن لامـــــع
أبى الله إلا رفعه وعلـــــــــوه وليس لما يعليه ذو العرش واضـــع
توخى الهدى واستنقذته يد التقـــى من الزيغ إن الزيغ للمرء صـــارع
ولاذ بآثار الرسول فحكمـــــــه لحكم رسول الله في الناس تابـــــع
وعول في أحكامه وقضائـــــــه على ما قضى في الوحي والحق ناصع
بطئ عن الرأي المخوف التباســه إليه إذا لم يخشى لبسا مســـــارع
جرت لبحور العلم أمداد فكـــره لها مدد في العالمين يتابـــــــــع
وأنشا له منشيه من خير معـــدن خلائق هن الباهرات البـــــوارع
تسربل بالتقوى وليداً وناشئـــــاً وخص بلب الكهل مذ هو يافـــــع
وهذب حتى لم تشر بفضيلـــــة إذا التمست إلا إليه الأصابـــــــع
فمن بك علم الشافعي أمامـــــه فمرتعه في باحة العلم واســـــع
سلام على قبر تضمن جسمـــــه وجادت عليه المدجنات الهوامـــــع

لقد غيبت أثراؤه جسم ماجـــــد جليل إذا التفت عليه المجامـــــــع
لئن فجعتنا الحادثات بشخصـــــه لهن لما حكمن فيه فواجـــــــع
فأحكامه فينا بدور زواهـــــــر وآثاره فينا نجوم طوالـــــــــع [1]

[1] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٤٣٧/٥١ .

الإمام أحمد بن حنبل

(١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥ م)

إمام أهل السنة والجماعة . . . .

أحد الأئمة الأعلام . . . .

صحاب أحد المذاهب الأربعة المتبوعة . . . .

كان موضعه ـ رحمه الله ـ من الإمامة موضع الدعامة . . .

لقدوته بالآثار وملازمته للأخيار . . .

كان في حفظ الآثار الجبل العظيم . . .

وفي العلل والتعليل البحر العميم . . .

قال عنه أبي نعيم :

ومنهم الإمام المبجل . . .

والهمام المفضل . . . .

أبو عبد الله أحمد بن حنبل . . .

لزم الاقتداء ، وظفر بالاهتداء . . ..

علم الزهاد ، وقلم النقاد . . .

امتحن ، فكان في المحنة صبوراً . . .

واحتبى فكان للنعمة شكورا . . .

كان للعلم والحلم واعيا ، وللهم والفكر راعيا . [١]

هو : الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام .

📖 كان محمد والد الإمام أحمد من أجناد مرو ، ومات شاباً وله نحو من ثلاثين سنة .

قال محمد بن حاتم :

" ولي حنبل ـ جد الإمام ـ " **سرخس** " ، وكان من أبناء الدعوة ، فحدثت أنه ضربه المسيب بن زهير ببخارى لكونه شغب الجند " .[٢]

📖 وربي الإمام أحمد يتيماً ، وقيل : إن أمه تحولت من مرو، وهي حامل به .

ثم تولت أمه تربيته ، و كانت رعاية والدته له أشبه ما تكون برعاية والدة الشافعي . . .

وكانت والدته فقيرة وكانت شابة حسناء جميلة فتقدم لخطبتها والزواج منها

---

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٦١/٩

[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للإمام الذهبي ١٨٤/١١ .

عدد كبير من الراغبين لكنها رفضت وامتنعت ، وفضلت أن تعيش لولدها ونذرت نفسها له ، وهذا الأمر أنشأ في نفس أحمد براً بأمه . . .

ولم يتزوج حتى ماتت لكي لا يدخل على الدار سيدة أخرى تنازع أمه السيادة ، وكان قد بلغ الثلاثين .

قال صالح ابن الإمام أحمد :

" جئ بأبي حمل من مرو ، فمات أبوه شابا ، فوليته أمه " . [١]

وقال صالح :

" قال أبي : ثقبت أمي أذني فكانت تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعت ، نزعتهما فكانت عندها ، ثم دفعتهما إلي فبعتهما بنحو من ثلاثين درهما " . [٢]

📖 **مولده** : ولد ـ رحمه الله ـ بالاتفاق في عام ١٦٤ هـ في بغداد ، و توفي عام ٢٤١هـ فكان عمره عندما مات الشافعي أربعين عاماً ، وكان الشافعي يكبره بأربعة عشر عام . . .

قال صالح :

" قال لي أبي : ولدت في ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة " . [٣]

[١] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٢٥٧/٥ .
[٢] أنظر : " البداية والنهاية " للإمام ابن كثير ٣٥٩/١٠ ، و " سير أعلام النبلاء " للإمام الذهبي ١٧٩/١١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٧٩/١١ .

صفته ـ رحمه الله ـ

قال ابن ذريح العكبري :

" طلبت أحمد بن حنبل ، فسلمت عليه ، وكان شيخاً مخضوباً طوالاً أسمر شديد السمرة " . [١]

وعن محمد بن عباس النحوي قال :

" رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ، ربعة ـ متوسط القامة ـ ، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، في لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً بيضاً ، ورأيته معتماً وعليه إزار " . [٢]

وقال المروذي :

" رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامة جلوسه متربعاً خاشعاً . . .
فإذا كان برا لم يتبين منه شدة خشوع وكنت أدخل والجزء في يده يقرأ " . [٣]

وعن عبد الملك بن عبدالحميد الميموني قال :

" ما أعلم أني رأيت أحدا أنظف بدنا ، ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً بشدة بياض ، من أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ " . [٤]

[١] أنظر: " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٢٦٠/٥و " تهذيب الكمال " للحافظ المزي ٤٤٥/١
[٢] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ١٨٣/٥ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٤/١١ـ١٨٥ .
[٤] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٤٠/٢ .

وقال الفضل بن زياد :

" رأيت على أبي عبد الله في الشتاء قميصين وجبة ملونة بينهما ، وربما لبس قميصا وفروا ثقيلا . . .

ورأيته عليه عمامة فوق القلنسوة ، وكساء ثقيلا .

فسمعت أبا عمران الوركاني يقول له يوماً : يا أبا عبد الله هذا اللباس كله ؟

فضحك ثم قال : أنا رقيق في البرد ، وربما لبس القلنسوة بغير عمامة .

وقال الفضل بن زياد :

" رأيت على أبي عبد الله في الصيف قميصاً وسراويل ورداء ، وكان كثيراً ما يتشح فوق القميص .

وقال أبو داود :

" كنت أرى أزرار أبي عبد الله محلولة ، ورأيت عليه من النعال ومن الخفاف غير زوج ، فما رأيت فيه مخضراً ولا شيئاً ، وكان له قبالان " .

وقال أبو داود :

" رأيت على أبي عبد الله نعلين حمراوين لهما قبال واحد " .[1]

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٢٠/١١ .

زوجاته وآله ـ رحمه الله ـ

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

قال زهير بن صالح : " تزوج جدي ـ يقصد الإمام أحمد ـ بأم أبي " **عباسة** " فلم يولد له منها سوى أبي ، ثم توفيت ، ثم تزوج بعدها " **ريحانة** " امرأة من العرب ، فما ولدت له سوى عمي عبد الله .

وعن المروذي قال : " سمعت أبا عبد الله ، ذكر أهله ، فترحم عليها ، وقال مكثنا عشرين سنة ، ما اختلفنا في كلمة ، وما علمنا أحمد تزوج ثالثة " .

وقال يعقوب بن بختان : " أمرنا أبو عبد الله أن نشتري له جارية ، فمضيت أنا وفوران ، فتبعني أبو عبد الله وقال : يا أبا يوسف ، يكون لها لحم " .

وقال زهير : " لما توفيت أم عبد الله ، اشترى جدي " **حُسن** "، فولدت له أم علي زينب ، والحسن والحسين توأما ، وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ومحمدا ، فعاشا نحو الأربعين ، ثم ولدت بعدهما سعيدا " .

وعن محمد بن علي بن بحر قال : " سمعت حُسن أم ولد أبي عبد الله تقول: قلت لمولاي : اصرف فرد خلخالي ـ أي بعه ـ ، قال : وتطيب نفسك ؟ قلت : نعم .

فبيع بثمانية دنانير ونصف ، وفرقها وقت حَمْلي .

فلما ولدت حُسن ، أعطى مولاتي " كرامة " درهما فقال : اشتري بهذا رأساً ـ لحماً ـ فجاءت به ، فأكلنا .

فقال : يا حُسن ، ما أملك غير هذا الدرهم .

قالت : وكان إذا لم يكن عنده شئ، فرح يومه .

وقال يوماً : أريد احتجم ، وما معه شئ ، فبعت نصيفاً من غزل بأربعة دراهم ، فاشتريت لحماً بنصف ، وأعطى الحجام درهماً .

قالت : واشتريت طيباً بدرهم " .

وكان أسن بني أحمد بن حنبل " **صالح** " ، فولي قضاء أصبهان ، ومات بها سنة خمس وستين ومئتين عن نيف وستين سنة .

وخلف ابنين : أحدهما " **زهير بن صالح** " ، محدث ثقة ، مات سنة ثلاث وثلاث مئة ، والآخر " **أحمد بن صالح** " ، لا أعلم متى توفي ، يروي عنه ولده محمد بن أحمد بن صالح .

فمات محمد هذا سنة ثلاثين وثلاث مئة كهلاً .

وأما الولد الثاني فهو الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد ، راوية أبيه ، من كبار الإئمة .

مات سنة تسعين ومئتين عن سبع وسبعين سنة.

والولد الثالث : سعيد بن أحمد ، فهذا ولد لأحمد قبل موته بخمسين يوماً ، فكبر وتفقه ، ومات قبل أخيه عبد الله .

وأما حسن ومحمد وزينب ، فلم يبلغنا شئ من أحوالهم ، وانقطع عقب أبي عبد الله فيما نعلم " . [١]

وعن أحمد بن عتبة قال :

" لما ماتت أم صالح قال أحمد لإمرأة عندهم : إذهبي إلى فلانة إبنة عمي فاخطبيها لي من نفسها ، قال : فأتتها فأجابته ، فلما رجعت إليه قال : كانت أختها تسمع كلامك ، قال : وكانت بعين واحدة ، قالت له : نعم ، قال : فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة ، فأتتها فأجابتها وهي أم عبد الله ، فأقام معها سبعاً ، ثم قالت له : كيف رأيت يا بن عم ، أنكرت شيئاً ؟

قال : لا ، إلا أن نعلك هذه تصر " . [٢]

وقال الذهبي :

" قيل : كانت والدة عبد الله عوراء ، وأقامت معه سنين " . [٣]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٣٢/١١-٣٣٣ .
[٢] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٤٠/٢ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٥/١١ .

طلبه للعلم ـ رحمه الله ـ

📖 كسائر أترابه وأقرانه تعلم القرآن في صغره ، وتلاه تلاوة جيدة وحفظه عن ظهر قلب ، وعندما تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، بدأ يطلب العلم ، وأول من طلب العلم عليه هو الإمام أبو يوسف القاضي ، والإمام أبو يوسف كما هو معلوم من أئمة الرأي مع كونه محدثاً ، ولكن في البداية وبعد مرور فترة لأحمد مع أبي يوسف وجد الإمام أحمد أنه يرتاح لطلب الحديث أكثر .

فتحول إلى مجالس الحديث ، وأعجبه هذا النهج واتفق مع صلاحه وورعه وتقواه ، وأخذ يجول ويرحل في سبيل الحديث حتى ذهب إلى الشامات والسواحل والمغرب والجزائر ومكة والمدينة و الحجاز واليمن والعراق وفارس و خرسان والجبال والأطراف والثغور ، وهذا فقط في مرحلته الأولى من حياته .

قال المروذي :

" قال لي أبو عبد الله : اختلفت إلى الكتاب ، ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة " . [١]

📖 وتلقى الحديث عن هُشيم بن بشير واستفاد منه أكثر ما استفاد من غيره وتعلم منه الهمة العالية في الحديث ، وتلقى الفقه وأصوله عن الشافعي .

قال حنبل :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٥/١١ .

" سمعت أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، فسمعت بموت حماد بن زيد ، وأنا في مجلس هشيم " . [١]

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال :

" سمعت أبي يقول : مات هشيم سنة ثلاث وثمانين ومئة ، وخرجت إلى الكوفة في تلك الأيام ، ودخلت البصرة في أول رجب سنة وثمانين ومئة ، ومات معتمر في سنة سبع وثمانين في أولها ، ودخلت الثانية سنة تسعين ، والثالثة سنة أربع وتسعين ، وخرجت في سنة خمس وتسعين ، أقمت على يحيى بن سعيد ستة أشهر ، ودخلت سنه مئتين ولم أدخلها بعد ذلك .

قال : وسمعت أبي يقول : أول قدمة قدمت البصرة سنة ست وثمانين .

وقال أيضاً : قال أبي : سمعت من علي بن هاشم بن البريد سنة تسع وسبعين ومئة في أول سنة طلبت الحديث ، ثم عدت إليه المجلس الآخر وقد مات ، وهي السنة التي مات فيها مالك بن أنس " . [٢] .

وعن أبي بكر المروزي قال :

" قال لي أبو عفيف ، وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل فقال : كان في الكتاب معنا وهو غليم يعرف فضله ، وكان الخليفة بالرقة ، فيكتب الناس إلى منازلهم فيبعث نساؤهم إلى المعلم : إبعث إلينا بأحمد بن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم فيبعثه ، فكان يجيء إليهم مطأطىء الرأس ، فيكتب جواب كتبهم ، فربما أملو

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٧٩/١١.
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للحافظ المزي ٤٤٦/١ .

عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهم " . [١]

وقال صالح بن أحمد بن حنبل :

" قال أبي : طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة ، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة ، وأنا أحفظ ما سمعت منه ، ولقد جاء إنسان إلى باب ابن علية ومعه كتب هشيم فجعل يلقيها علي وأنا أقول : هذا إسناده كذا ، وهذا إسناده كذا فجاء المعيطي وكان يحفظ ، فقلت له : أجبه فيها ، فبقي وأغرب من حديثه ما لم أسمع .

وخرجت إلى الكوفة سنة مات هشيم سنة ثلاث وثمانين ومئة ، وهي أول سنة سافرت فيها ، وقدم عيسى بن يونس الكوفة بعدي بأيام سنة ثلاث وثمانين ولم يحج بعدها .

قلت له : أي سنة خرجت إلى سفيان بن عيينة ؟ قال : في سنة سبع وثمانين قدمناها وقد مات الفضيل بن عياض ، وهي أول سنة حججت ، وفي سنة إحدى وتسعين حج الوليد بن مسلم .

قال : وحججت خمس حجج ، منها ثلاث راجلاً ، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما .

قال أبي : ولو كانت عندي خمسون درهماً كنت خرجت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري ، فخرج بعض أصحابنا ، لم يمكني الخروج ، لانه لم يكن عندي " . [٢]

[١] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٣٢/٢ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٤٧/١ .

و قال صالح :

" قال أبي : وخرجت إلى الكوفة ، فكنت في بيت تحت رأسي لبنة ، فحججت ، فرجعت إلى أمي ، ولم أكن استأذنتها " . [١]

وقال أحمد :

" سمعت من علي بن هاشم سنة تسع وسبعين ، فأتيته المجلس الآخر ، وقد مات .

وهي السنة التي مات فيها مالك ، وأقمت بمكة سنة سبع وتسعين ، وأقمت عند عبد الرزاق سنة تسع وتسعين ، ورأيت ابن وهب بمكة ولم أكتب عنه " [٢]

وعن المروذي قال :

" سمعت أبا عبد الله يقول : ما خرجت إلى الشام إلا بعد ما ولد لي صالح ، أظن كان ابن ست سنين حين خرجت .

قلت : ما أظن خرجت بعدها ؟ قال : لا .

قلت : فكم أقمت باليمن ؟ قال : ذهابي ومجيئي عشرة أشهر خرجنا من مكة في صفر ، ووافينا الموسم ، قلت : كتبت عن هشام بن يوسف ؟ قال : لا ، مات قبلنا " . [٣]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٥/١١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٤/١١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣٠٦/١١ .

" قلت لأبي : مالك لم ترحل إلى جرير كما رحل أصحابك لعلك كرهته ؟

فقال : والله يا بني ما كرهته وبودي أني رحلت إليه ، إنه كان إماما في الرواية ، قلت : فما كان السبب ؟ فقال : لو كان معي ثلاثون درهما لرحلت فقلت : ثلاثون درهما ، فقال : لقد حججت في أقل من ثلاثين " . [١]

وقال أحمد :

" وقدم ابن المبارك في سنة تسع وسبعين ، وفيها أول سماعي من هشيم ، فذهبت إلى مجلس ابن المبارك ، فقالوا : قد خرج إلى طرسوس ، وكتبت عن هشيم أكثر من ثلاثة آلاف .

ولو كان عندي خمسون درهما ، لخرجت إلى جرير إلى الري " . [٢]

وعن المروذي :

" سمعت أبا عبد الله يقول : مات هشيم ولي عشرون سنة ، فخرجت أنا والأعرابي ـ رفيق كان لأبي عبد الله ـ قال : فخرجنا مشاة ، فوصلنا الكوفة ، يعني : في سنة ثلاث وثمانين ، فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق ، فأعطى الأعرابي حجة بستين درهماً ، فخرج وتركني في بيت وحدي ، فاستوحشت ، وليس معي إلا جراب فيه كتبي كنت أضعه فوق لبنة وأضع رأسي عليه .

وكنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري ، وذكر مرة شيئاً فقال : هذا عند هشيم ؟

فقلت : لا .

[١] أنظر " تهذيب الكمال " للمزى ١ / ٤٤٨
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٣/١١ .

وكان ربما ذكر العشر أحاديث فأحفظها فإذا قام قالوا لي : فأمليها عليهم" . [١]

وعن إدريس بن عبد الكريم قال :

" قال خلف : جاءني أحمد بن حنبل يستمع حديث أبي عوانة ، فاجتهدت أن أرفعه فأبى .

وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه " . [٢]

وعن نوح بن حبيب القومسي قال :

" رأيت أحمد بن حنبل في مسجد الخيف سنة ثمان وتسعين ، وابن عيينة حي ، وهو يفتي فتوى واسعة ، فسلمت عليه " . [٣]

📖 ولقد التقى بالشافعي في أول رحلة من رحلاته الحجازية في الحرم ، و أُعجِبَ به ، وقد كان الإمام أحمد بقي أربعين سنة ما بات ليلة إلا ويدعو فيها للشافعي

وكان يقول عندما يروي حديث رسول الله ﷺ : " **إن الله يبعث على رأس كل أمة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها** " ، وكان يقول : لقد أرسل الله تعالى عمر بن عبد العزيز يجدد لهذه الأمة دينها على رأس المئة الثانية ، وآمل أن يكون الشافعي على رأس المئة الثالثة .

والشافعي كان يكثر من زيارة الإمام أحمد ، فلما سئل عن ذلك أنشد قائلاً :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٦/١١ .
[٢] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٣٧/٢ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٣٠٩/١١ .

قالوا يزورك أحمد و تـــزوره قلتُ الفضائل لا تبارح منزلـــــه

إن زارني فبفضله أو زرتـــــه فلفضـله فالفضل فـي الحالـين لــه

وعن عبد الله بن أحمد قال :

" سمعت أبي يقول : قدمت صنعاء أنا ويحيى بن معين ، فمضيت إلى عبد الرزاق في قريته ، وتخلف يحيى ، فلما ذهبت أدق الباب قال لي بقال تجاه داره : مه ، لا تدق فإن الشيخ يهاب .

فجلست حتى إذا كان قبل المغرب ، خرج ، فوثبت إليه ، وفي يدي أحاديث انتقيتها ، فسلمت وقلت : حدثني بهذه رحمك الله ، فإني رجل غريب .

قال : ومن أنت ؟ وزبرني - نهرني - .

قلت : أنا أحمد بن حنبل ، قال : فتقاصر وضمني إليه ، وقال : بالله أنت أبو عبد الله ؟! ثم أخذ الاحاديث ، وجعل يقرؤها حتى أظلم .

فقال للبقال : هلم المصباح حتى خرج وقت المغرب ، وكان عبد الرزاق يؤخر صلاة المغرب " . [١]

وقال أحمد الدورقي :

" لما قدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق ، رأيت به شحوباً بمكة ، وقد تبين عليه النصب والتعب فكلمته فقال : هين فيما استفدنا من عبد الرزاق " . [٢]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٢/١١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢١٥/١١ .

وقال عبد الله :

" نزلنا بمكة داراً ، وكان فيها شيخ يكنى بأبي بكر بن سماعة ، وكان من أهل مكة ، قال : نزل علينا أبو عبد الله في هذه الدار وأنا غلام ، فقالت لي أمي ألزم هذا الرجل فاخدمه فإنه رجل صالح ، فكنت أخدمه ، وكان يخرج يطلب الحديث ، فسرق متاعه وقماشه فجاء يوماً ، فقالت له أمي : دخل عليك السراق فسرقوا قماشك ، فقال : ما فعلت الألواح ؟ فقالت له أمي : في الطاق ، وما سأل عن شئ غيره " . [١]

[١] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٥٩/١ .

شيوخه وتلاميذه ـ رحمه الله ـ

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

" سمع الإمام أحمد من إبراهيم بن سعد قليلاً ، ومن هشيم بن بشير فأكثر ، وجود ، ومن عباد بن عباد المهلبي ، ومعتمر بن سليمان التيمي ، وسفيان بن عيينة الهلالي ، ويحيى بن أبي زائدة ، وعلي بن هاشم بن البريد ، وقران بن تمام ، وعمار بن محمد الثوري ، والقاضي أبي يوسف ، وجابر بن نوح الحماني ، وعلي بن غراب القاضي ، وعمر بن عبيد الطنافسي ، وأخويه يعلى ومحمد ، والمطلب بن زياد ، ويوسف بن الماجشون ، وجرير بن عبد الحميد ، وخالد بن الحارث ، وبشر بن المفضل ، وعباد بن العوام ، وأبي بكر بن عياش ، ومحمد بن عبدالرحمن الطفاوي ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي وعلي بن ثابت الجزري ، وأبي عبيدة الحداد ، وعبيدة بن حميد الحذاء ، ومحمد بن سلمة الحراني ، وأبي معاوية الضرير ، وعبد الله بن إدريس ، ومروان بن معاوية ، وغندر ، وابن عُلية ، ومخلد بن يزيد الحراني ، وحفص بن غياث ، وعبد الوهاب الثقفي ، ومحمد بن فضيل ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي ، والوليد بن مسلم ، ومحمد بن يزيد الواسطي ، ومحمد بن الحسن المزني الواسطي ، ويزيد بن هارون ، وعلي بن عاصم ، وشعيب بن حرب ، ووكيع فأكثر ، ويحيى القطان فبالغ ، ومسكين بن بكير ، وأنس بن عياض الليثي ، وإسحاق الأزرق ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن نمير ، ومحمد بن بشر ، وزيد بن الحباب ، وعبد الله بن بكر ، ومحمد بن إدريس

الشافعي ، وأبي عاصم ، وعبد الرزاق ، وأبي نعيم ، وعفان ، وحسين بن علي الجعفي ، وأبي عبدالرحمن المقرئ ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، وروح بن عبادة ، ووهب بن جرير ، ويونس بن محمد ، وسليمان بن حرب ، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ، وخلائق إلى أن ينزل في الرواية عن قتيبة بن سعيد ، وعلي بن المديني ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وهارون بن معروف ، وجماعة من أقرانه .

وحدث عنه : علي بن المديني ، ويحيى بن معين ، ودحيم ، وأحمد بن صالح ، وأحمد بن أبي الحواري ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأحمد بن الفرات ، والحسن ابن الصباح البزار ، وأبو قلابة الرقاشي ، والفضل بن سهل الأعرج ، ومحمد بن منصور الطوسي ، وزياد بن أيوب ، وعباس الدوري ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وحرب بن إسماعيل الكرماني ، وإسحاق الكوسج ، وأبو بكر الأثرم ، وإبرهيم الحربي ، وأبو بكر المروذي ، وأبو زرعة الدمشقي ، وبقي بن مخلد ، وأحمد بن أصرم المغفلي ، وأحمد ابن منصور الرمادي ، وأحمد بن أبي خيثمة ، وموسى بن هارون ، ومحمد بن عبد الله مطين ، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري ، وولده إسحاق بن إبراهيم ، والحسين بن إسحاق التستري ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، وإدريس بن عبد الكريم الحداد ، وعمر بن حفص السدوسي وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي " . [١]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١/١٨١ـ١٨٢ .

قوة عقله وحفظه ـ رحمه الله ـ

📖 تمتع الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ منذ الصغر بقدرته الشديدة على الحفظ .

حتى أنه كان ـ رحمه الله ـ يحفظ ألف ألف حديث . . .

لا يخطئ في حديث واحد ، يحفظ الأحاديث عن ظهر قلب . . . .

حتى أن كثير من شيوخه كانوا يستعينون به ـ رحمه الله ـ في كثير من المسائل . . .

فعن عبد الله بن أحمد قال :

" قال لي أبي : خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف ، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد ، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام " . [١]

وعن أحمد الدورقي :

" عن أبي عبد الله قال : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة لم نضبطه فكيف يضبطه من كتبه من وجه واحد ؟ !

قال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة : أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب " .

📖 "فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله ، وكانوا يعدون في ذلك

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٦/١١ .

المكرر ، والأثر ، وفتوى التابعي ، وما فسر ، ونحو ذلك ، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك " . [١]

قال ابن أبي حاتم :

" قال سعيد بن عمرو : يا أبا زرعة ، أأنت أحفظ أم أحمد ؟ قال : بل أحمد .

قلت : كيف علمت ؟ قال : وجدت كتبه ليس في أوائل الاجزاء أسماء الذين حدثوه ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وأنا لا أقدر على هذا " . [٢]

قال أبو بكر الخلال :

" كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها ، ثم لم يلتفت إليها " .

وقال حسن بن منبه :

" سمعت أبا زرعة يقول : أخرج إلي أبو عبد الله أجزاء كلها : سفيان سفيان ليس على حديث منها " حدثنا فلان " ، فظننتها عن رجل واحد ، فانتخبت منها فلما قرأ ذلك علي جعل يقول : حدثنا وكيع ، ويحيى ، وحدثنا فلان ، فعجبت ، ولم أقدر أنا على هذا " . [٣]

وعن أبو جعفر التستري قال :

" قيل لأبي زرعة : من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟ فقال : أحمد بن

[١] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢٣/١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٧/١١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٨/١١ .

حنبل ، حزرت كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغت إثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حديث فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه " . [١]

وعن علي بن المديني قال :

" ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب ، ولنا فيه أسوة حسنة " . [٢]

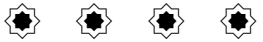

[١] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٣٧/٢ .
[٢] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢٢/١ .

علمه ـ رحمه الله ـ

📖 لقد كان ـ رحمه الله ـ غزير العلم . . .

كأنما جمع له علم الأولين والآخرين . . .

وهذه شهادة جميع أصحابه ممن عاصروه ، وأيضاً شهادة شيوخه ـ رحمه الله عليهم ـ . . .

والإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كما هو معلوم ، واحد من أصحاب المذاهب الأربعة المتبوعة . . .

وهو المذهب الحنبلي . . .

والذي أقر الكثير من علماء هذه الأمة بأنه أقرب المذاهب إلى سنة رسول الله ﷺ .

قال إبراهيم الحربي :

" رأيت أبا عبد الله ، كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين " .

وعن رجل قال : " ما رأيت أحدا أعلم بفقه الحديث ومعانيه من أحمد " .

وعن أحمد بن سلمة قال :

" سمعت ابن راهويه يقول : كنت أجالس أحمد وابن معين ، ونتذاكر فأقول ما فقهه ؟ ما تفسيره ؟ فيسكتون إلا أحمد " . [١]

[١] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢٠/١ .

وعن عمرو بن العباس قال :

" سمعت عبد الرحمن بن مهدي ذكر أصحاب الحديث فقال : أعلمهم بحديث الثوري أحمد بن حنبل .

قال : فأقبل أحمد فقال ابن مهدي : من أراد أن ينظر إلى مابين كتفي الثوري فلينظر إلى هذا " . [١]

وقال محمد بن سهل بن عسكر :

" سمعت عبد الرزاق يقول : إن يعش هذا الرجل يكون خلفاً من العلماء " [٢]

وقال حرملة :

" سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا افقه من أحمد بن حنبل " . [٣]

وعن أبا عبيد القاسم بن سلام قال :

" انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه ، وإلى ابن أبي شيبة وهو أحفظهم له ، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به ، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له " . [٤]

وقال إبراهيم الحربي :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٩/١١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ١٩٣/١١ .
[٣] أنظر : " تذكرة الحفاظ " للذهبي ٤٣٢/٢ .
[٤] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢٠/١ .

" عالم وقته سعيد بن المسيب في زمانه ، وسفيان الثوري في زمانه ، وأحمد بن حنبل في زمانه " . [١]

وعن أبي بكر الأثرم قال :

" قلت يوماً ونحن عند أبي عبيد في مسألة ، فقال بعض من حضره : من قال هذا ؟

فقلت : من ليس في شرق الأرض ولا غربها أكبر منه ، أحمد بن حنبل ، فقال أبو عبيد : صدق " . [٢]

وعن أبا داود السجستاني قال :

" لقيت مائتين من مشايخ العلم ، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا ، فإذا ذكر العلم تكلم " [٣]

وكان ابن مهدي يقول :

" ما نظرت إليه إلا ذكرت به سفيان الثوري ، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماماً في بطن أمه " . [٤]

وعن أحمد بن سعيد الدارمي قال :

" ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ، ولا أعلم بفقه ومعانيه

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ١٨٣/٥ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٥٤/١ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٦٤/٩ .
[٤] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٣٨/٢ .

من أبى عبد الله أحمد بن حنبل " . [١]

وقال الشافعي :

" يا أبا عبد الله : إذا صح عندكم الحديث فأخبرونا حتى نرجع إليه ، أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح ، فأعلمني حتى أذهب إليه ، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً " . [٢]

وعن محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال :

" رأيت يزيد بن هارون ـ وهو شيخ أحمد ـ يصلي ، فجاء إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، فلما سلم يزيد من الصلاة ألتفت إلى أحمد بن حنبل فقال : يا أبا عبد الله ما تقول في العارية ؟

قال : مؤداة ، فقال له يزيد : أخبرنا حجاج عن الحكم قال : ليست بمضمونة فقال له أحمد بن حنبل : قد استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية أدرعاً ، فقال له : عارية مؤداة فقال النبي ﷺ : **" العارية مؤداة "** ، فسكت يزيد وصار إلى قول أحمد بن حنبل " . [٣]

وعن ابن نمير قال :

" كنت عند وكيع ، فجاءه رجل ، أو قال : جماعة من أصحاب أبي حنيفة ، فقالوا له : ها هنا رجل بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين ، فلم يعرفه وكيع .

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ١٨٦/٥ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢١٣/١١ .
[٣] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٦٣/٩ .

فبينا نحن إذ طلع أحمد بن حنبل فقالوا : هذا هو ، فقال وكيع : ها هنا يا أبا عبد الله ، فأفرجوا له ، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي ينكرون .

وجعل أبو عبد الله يحتج بالأحاديث عن النبي ﷺ .

فقالوا لوكيع : هذا بحضرتك ترى ما يقول ؟

فقال : رجل يقول : قال رسول الله أيش أقول له ؟ ثم قال : ليس القول إلا كما قلت يا أبا عبد الله ، فقال القوم لوكيع : خدعك والله البغدادي " . [١]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

" حضر قوم من أصحاب الحديث في مجلس أبي عاصم الضحاك بن مخلد ، فقال لهم : ألا تتفقهون وليس فيكم فقيه ؟!

فجعل يذمهم ، فقالوا : فينا رجل ، فقال : من هو ؟

فقالوا : الساعة يجئ ، فلما جاء أبي قالوا : قد جاء فنظر إليه فقال له : تقدم ، فقال : أكره أن أتخطى الناس ، فقال أبو عاصم : هذا من فقهه واحد ، فقال : وسعوا له ، فوسعوا فدخل ، فأجلسه بين يديه وألقى عليه مسألة فأجاب ، وألقى ثانية فأجاب ، وثالثة فأجاب ، ومسائل فأجاب .

فقال أبو عاصم : هذا من دواب البحر " . [٢]

وقال عبد الوهاب الوراق :

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ١٨٧/١١ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٦٦/٩ ، و " تهذيب الكمال " للمزي ٤٥٨/١ .

" كان أحمد أعلم أهل زمانه ، وهو من الراسخين في العلم ، وما رأيت مثله قال : وقد أجاب عن ستين ألف مسألة بأخبرنا ، وحدثنا " . [١]

وقال أبو ثور :

" أجمع المسلمون على أحمد بن حنبل ، وقال : كنت إذا رأيته خيل إليك أن الشريعة لوح بين عينيه " . [٢]

وقال أبو جعفر النفيلي :

" كان الإمام أحمد من أعلام الدين " . [٣]

وعن الشافعي قال :

" أحمد إمام في ثمان خصال : إمام في الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في القرآن ، إمام في اللغة ، إمام في السنة ، إمام في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في الفقر " . [٤]

[١] أنظر : " مناقب الإمام أحمد " لابن الجوزي (ص : ١٨٤) .
[٢] أنظر : " مناقب الإمام أحمد " لابن الجوزي (ص : ١٦٥) .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٧/١١
[٤] أنظر : " مناقب الأئمة الأربعة " لابن قدامة المقدسي (ص : ١٣١) .

ورعه وزهده ـ رحمه الله ـ

📖 من عظيم ما عُرف به الإمام أحمد هو تعففه وزهده . . .

وله في ذلك قصص رائعة ، فقد كان يسترزق بأدنى عمل ، متعفف زاهداً ورعاً . . .

وكان يرفض أن يأخذ من صديق ولا شيخ ولا حاكم قرضاً أو هبة أو إرثاً لأحد يؤثره به . . .

روي أن شيخ قال : " كنا عند ابن عيينة سنة ، ففقدت أحمد بن حنبل أياماً ، فدللت على موضعه ، فجئت فإذا هو في شبيه بكهف في جياد ـ موضع بمكة يلي الصفا ـ فقلت : السلام عليكم ، أدخل ؟ فقال : لا .

ثم قال : ادخل ، فدخلت وإذا عليه قطعة لبد خلق ـ ثياب ممزق ـ ، فقلت : لم حجبتني ؟ فقال : حتى استترت .

فقلت : ما شأنك ؟ قال : سرقت ثيابي .

قال : فبادرت إلى منزلي فجئته بمئة درهم ، فعرضتها عليه فامتنع ، فقلت : قرضاً ، فأبى ، حتى بلغت عشرين درهما ويأبى .

فقمت وقلت : ما يحل لك أن تقتل نفسك .

قال : ارجع ، فرجعت ، فقال : أليس قد سمعت معي من ابن عيينة ؟ قلت : بلى .

قال : تحب أن أنسخه لك ؟ قلت : نعم .

قال : اشتر لي ورقاً .

قال : فكتب بدراهم اكتسى منها ثوبين " . [١]

وعن إسحاق بن موسى الأنصاري قال :

" دفع المأمون مالاً ، فقال : اقسمه على أصحاب الحديث ، فإن فيهم ضعفاً ، فما بقي أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل ، فإنه أبى " . [٢]

وعن الرمادي قال :

" سمعت عبد الرزاق ، وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه ، فقال : بلغني أن نفقته نفدت ، فأخذت بيده ، فأقمته خلف الباب ، وما معنا أحد ، فقلت له : إنه لا تجتمع عندنا الدنانير ، إذا بعنا الغلة أشغلناها في شئ .

وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها ، وأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ شئ .

فقال لي : يا أبا بكر ، لو قبلت من أحد شيئاً ، قبلت منك " . [٣]

وقال عبد الله :

" قلت لأبي : بلغني أن عبد الرزاق عرض عليك دنانير ؟ قال : نعم .

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩١/١١-١٩٢ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٦٠/١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٢/١١ .

وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم فلم أقبل ، وأعطى يحيى بن معين ، وأبا مسلم ، فأخذا منه " . [١]

وعن أحمد بن سنان قال :

" بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن ، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه ، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها " . [٢]

وعن المزني :

" عن الشافعي أنه قال للرشيد ـ الخليفة ـ : إن اليمن يحتاج إلى قاض ، فقال له : اختر رجلاً نوله إياها .

فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه : ألا تقبل قضاء اليمن ؟ فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال للشافعي : إني إنما أختلف إليك لأجل العلم المزهد في الدنيا ، فتأمرني أن ألي القضاء ؟ ولو لا العلم لما أكلمك بعد اليوم .

فاستحى الشافعي منه " . [٣]

وعن سليمان الشاذكوني قال :

" يُشبه علي بن المديني بأحمد ابن حنبل ؟ هيهات ! ما أشبه السك باللك .

لقد حضرت من ورعه شيئاً بمكة : أنه أرهن سطلاً عند فامي ـ أي بائع

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٣/١١ .
[٢] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢٨/١ .
[٣] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ٣٦٢/١٠ .

الحمص ـ فأخذ منه شيئاً ليقوته .

فجاء فأعطاه فكاكه ، فأخرج إليه سطلين ، فقال : انظر أيهما سطلك ؟ فقال : لا أدري أنت في حل منه ، وما أعطيتك ولم يأخذه .

قال الفامي : والله إنه لسطله ، وإنما أردت أن أمتحنه فيه " . [١]

وعن إسحاق بن راهويه قال :

" لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى ـ أجر ـ نفسه من بعض الحمالين إلى أن وافي صنعاء ، وقد كان أصحابه عرضو عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً " . [٢]

وعن صالح بن أحمد قال :

" دخلت على أبي يوماً أيام الواثق ـ والله يعلم على أي حال نحن ـ وقد خرج لصلاة العصر ، وكان له لبد ـ فراش ـ يجلس عليه ، قد أتى عليه سنون كثيرة حتى بلي ، وإذا تحته كتاب كاغد فيه : بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق ، وما عليك من الدين ، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان ، وما هي من صدقة ولا زكاة ، وإنما هو شئ ورثته من أبي .

فقرأت الكتاب ، ووضعته .

فلما دخل قلت : يا أبة ، ما هذا الكتاب ؟ فاحمر وجهه وقال : رفعته منك .

---

[١] أنظر: " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٩/١١ . السك : ضرب من الطيب ، واللك : بالفتح صبغ أحمر يصبغ به .

[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٧٤/٩ .

ثم قال : تذهب لجوابه ؟ فكتب إلى الرجل : وصل كتابك إلي ، ونحن في عافية ، فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا ، وأما عيالنا ففي نعمة الله .

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل ، فلما كان بعد حين ، ورد كتاب الرجل مثل ذلك، فرد عليه بمثل ما رد .

فلما مضت سنة أو نحوها ذكرناها فقال : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت " . [١]

وعن صالح قال :

" وشهدت ابن الجروي وقد جاء بعد المغرب فقال لأبي : أنا رجل مشهور ، وقد أتيتك في هذا الوقت ، وعندي شئ قد اعتددته لك ، وهو ميراث ، فأحب أن تقبله ، فلم يزل به ، فلما أكثر عليه قام ودخل .

قال صالح : فأخبرت عن ابن الجروي أنه قال : قلت له : يا أبا عبد الله هي ثلاثة آلاف دينار ، فقام وتركني " . [٢]

وروي : " أن ابن طاهر بعث حين مات أحمد بأكفان وحنوط ، فأبى صالح أن يقبله وقال : إن أبي قد أعد كفنه وحنوطه ، ورده ، فراجعه فقال : إن أمير المؤمنين أعفى أبا عبد الله مما يكره ، وهذا مما يكره فلست أقبله " . [٣]

وعن محمد بن يعقوب قال :

" جاءه يوماً رسول من داره ـ يعني أحمد بن حنبل ـ ، يذكر له أن أبا عبد

---

[١] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٢٧/١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠٥/١١ـ٢٠٦ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠٧/١١ .

الرحمن عليل واشتهى الزبد ، فناول رجلاً من أصحابه قطعة وقال : اشتر له بها زبداً فجاء به على ورق سلق ، فلما أن نظر إليه قال : من أين هذا الورق ؟ قال : أخذته من عند البقال ، فقال : أستأذنته في ذلك ؟

قال : لا ، قال : رده " . [١]

وعن أحمد بن محمد التستري قال :

" ذكروا أنه مر عليه ـ يعني أحمد بن حنبل ـ ثلاثة أيام ما كان طَعِم فيها فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئاً من الدقيق ، فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام ، فخبزوا بالعجلة ، فلما وضع بين يديه قال : كيف عملتم خبزتم بسرعة هذا ؟ فقيل له : كان التنور ـ الفرن ـ في دار صالح ابنه مسجراً ، وخبزنا بالعَجَلة ، فقال : ارفعوا ، ولم يأكل ، فأمر بسد بابه إلى دار صالح " . [٢]

وعلق البيهقي قائلاً : " لأن صالحاً أخذ جائزة السلطان " . [٣]

وعن إدريس الحداد قال :

" كان أحمد ابن حنبل إذا ضاق به الأمر آجر نفسه من الحاكة ، فسوى لهم ، فلما كان أيام المحنة وصرف إلى بيته ، حمل إليه مال فرده وهو محتاج إلى رغيف ، فجعل عمه إسحاق يحسب ما يرد ، فإذا هو نحو خمس مئة ألف .

قال : فقال : يا عم ، لو طلبناه لم يأتنا ، وإنما أتانا لما تركناه " . [٤]

---

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٨١/٩ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٧٧/٩ .
[٣] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ٣٦٢/١٠ ؟.
[٤] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٣٠٠/١١ .

وعن الحسن بن خلف الصائغ قال :

" جاءني المروزي في علة أبي عبد الله قال : أبو عبد الله عليل ، فذهبت بالمتطبب ، فدخلنا عليه قال : ما حالك ؟ قال : إحتجمت أمس ، قال : وما أكلت؟ قال : خبزا وكامخاً ، قال : يا أبا عبد الله تحتجم وتأكل خبزا وكامخا !

قال : فما آكل " . [١]

وعن صالح قال :

" قال لي أبي : جاءني أمس رجل كنت أحب أن تراه ، بينا أنا قاعد في نحر الظهيرة إذا برجل سلم بالباب ، فكان قلبي ارتاح ، ففتحت فإذا أنا برجل عليه فروة ، وعلى رأسه خرقة ، ما تحت فروه قميص ، ولا معه ركوة جراب ولا عكاز ، قد لوحته الشمس .

فقلت : ادخل ، فدخل الدهليز ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من ناحية المشرق أريد الساحل ، ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد ، نويت السلام عليك .

قلت : على هذه الحال ؟ قال : نعم .

قال: فجعلت أعجب منه ، فقلت في نفسي ، ما عندي ذهب ولا فضة .

فدخلت البيت ، فأخذت أربعة أرغفة فخرجت إليه ، فقال : أو يسرك أن أقبل ذلك يا أبا عبد الله ؟ قلت : نعم .

---

[١] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٤٦/٢ .

فأخذها فوضعها تحت حضنه ، وقال : أرجو أن تكفيني إلى الرقة ، أستودعك الله ، فكان يذكره كثيراً " . [١]

وعن ابن جبلة قال :

" كنت على باب أحمد بن حنبل ، والباب مجاف ، وأم ولده تكلمه وتقول : أنا معك في ضيق ، وأهل صالح يأكلون ويفعلون ، وهو يقول : قولي خيراً ، وخرج الصبي معه فبكى .

فقال : ما تريد ؟ قال : زبيب .

قال : أذهب خذ من البقال بحبة " . [٢]

وقال الميموني :

" كان منزل أبي عبد الله ضيقاً صغيراً ، وينام في الحر في أسفله .

وقال لي عمه : ربما قلت له فلا يفعل ، ينام فوق .

وقد رأيت موضع مضجعه وفيه شاذكونة وبرذعة قد غلب عليها الوسخ " . [٣]

وعن علي بن الجهم بن بدر قال :

" كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : نعم هذا خط أحمد بن حنبل ، فقلنا له : كيف كتب ذلك ؟ قال : كنا بمكة ، مقيمين عند

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٠٨/١١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٣٢٥/١١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٣٢٦/١١ .

سفيان بن عيينة ، فقصدنا أحمد بن حنبل أياماً فلم نره ، ثم جئنا إليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التي هو فيها : هو في ذلك البيت ، فجئنا إليه والباب مردود عليه ، وإذا عليه خلقان ـ ثياب قديمة ـ فقلنا له : يا أبا عبد الله ما خبرك لم نرك منذ أيام ؟

فقال : سرقت ثيابي ، فقلت له : معي دنانير فإن شئت خذ قرضاً ، وإن شئت صلة ، فأبى أن يفعل ، فقلت : تكتب في بأخذه ، قال : نعم ، فأخرجت ديناراً فأبى أن يأخذه وقال : اشتر لي ثوباً واقطعه بنصفين ، فأومى أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر ، وقال : جئني ببقيته ، ففعلت وجئت بورق وكاغد فكتب لي فهذا خطه " . [١]

وقيل في حقه ـ رحمه الله ـ : " كان أحمد إذا رأيته ، تعلم أنه لا يظهر النسك رأيت عليه نعلاً لا يشبه نعال القراء ، له رأس كبير معقد ، وشراكه مسبل ، ورأيت عليه إزاراً وجبة برد مخططة ، أي : لم يكن بزي القراء " . [٢]

وعن النيسابوري قال :

" قال لي الأمير : إذا جاء إفطاره أرنيه ، قال : فجاؤوا برغيفين خبز وخيارة ، فأريته الأمير فقال : هذا لايجيبنا إذا كان هذا يقنعه " .

وعن المروزي قال :

" سمعت أبا عبد الله يقول : قد وجدت البرد في أطرافي ، ما أراه إلا من

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٧٨/٩ .
[٢] انظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٠٨/١١ .

إدماني أكل الخل والملح " . [١]

وعن صالح قال :

" ربما رأيت أبي يأخذ الكسر ، ينفض الغبار عنها ، ويصيرها في قصعة ، ويصب عليها ماء ثم يأكلها بالملح .

وما رأيته اشترى رماناً ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة ، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنباً وتمراً .

وقال لي : كانت والدتك في الظلام تغزل غزلاً دقيقاً ، فتبيع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر ، فكان ذلك قوتنا ، وكنا إذا اشترينا الشئ نستره عنه كيلا يراه فيوبخنا ، وكان ربما خبز له ، فيجعل في فخارة عدساً وشحماً وتمرات شهريز ـ نوع من التمر ـ ، فيجئ الصبيان ، فيصوت ببعضهم فيدفعه إليهم ، فيضحكون ولا يأكلون ، وكان يأتدم بالخل كثيراً .

قال : وقال أبي : إذا لم يكن عندي قطعة أفرح .

وكان إذا توضأ لا يدع من يستقي له ، وربما اعتللت ـ مرضت ـ فيأخذ قدحا فيه ماء فيقرأ فيه ثم يقول : اشرب منه ، واغسل وجهك ويديك .

وكانت له قلنسوة خاطها بيده ، فيها قطن ، فإذا قام بالليل لبسها ، وكان ربما أخذ القدوم ، وخرج إلى دار السكان يعمل الشئ بيده ، واعتل فتعالج .

وكان ربما خرج إلى البقال ، فيشتري الجرزة الحطب والشئ ، فيحمله بيده

[١] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٤/٢ .

وكان يتنور في البيت .

فقال لي في يوم شتوي : أريد أدخل الحمام بعد المغرب ، فقل لصاحب الحمام .

ثم بعث إلي : إني قد أضربت عن الدخول ، وتنور ـ اغتسل ـ في البيت.

وكنت أسمعه كثيرا يقول : اللهم سلم سلم " . [١]

📖 ومن كلامه الذي يوحي لنا بمدي زهده وورعه ـ رحمه الله ـ نقتطف زهرات منه . . .

كان يقول ـ رحمه الله ـ :

" الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب ، وإذا ذكرت الموت ، هان علي كل أمر الدنيا ، إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس .

وإنها أيام قلائل ، ما أعدل بالفقر شيئا .

ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر" . [٢]

وروي عن المروذي قال :

" قلت لأحمد : كيف أصبحت ؟ قال : كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض ، ونبيه يطالبه بأداء السنة ، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ، وإبليس يطالبه بالفحشاء ، وملك الموت يراقب قبض

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٠٩/١١ . و" الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٣١/١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢١٥/١١ .

روحه ، وعياله يطالبونه بالنفقة ؟! " . [١]

وقال إبراهيم الحربي :

" سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يحب .

وقال : الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر " . [٢]

وقال أبو داود السجستاني :

" كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط " . [٣]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٢/١١ .
[٢] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ٣٦٣/١٠ .
[٣] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٤٠/٢ .

هيبته ـ رحمه الله ـ وتوقير الناس له

📖 كان الإمام ـ رحمه الله ـ عظيم الهيبة ، جليل المكانة بين الناس . . .

وكان الكبير والصغير ، والعامة والخاصة يوقرونه ويجلونه ويهابونه . . .

خاصة بعدما تعرض لمحنة خلق القرآن . . .

فقد كان الإمام ـ رحمه الله ـ قبل المحنة أمام المحدثين . . .

وبعد المحنة لقب ـ رحمه الله ـ بإمام أهل السنة والجماعة . . .

عن أحمد بن سنان قال :

" ما رأيت يزيد بن هارون ـ شيخ أحمد ـ لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل ، وكان يقعده إلى جنبه إذا حدثنا ، ومرض أحمد بن حنبل ، فركب إليه يزيد بن هارون وعاده " . [١]

وعن أبي عبيد القاسم بن سلام قال :

" جالست أبا يوسف ، ومحمد بن الحسن ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي فما هبت أحدا منهم ما هبت أحمد بن حنبل ، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه فسألني رجل عن مسألة فلم أجبه هيبة له " . [٢]

وعن المروذي قال :

[١] أنظر : " تهذيب الكمال" للمزي ٤٥٠/١ .
[٢] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٣٩/٢ .

" سمعت جعفر بن ميمون بن الأصبغ ، سمعت أبي يقول : كنا عند يزيد بن هارون ، وكان عنده المعيطي ، وأبو خيثمة ، وأحمد ، وكانت في يزيد ـ رحمه الله ـ مداعبة ، فذاكره المعيطي بشئ .

فقال له يزيد : فقدتك ، فتنحنح أحمد فالتفت إليه ، فقال : من ذا ؟ قالوا : أحمد بن حنبل .

فقال : ألا أعلمتموني أنه ها هنا ؟

و قال أحمد بن سنان القطان :

" ما رأيت يزيد لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل ، ولا أكرم أحدا مثله كان يقعده إلى جنبه ، ويوقره ، ولا يمازحه " . [١]

وعن عبد الله قال :

" ما زال أبو عبد الله بائناً عن أصحابه ، ولقد كنت يوماً عند إسماعيل بن علية ، فدخل أبو عبد الله أحمد بن حنبل وهو في أقل من ثلاثين سنة ، فما بقي في البيت أحد إلا وسع له ، وقال : ها هنا ، ها هنا " . [٢]

وعن إدريس بن عبد الكريم المقرئ قال :

" رأيت علماءنا مثل الهيثم بن خارجة ، ومصعب الزبيري ، ويحيى بن معين ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وأخيه ، وعبد الأعلى بن حماد ، وابن أبي الشوارب ، وعلي بن المديني ، والقواريري ، وأبي خيثمة ، وأبي معمر ،

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٤/١١ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٤٨/١ .

والوركاني ، وأحمد بن محمد بن أيوب ، ومحمد بن بكار ، وعمرو الناقد ، ويحيى بن أيوب المقابري ، وسريج بن يونس ، وخلف بن هشام ، وأبي الربيع الزهراني ، فيمن لا أحصيهم ، يعظمون أحمد ، ويجلونه ، ويوقرونه ، ويبجلونه ، ويقصدونه للسلام عليه " . [١]

وعن عمر بن صالح الطرسوسي قال :

" ذهبت إلى أبي عبد الله فسألته ، وكان إلى جنبه بوران وزهير وهارون الجمال ، فقلت : رحمك الله يا أبا عبد الله بم تلين القلوب ؟

فأبصر إلى أصحابه فغمزهم بعينه ثم أطرق ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : يا بني بأكل الحلال ، فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له : يا أبا نصر بم تلين القلوب ؟ قال : ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، قلت : فإني جئت من عند أبي عبد الله ، فقال : هيه إيش قال لك أبو عبد الله ؟ قلت : بأكل الحلال فقال : جاء بالأصل ، فمررت إلي عبد الوهاب بن أبي الحسن فقلت : يا أبا الحسن بم تلين القلوب ؟ قال : ألا بذكرالله تطمئن القلوب ، قلت : فإني جئت من عند أبي عبد الله فاحمرت وجنتاه من الفرح وقال لي : إيش قال أبو عبد الله قلت : قال : بأكل الحلال ، فقال : جاءك بالجوهر ، جاءك بالجوهر ، الأصل كما قال ، الأصل كما قال " . [٢]

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ١٨٣/٥ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٨٣/٩ .

تقواه ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام ـ رحمه الله ـ على درجة عالية من التقوي والإيمان . . .

وكان ـ رحمه الله ـ قوال للحق ، لا يخشى في الله لومة لائم . . .

حتى أنه دعي ذات مرة لوليمة عند رجل ، فلما علم أن صاحبها قد اتخذ عنده آنية من فضة تركه ورحل عن الدار ولم يأكل عنده شئ . . .

عن صالح بن أحمد قال :

" كان رجل يختلف مع خلف المخرمي إلى عفان يقال له : أحمد بن الحكيم العطار فختن بعض ولده ، فدعا يحيى وأبا خيثمة وجماعة من أصحاب الحديث وطلب أبي أن يحضر ، فمضوا ومضى أبي بعدهم وأنا معه ، فلما دخل أجلس في بيت ومعه جماعة من أصحاب الحديث ممن كان يختلف معه إلى عفان ، فكان فيهم رجل يكنى بأبي بكر يعرف بالأحول ، فقال له : يا أبا عبد الله هاهنا آنية الفضة ، فالتفت فإذا كرسي ، فقام وخرج وتبعه من كان في البيت ، وسأل من كان في الدار عن خروجه فأخبروا ، فتبعه منهم جماعة وأخُبر الرجل فخرج فلحق أبي ، فحلف له أنه ما عمل بذلك ولا أمر به ، وجاء يطلب إليه فأبى ، وجاء الرجل عفان فقال له الرجل : يا أبا عثمان اطلب إلي أبي عبد الله يرجع فكلمه عفان ، فأبى أن يرجع ونزل بالرجل أمر عظيم " . [1]

وعن عبد الرحمن بن زاذان قال :

[1] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٨٣/٩ .

" كنت في المدينة باب خراسان ، وقد صلينا ونحن قعود ، وأحمد بن حنبل حاضر ، فسمعته وهو يقول : اللهم من كان على هوى ، أو على رأي وهو يظن أنه على الحق ، فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد ، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ، ولا تجعلنا في رزقك خولا لغيرك ، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، ولا ترانا حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا حيث أمرتنا ، أعزنا ولا تذلنا ، أعزنا بالطاعة ، ولا تذلنا بالمعاصي " . [1]

وعن علي بن المديني قال :

" قال لي أ حمد بن حنبل : إني لأحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملك أو تملني ، قال : فلما ودعته قلت له : يا أبا عبد الله توصيني بشيء ؟ قال : نعم ، ألزم التقوى قلبك وانصب الآخرة أمامك " . [2]

وقال صالح بن أحمد :

" كان أبي لا يدع أحدا يستقي له الماء للوضوء ، بل كان يلي ذلك بنفسه ، فإذا خرج الدلو ملآن قال : الحمد لله .

فقلت : يا أبة ما الفائدة بذلك ؟ قال : يا بني أما سمعت قول الله عز وجل {**أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**} " . [3]

وعن أحمد بن موسى قال :

[1] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٦٤/١ .
[2] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٧٣/٩ .
[3] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ٣٦٣/١٠ .

" رأيت أبا عبد الله ، وقد قال له خراساني : الحمد لله الذي رأيتك ، قال : اقعد ، أي شئ ذا ؟ من أنا ؟ .

وعن رجل قال : رأيت أثر الغم في وجه أبي عبد الله ، وقد أثنى عليه شخص ، وقيل له : جزاك الله عن الإسلام خيراً .

قال : بل جزى الله الإسلام عني خيراً ، من أنا ، وما أنا ؟! " .

وعن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال :

" مسحت يدي على أحمد بن حنبل وهو ينظر ، فغضب ، وجعل ينفض يده ويقول ، عمن أخذتم هذا " . [١].

وقال عباس الدوري :

" حدثنا علي بن أبي فزارة جارنا ، قال : كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة ، فقالت لي يوماً : اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي ، فأتيت ، فدققت عليه وهو في دهليزه ، فقال : من هذا ؟ قلت : رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء ، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب .

فقال : نحن أحوج أن تدعو الله لنا ، فوليت منصرفاً .

فخرجت عجوز فقالت : قد تركته يدعو لها ، فجئت إلى بيتنا ودققت الباب ، فخرجت أمي على رجليها تمشي" . [٢]

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٢٥/١١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢١١/١١ .

أخلاقه ـ رحمه الله ـ

📖 كان الإمام ـ رحمه الله ـ هين لين سهل . . .

متواضع لكل ذي قربي . . .

يحب أن يأكل من عمل يده . . .

يتعاهد أهله وقرابته ويصل رحمه . . . .

فعن أبا بكر المروذي قال :

" في آداب أبي عبد الله : كان أبو عبد الله لا يجهل ، وإن جهل عليه حلم واحتمل ، ويقول : يكفي الله .

ولم يكن بالحقود ولا العجول ، كثير التواضع ، حسن الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ .

وكان يحب في الله ، ويبغض في الله ، وإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه .

وكان يحتمل الأذى من الجيران " . [١]

قال الخلال :

" قلت لزهير بن صالح : هل رأيت جدك ؟

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٢١/١١ .

قال : نعم ، مات وأنا في عشر سنين ، كنا ندخل إليه في كل يوم جمعة أنا وأخواتي ، وكان بيننا وبينه باب، وكان يكتب لكل واحد منا حبتين حبتين من فضة في رقعة إلى فامي ـ بائع الحمص ـ يعامله .

وربما مررت به وهو قاعد في الشمس ، وظهره مكشوف فيه أثر الضرب بين ، وكان لي أخ أصغر مني اسمه علي ، فأراد أبي أن يختنه ، فاتخذ له طعاماً كثيراً ، ودعا قوما ، فوجه إليه جدي : بلغني ما أحدثته لهذا ، وأنك أسرفت ، فابدأ بالفقراء والضعفاء .

فلما أن كان من الغد حضر الحجام ، وحضر أهلنا ، جاء جدي حتى جلس عند الصبي وأخرج صريرة ـ كيس ـ فدفعها إلى الحجام ، وقام فنظر الحجام في الصريرة ، فإذا درهم واحد .

وكنا قد رفعنا كثيراً من الفرش ، وكان الصبي على مصطبة مرتفعة من الثياب الملونة ، فلم ينكر ذلك .

وقدم علينا من خراسان ابن خالة جدي فنزل على أبي ، فدخلت معه إلى جدي ، فجاءت الجارية بطبق خلاف وعليه خبز وبقل وملح ، وبغضارة ، فوضعتها بين أيدينا ، فيها مصلية فيها لحم وصلق كثير ، فأكل معنا وسأل ابن خالته عمن بقي من أهله بخراسان في خلال الأكل ، فربما استعجم عليه ، فيكلمه جدي بالفارسية ، ويضع اللحم بين يديه وبين يدي .

ثم أخذ طبقاً إلى جنبه فوضع فيه تمر وجوز وجعل يأكل ويناول الرجل " .[1]

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢١٧/١١ .

وعن المروذي قال :

" لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد ، كان مائلاً إليهم ، مقصراً عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم ، ولم يكن بالعجول ، وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار ، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر " .[1]

وعن الخلال قال :

" حدثنا عبد الله بن أحمد قال : قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المؤدب : كنت آتي أباك فيدفع إلي الثلاثة دراهم وأقل وأكثر ويقعد معي فيتحدث ، وربما أعطاني الشئ ويقول : أعطيتك نصف ما عندنا .

فجئت يوماً ، فأطلت القعود أنا وهو ، قال : ثم خرج ومعه تحت كسائه أربعة أرغفة .

فقال : هذا نصف ما عندنا .

فقلت : هي أحب إلي من أربعة آلاف من غيرك " .[2]

وعن عبد الله بن محمد بن زياد بن هانئ قال :

" كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبدالله قد اغتبتك فاجعلني في حل .

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢١٨/١١ .
[2] أنظر : " سيرأعلام النبلاء " ٢١٨/١١ .

قال : أنت في حل إن لم تعد ، فقلت له : أتجعله في حل يا أبا عبد الله وقد اغتابك ، قال : ألم ترني اشترطت عليه " .[١]

وعن إبراهيم الحربي قال :

" كان أحمد بن حنبل يأتي العرس ، والختان ، والإملاك يجيب ويأكل " .[٢]

وعن أحمد بن الحسن الترمذي قال :

" رأيت أبا عبد الله يشتري الخبز من السوق ، ويحمله في الزنبيل ، ورأيته يشتري الباقلاء غير مرة ، ويجعله في خرقة فيحمله آخذا بيد عبد الله ابنه " .[٣]

وقال عارم :

" وضع أحمد عندي نفقته ، فقلت له يوماً : يا أبا عبد الله ، بلغني أنك من العرب .

فقال : يا أبا النعمان ، نحن قوم مساكين.

فلم يزل يدافعني حتى خرج ، ولم يقل لي شيئاً " .[٤]

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم " ١٧٤/٩ .
[٢] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٤١/٢ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٣١٠/١١ .
[٤] أنظر : " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٢٥٨/٥ ، و " تهذيب الكمال " للمزي ٤٤٥/١ .

عبادته ـ رحمه الله ـ

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ :

قال المروذي : " رأيت أبا عبد الله يقوم لورده قريباً من نصف الليل حتى يقارب السحر .

ورأيته يركع فيما بين المغرب والعشاء " .

وقال عبد الله : " ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم ، وكان يكثر الدعاء ويخفيه ، ويصلي بين العشاءين .

فإذا صلى عشاء الآخرة ، ركع ركعات صالحة ، ثم يوتر وينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيصلي ، وكانت قراءته لينة ، ربما لم أفهم بعضها .

وكان يصوم ويدمن ، ثم يفطر ما شاء الله ، ولا يترك صوم الأثنين والخميس وأيام البيض .

فلما رجع من العسكر ، أدمن الصوم إلى أن مات " .

وقال المروذي : " سمعت أبا عبد الله يقول : حججت على قدمي حجتين ، وكفاني إلى مكة أربعة عشر درهما " .[١]

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال :

" ما رأيت مصلياً قط أحسن صلاة من أحمد بن حنبل ، تكبيره ورفع رأسه

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٢٢/١١ .

وسجوده ، وقعوده بين السجدتين ، وتشهده ، وتسليمه ، حتى كنت أرى فيه ما يحكي عن علي أنه كان يسترخي كل عضو منه ويرجع إلى مكانه ، وكان إذا رفع يديه في التكبير حاذى بهما منكبيه ، وقرب إبهاميه من أذنيه ، وما رأيت أحداً أشد اتباعا لأحاديث السنن منه ، يضعها مواضعها " . [١]

وقال عبد الله :

" كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة ، وقد كان قرب من الثمانين ، وكان يقرأ في كل يوم سبعاً يختم في كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلي العشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو " . [٢]

[١] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٣٤/١ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٥٩/١ .

مسند الإمام أحمد

📖 هو موسوعته القيمة التى جمعها ابنه عبد الله من بعده ، به أربعين ألف حديث شريف ، حيث تروى لنا المصادر أنها خلاصة رحلة عمره التى طاف فيها بالدنيا مرتين ليجمعها وينقحها ، فيسأل عن الرجال و يحدد مصداقيتهم و قوة حفظهم و صحة روايتهم ، و يكتب الأثر و يضبط لفظه . . .

ولقد بدأ الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ بجمع مسنده منذ أن كان عمره ستة عشر سنة، فسجل الأحاديث بأسانيدها ، في أوراق منثورة ، وظل على هذه الحال إلى أن قارب الوفاة . . .

ولما شعر بدنو أجله بدأ يجمعها ويحذف منها ، وأملى هذه الأحاديث كلها على أولاده وأهل بيته ، وأنبأهم بالعمل الذي قام به ، ولعله أوصى ابنه عبد الله أن ينهض بجمع هذه الأحاديث وتنسيقها من بعده ، فجمعها عبد الله بطريق السند ، وهذا الأسلوب يعتبر صعباً جداً ، وهو أن يرتب الأحاديث حسب درجة رواتها من الصحابة ، فيبدأ بالأحاديث المروية عن أبي بكر ، ثم عن عمر ، ثم هكذا . . .

وكانت طريقة الإمام أحمد في انتقاء الأحاديث أنها إن كانت تتعلق بأحكام أو عقيدة كان لا بد من اشتراط الصحة فيها ، أما إن كانت تتعلق بفضائل الأعمال و لها ما يؤيدها من الكتاب أو السنة الصحيحة فلا بأس أن تكون ضعيفة .

وإن كان الحديث يعارضه نص آخر أقوى منه لا يمكن الجمع بينهما ، حذف الأضعف .

قال الإمام أحمد لأبنائه :

" إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه فإن كان فيه ، وإلا فليس بحجة " . [١]

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال :

" قلت لأبي ـ رحمه الله تعالى ـ : لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ، فقال : عملت هذا الكتاب إماماً ، إذا أختلف الناس في سنة رسول الله ﷺ رجع إليه " .

وقال غير واحد من العلماء :

" أن هذا الكتاب أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقي من حديث كثير ، ومسموعات وافره ، فجعله إماماً ومعتمداً ، وعند التنازع ملجأ ومستندا " . [٢]

[١] أنظر : " المسند " بتحقيق أحمد شاكر ٢١/١ .
[٢] انظر : " المسند " بتحقيق أحمد شاكر ٢١/١ .

محنته ـ رحمه الله ـ [١]

📖 عاش الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في عصر الخليفة المأمون ، ثم المعتصم ، ثم الواثق ، ثم المتوكل .

في هذه العصور ، كانت صولة المعتزلة ـ أحد الفرق الضالة ـ و جولتهم في أعلى ذروتها ، لا سيما في عصر المأمون .

وكان المأمون تلميذاً لأبي هذيل العلام ـ من رؤساء المعتزلة ـ فافتتن بالفلسفة اليونانية ، واستغل هذه الصلة : " أحمد بن أبي ذؤاد المعتزلي " المتعصب وراح يكلم المأمون ويتودد إليه حتى عينه وزيراً خاصاً له ومستشاراً .

والإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كان بعيداً عن الفلسفة وعن الإعتزال ، وفي هذه الأثناء قال المعتزلة بخلق القرآن ، أي : أن القرآن حادث مخلوق ، وليس كلام الله الأزلي القديم وتبنى المأمون هذا القول .

قال البيقهى :

" ولم يكن فى الخلفاء قبله من بنى أمية ، وبنى العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم ، ولما ولى هو الخلافة ، اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك

[١] في هذا الفصل نستعرض ما قاله العلماء في محنة الإمام أحمد باختصار ، وقد نقلته من كتب السير المعتمدة مثل " **البداية والنهاية** " لابن كثير ، و " **سير أعلام النبلاء** " للذهبي بتصرف يسير والله المستعان .

وزينوا له " . [١]

قلت ـ **المصنف** ـ : اتفق خروج المأمون إلى طرسوس لغزو الروم ، فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، وكان ذلك آخر عمره ، قبل موته بشهور .

فلما وصل الكتاب إلى إسحاق ، استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فتهددهم بالضرب وقطع الأرزاق ، فأجاب أكثرهم مكرهين.

وكان الإمام أحمد من الثلة التى رفضت القول بخلق القران ، ومحمد بن نوح الجند يسابورى ، فحملا على بعير واحد وسيرا إلى الخليفة ، وهما مقيدان متعادلان فى محمل على بعير واحد .

(فائدة) : وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية أربعة : أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ، ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري ، ونعيم بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن ، وأبو يعقوب البويطي وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن وكان مثقلاً بالحديد ، وأحمد بن نصر الخزاعي

قال العباس بن محمد الدوري :

" سمعت أبا جعفر الأنباري يقول : لما حمل أحمد بن حنبل يراد به المأمون أخبرت فعبرت الفرات إليه ، فإذا هو في الخان ، فسلمت عليه ، فقال : يا أبا جعفر تعنيت ! فقلت : ليس هذا عناء ، قال : فقلت له : يا هذا أنت اليوم رأس

[١] أنظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ١٠/ ٣٦٥ .

والناس يقتدون بك ، فوالله إن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ، ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ، ولا بد من الموت فاتق الله ، ولا تجبهم إلى شئ ، فجعل أحمد يبكي وهو يقول : ما شاء الله ، ما شاء الله ، قال : ثم قال لي أحمد : يا أبا جعفر : أعد علي ما قلت .

قال : فأعدت عليه ، قال : فجعل يقول : ما شاء الله ، ما شاء الله " . [١]

ثم لما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونة بمرحلة ، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يعز على يا أبا عبد الله إن المأمون قد سل سيفاً لم يسله من قبل ، وإنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القران ليقتلنك بذلك السيف .

قال : فجثى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه الى السماء وقال : سيدى غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته .

قال : فجاءهم الصريخ بموت المأمون فى الثلث الأخير من الليل ، قال أحمد ففرحنا ، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولى الخلافة ، وقد انضم إليه أحمد بن ابى دؤاد المعتزلى الذي كان يضمر كيداً شديداً لأحمد .

ثم أعيد الإمام أحمد إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى ، يقول : ونالني منهم أذى كثير ، وكان في رجليه القيود ، ومات صاحبه محمد بن نوح في

[١] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ١/٤٦٠-٤٦١ .

الطريق وصلى عليه أحمد ، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان فأودع في السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل نيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم ، وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجليه .

ثم أحضره المعتصم من السجن و زاد في قيوده ، قال أحمد : فلم استطع أن أمشي بها فربطتها في السكة وحملتها بيدي ، ثم جاؤني بدابة فحملت عليها فكدت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني ، حتى جئنا دار المعتصم ، فأدخلت في بيت وأغلق علي وليس عندي سراج فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه ، ثم قمت ولا أعرف القبلة فلما أصبحت إذ أنا على القبلة والحمد لله ، ثم دعيت فأدخلت على المعتصم فلما نظر إلي وعنده ابن أبي دؤاد .

قال : أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل ـ كبير ـ فلما دنوت منه وسلمت ، قال لي : ادنه ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ، ثم قال : اجلس فجلست وقد أثقلني الحديد ، فمكثت ساعة ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله ﷺ ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، قلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ قال : ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه ، وذلك أني لم أتفقه كلامه ، ثم قال المعتصم : لولا انك كنت في يد من قبلي لم أتعرض إليك ، ثم قال : يا عبد الرحمن ألم آمرك أن ترفع المحنة ، قال أحمد فقلت : الله أكبر هذا فرج المسلمين ، ثم قال : ناظره يا عبد الرحمن كلمة

فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المعتصم : أجبه فقلت : ما تقول في العلم ؟ فسكت ، فقلت : القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله فسكت .

فقالو فيما بينهم : يا أمير المؤمنين كفرك وكفرنا فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال عبد الرحمن : كان الله ولا قرآن ، فقلت : كان الله ولا علم ، فسكت ، فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا فقلت : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله ، أو سنة رسوله حتى أقول به ، فقال ابن دؤاد : وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا ؟

فقلت : وهل يقوم الإسلام إلا بهما ، وجرت مناظرات طويلة واحتجوا عليه بقوله : { **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث** } ، وبقوله : { **الله خالق كل شيء** } ، وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله :{ **تدمر كل شيء بأمر ربها** } ، فقال ابن ابي دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع وهنا قضاتك والفقهاء فسلهم ، فقال لهم : ما تقولون ؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد .

ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً ، ثم في اليوم الثالث وفي ذلك كله كان يعلو صوته عليهم وتغلب حجته حججهم ، قال : فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد وكان من أجهلهم بالعلم والكلام ، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل ، فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الإحتجاج بها وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها .

فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل ، وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين ، فعند ذلك حمى واشتد غضبه وكان ألينهم عريكة ، وهو يظن أنهم على شيء .

قال أحمد : فعند ذلك قال لي : لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني ، ثم قال خذوه واخلعوه واسحبوه ، قال أحمد : فأخذت وسُحبت وخلعت وجيء بي بالعاقبين والسياط وأنا أنظر ، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي ، فجردوني منه وصرت بين العقابين .

فقلت : يا أمير المؤمنين قال رسول الله : **" لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بأحدى ثلاث "** ، وتلوت الحديث وإن رسول الله ﷺ قال : **" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم "** ، فبم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا ، يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك ، فكأنه أمسك ، ثم يزالوا يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر ، فأمر بي فقمت بين العقابين وجيء بكرسي فأقمت عليه ، وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم فتخلعت يداي ، وجيء بالضرابين ومعهم السياط ، فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له ـ يعني المعتصم ـ : شد قطع الله يدك ، ويجيء الآخر فيضربني سوطين ، ثم الآخر كذلك ، فضربني أسواطاً فأغمي علي وذهب عقلي مراراً ، فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي .

وقام المعتصم إلى يدعوني إلى قولهم فلم أجبه ، وجعلوا يقولون : ويحك الخليفة على رأسك فلم أقبل وأعادوا الضرب ، ثم عاد إلى فلم أجبه فأعادوا الضرب ، ثم جاء إلى الثالثة فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب ، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري ، وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

" كنت كثيراً أسمع والدي يقول : رحم الله أبا الهيثم ، غفر الله لأبي الهيثم ، عفا الله عن أبي الهيثم ، فقلت : يا أبة من أبو الهيثم ؟ فقال : لما أخرجت للسياط ومدت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : أنا أبو الهيثم العيار ، اللص الطرار ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق ، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا ، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين ، قال : فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفا وخرج الخادم فقال عفا عنه أمير المؤمنين " .[1]

عن عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال :

" سمعت أبي يقول : كنت في الدار وقت أدخل أحمد بن حنبل وغيره من

[1] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٥١/٢ .

العلماء ، فلما أن مد أحمد ليضرب بالسوط، دنا منه رجل وقال له : يا أبا عبد الله ، أنا رسول خالد الحداد من الحبس يقول لك : اثبت على ما أنت عليه ، وإياك أن تجزع من الضرب ، واصبر فإني ضربت ألف حد في الشيطان ، وأنت تضرب في الله " . [١]

وعن ميمون بن الأصبغ قال :

" كنت ببغداد ، فسمعت ضجة فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يمتحن فدخلت ، فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثاني قال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، فضرب تسعة وعشرين سوطاً .

وكانت تِكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت ، فنزل السراويل إلى أسفل فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرك شفتيه ، فما كان بأسرع أن بقي السراويل لم ينزل ، فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك فأي شيء قلت ؟

قال : قلت : اللهم إني أسألك بأسمك الذي ملأت به العرش ، إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترا " . [٢]

وكان جملة ما ضرب نيفاً ثلاثين سوطاً ، وقيل : ثمانين سوطا ، لكن كان

[١] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٦١/١ .
[٢] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٥٠/٢-٣٥١ .

ضرباً مبرح .

عن محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة قال :

" سمعت شاباص النائب يقول : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربته فيلاً لهدته " .

وعن أحمد بن عمر قال :

" سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً ما ذاق إلا مقدار ربع سويق كل ليلة كان شرب شربة ماء ، وفي كل ثلاث ليال يسف حفنة من السويق ، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، ورأيت موقيه ـ عينيه ـ دخلتا في حدقتيه " . [١]

ولما رجع إلى منزله جاءه الجرايحي ـ الطبيب ـ فقطع لحماً ميتا من جسده ، وجعل يداويه والنائب في كل وقت يسأل عنه ، وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً وجعل يسأل النائب عنه ، والنائب يستعلم خبره ، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك ، ولما شفاه الله بالعافية بقي مده وإبهاماه يؤذيهما البرد ، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة ، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى : { **وليعفوا وليصفحوا** . . . الآية } .

ثم لزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعه ولا جماعة ، وامتنع من التحديث وكانت غلته من ملك له ، في كل شهر سبعة عشر درهماً ، ينفقها على عياله

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٧٩/٩ .

ويتقنع بذلك ـ رحمه الله ـ صابراً محتسباً .

ولم يزل كذلك مدة خلافة المعتصم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق ، فلما ولى المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته ، فإنه كان محباً للسنة وأهلها ورفع المحنة عن الناس وكتب إلى الآفاق : لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى إسحاق بالإمام أحمد إليه فأكرمه وعظمه لما يعلم من إعظام الخليفة له ، واجلاله إياه ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن ، فقال له أحمد : سؤالك هذا سؤال تعنت أو استرشاد ؟ فقال : بل سؤال استرشاد ، فقال هو كلام الله منزل غير مخلوق فسكن إلى قوله في ذلك .

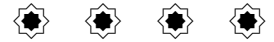

ثناء الناس عليه ـ رحمه الله ـ

📖 أثنى على الإمام أحمد جميع الأئمة و العلماء قاطبة ، وشهدوا له بالفضل والعلم ، فى مختلف الأزمان والعصور . . .

ولقد وجدت فى كتب السير والتاريخ من الثناء على الإمام أحمد ما لا يحصى ، حتى أنه لو أفرد مجلد لما قال العلماء عن الإمام أحمد لكان قليلا ، وهذه نبذه قليله لما قيل فى حق هذا الامام الجليل ـ رحمه الله ـ :

عن عبد الله بن داود الخريبي قال :

" كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه ، وكان بعده أبو إسحاق الفزاري أفضل أهل زمانه .

قال نصر بن على : وأنا أقول : كان أحمد بن حنبل أفضل أهل زمانه " . [١]

وقال القواريري :

" قال يحيى القطان : ما قدم علينا مثل هذين : أحمد ويحيى بن معين .

وما قدم علي من بغداد أحب إلي من أحمد بن حنبل " . [٢]

وعن أبي الحسن الميموني قال :

" قال لي علي بن المديني بالبصرة ، قبل أن يمتحن علي ، وبعد ما امتحن

---

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ١٨٤/٥ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٨٩/١١ .

أحمد بن حنبل وضرب وحبس وأخرج : يا ميموني ، ما قام أحد في الإسلام ما قام به أحمد بن حنبل .

فتعجبت من هذا عجباً شديداً ، وأبو بكر الصديق ﷺ وقد قام في الردة وأمر الإسلام ما قام به .

قال الميموني : فأتيت أبا عبيد القاسم بن سلام ، فتعجبت إليه من قول علي ، قال : فقال لي أبو عبيد مجيباً : إذا يخصمك ! قلت : بأي شئ يا أبا عبيد ، وذكرت له أمر أبي بكر ، قال : إن أبا بكر وجد أنصاراً وأعواناً ، وإن أحمد بن حنبل لم يجد ناصراً ، وأقبل أبو عبيد يطري أبا عبد الله ويقول : لست أعلم في الإسلام مثله " . [١]

وعن عباس الدوري قال :

" سمعت أبا عاصم يقول لرجل بغدادي : من تعدون عندكم اليوم من أصحاب الحديث ؟

قال : عندنا أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة ، والمعيطي ، والسويدي ، حتى عد له جماعة بالكوفة أيضاً وبالبصرة .

فقال أبو عاصم : قد رأيت جميع من ذكرت ، وجاؤوا إلي ، لم أر مثل ذاك الفتى ، يعني : أحمد بن حنبل " . [٢]

وقال شجاع بن مخلد :

[١] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٥٢/١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٠/١١ .

" سمعت أبا الوليد الطيالسي يقول : ما بالمصرين رجل أكرم علي من أحمد بن حنبل .

وعن سليمان بن حرب :

" أنه قال لرجل : سل أحمد بن حنبل ، وما يقول في مسألة كذا ؟ فإنه عندنا إمام " .

وقال مهنى بن يحيى :

" قد رأيت ابن عيينة ، ووكيعا ، وبقية ، وعبد الرزاق ، وضمرة ، والناس ، ما رأيت رجلا أجمع من أحمد في علمه وزهده وورعه " . [١]

وقال ابن أبي حاتم ناقلاً ما قاله العلماء :

قال عبد الرزاق : " ما رأيت أحدا أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل " .

قلت : قال هذا ، وقد رأى مثل الثوري ومالك وابن جريج .

وقال حفص بن غياث : " ما قدم الكوفة مثل أحمد " .

وقال أبو اليمان : " كنت أشبه أحمد بأرطاة بن المنذر " .

وقال الهيثم بن جميل الحافظ : " إن عاش أحمد ، سيكون حجة على أهل زمانه " .

وقال قتيبة : " خير أهل زماننا ابن المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعني : أحمد

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١/ ١٩٠ .

بن حنبل ، وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد ، فاعلم أنه صاحب سنة .

ولو أدرك عصر الثوري ، والأوزاعي ، والليث ، لكان هو المقدم عليهم .

فقيل لقتيبة : يضم أحمد إلى التابعين ؟ قال : إلى كبار التابعين " .

وقال قتيبة : " لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين ، أحمد إمام الدنيا " .

وقيل لأبي مسهر الغساني : " تعرف من يحفظ على الأمة أمر دينها ؟

قال : شاب في ناحية المشرق ، يعني : أحمد " . [١]

وقال المزني :

" قال لي الشافعي : رأيت ببغداد شاباً إذا قال : حدثنا ، قال الناس كلهم صدق ، قلت : ومن هو ؟ قال : أحمد بن حنبل " .

وقال حرملة :

" سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ، ولا أعلم ، ولا أفقه ، ولا أتقى من أحمد بن حنبل " .

وقال الزعفراني :

" قال لي الشافعي : ما رأيت أعقل من أحمد وسليمان بن داود الهاشمي " . [٢]

[١] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣١٩/١ ـ ٣٢٠ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٥/١١ .

وروي عن إسحاق بن راهويه قال :

" أحمد حجة بين الله وبين خلقه " .

وقال محمد بن عبدويه :

" سمعت علي بن المديني يقول : أحمد أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه ، لأن سعيداً كان له نظراء " .

وعن ابن المديني قال :

" أعز الله الدين بالصديق يوم الردة ، وبأحمد يوم المحنة " . [١]

وقال أبو عبيد :

" إني لأتدين بذكر أحمد ، ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة منه " .

وقال الحسن بن الربيع :

" ما شبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سمته وهيئته " .

وقال النفيلي :

" كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين " .

وقال المروذي :

" حضرت أبا ثور سئل عن مسألة ، فقال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل

[١] أنظر : " تذكرة الحفاظ " للذهبي ٤٣٢/٢ ، و " تاريخ بغداد " للخطيب ١٨٤/٥ .

شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا " . [١]

وقال ابن معين :

" ما رأيت من يحدث لله إلا ثلاثة : يعلى بن عبيد ، والقعنبي ، وأحمد بن حنبل " .

وقال ابن معين : " أرادوا أن أكون مثل أحمد ، والله لا أكون مثله أبدا " .

وقال أبو خيثمة : " ما رأيت مثل أحمد ، ولا أشد منه قلباً " .

وقال علي بن خشرم :

" سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا أسأل عن أحمد بن حنبل ؟! إن أحمد أدخل الكير ، فخرج ذهباً أحمر ـ يقصد المحنة ـ " .

وقال عبد الله بن أحمد :

" قال أصحاب بشر الحافي له حين ضرب أبي : لو أنك خرجت فقلت : إني على قول أحمد ، فقال : أتريدون أن أقوم مقام الانبياء ؟! " . [٢]

وعن محمد بن عبد الله بن طاهر قال :

أضحى ابن حنبل محنة مرضية وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمد متنقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتك [٣]

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ١٨٤/٥ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٧/١١ .
[٣] أنظر : " طبقات الشافعية " للسبكي ٣٣/٢ .

وقال أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباع :

" سمعت أبا عبد الله البينوني وكان يتعبد يقول : قلت لبشر بن الحارث : ألا صنعت كما صنع أحمد بن حنبل ؟!

فقال : تريد مني مرتبة النبيين ؟ لا يقوى بدني على هذا ، حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه ، ومن فوقه ومن أسفل منه ، وعن يمينه وعن شماله " . [١]

وقال هلال بن العلاء الرقي :

" من الله على هذه الامة بأربعة في زمانهم : بأحمد بن حنبل ، ثبت في المحنة ، ولولا ذلك لكفر الناس .

وبالشافعي ، تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبيحيى بن معين ، نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ .

وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ولولا ذلك ، لاقتحم الناس في الخطأ " . [٢]

وعن أحمد بن إبراهيم الصوفي قال :

" قال لي رجل من أهل العلم وكان حبرا فاضلاً يكنى بأبي جعفر في العشية التي دفنا فيها أبا عبد الله : تدري من دفنا اليوم ؟ قلت : من ؟!

قال : سادس خمسة ، قلت : من ؟!

[١] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٥٥/١ .
[٢] أنظر : " تهذيب الكمال " للمزي ٤٦٢/١ .

قال : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعمر بن عبدالعزيز ، وأحمد بن حنيل .

قال أبو العباس: فاستحسنت ذلك منه وعنى بذلك أن كل واحد في زمانه " . [١]

وقال أبو زُرعة :

" أحمد بن حنبل أكبر من إسحاق وأفقه ، ما رأيت أحداً أكمل من أحمد " . [٢]

وعن أبا عمير بن النحاس الرملي :

" وذكر أحمد بن حنبل فقال : رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، وبالصالحين ما كان ألحقه ، عرضت له الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها " . [٣]

وقال الإمام النسائي :

" جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث ، والفقه ، والورع ، والزهد ، والصبر " . [٤]

وعن محمد بن أبي بشر قال :

" أتيت أحمد بن حنبل في مسألة ، فقال : ائت أبا عبيد ، فإن له بياناً لا تسمعه من غيره .

[١] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٦٦/٩ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٨/١١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٨/١١ .
[٤] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٩/١١ .

فأتيته فشفاني جوابه .

فأخبرته بقول أحمد ، فقال : ذاك رجل من عمال الله ، نشر الله رداء عمله ، وذخر له عنده الزلفى ، أما تراه محبباً مألوفاً .

ما رأت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه ، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم ، فإنه لكما قيل :

يزينك إما غاب عنك فإن دنـــا رأيت له وجهاً يسرك مقبـــــــلا
يعلم هذا الخلق ما شذ عنهـــم من الأدب المجهول كهفاً ومعقـــلا
ويحسن في ذات الإلـه إذا رأى مضيماً لأهل الحق لا يسأم البـــلا
وإخوانه الأدنون كل موفـــق بصير بأمر الله يسمو على العـــلا [١]

وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي :

" وذكر أحمد بن حنبل فقال : هو عندي أفضل وأفقه من سفيان الثوري ، وذلك أن سفيان لم يمتحن بمثل ما امتحن به أحمد ، ولا علم سفيان ومن يقدم من فقهاء الأمصار كعلم أحمد بن حنبل ، لأنه كان أجمع لها ، وأبصر بأغاليطهم وصدوقهم وكذوبهم " . [٢]

وعن أحمد بن على بن شعيب قال :

" سمعت أبى يقول : كان أحمد بن حنبل بالذي قال النبي ﷺ : " **كائن في أمتى ما كان في بنى إسرائيل ، حتى أن المنشار ليوضع على فرق رأسه ما**

[١] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠١/١١ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠٢/١١ .

يصرفه ذلك عن دينه " ، ولولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن ، لكان عاراً علينا إلى يوم القيامة أن قوما سُبكوا ـ اختبروا ـ فلم يخرج منهم أحد " . [١]

وقال الحنيني :

" سمعت إسماعيل بن الخليل يقول : لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آية " . [٢]

وقال أحمد بن القاسم المقرئ :

" سمعت الحسين الكرابيسي يقول : مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل ـ أي بسوء ـ مثل قوم يجيؤون إلى أبي قبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم " . [٣]

وعن محمد بن الحسين الأنماطي قال :

" كنا في مجلس فيه يحيى بن معين ، وأبو خيثمة ، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ، فقال رجل : فبغض هذا ، فقال يحيى : وكثرة الثناء على أحمد تستنكر ! لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ، ما ذكرنا فضائله بكمالها " . [٤]

[١] أنظر : " تاريخ بغداد " للخطيب ١٨٤/٥ .
[٢] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ٢٠٢/١١ .
[٣] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٢٠٤/١١. وأبي قبيس : جبل مشرف على المسجد الحرام.
[٤] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١٩٦/١١ .

مرضه ـ رحمه الله ـ

قال صالح :

" لما كان أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، حم ـ مرض ـ أبي ليلة الأربعاء ، وبات وهو محموم ، يتنفس تنفساً شديداً ، وكنت قد عرفت علته ، وكنت أمرضه إذا اعتل ، فقلت له : يا أبة ، على ما أفطرت البارحة ؟ قال : على ماء باقلى ـ فول ـ .

ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي ، فأخذت بيده ، فلما صار إلى الخلاء ضعف ، وتوكأ علي .

وكان يختلف إليه غير متطبب كلهم مسلمون .

فوصف له متطبب قرعة تشوى ويسقى ماءها ـ وهذا كان يوم الثلاثاء، فمات يوم الجمعة – فقال : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : لاتشوى في منزلك ، ولا في منزل أخيك .

وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبته ، وأتى ابن علي بن الجعد فحبسته ، وكثر الناس .

فقال : فما ترى ؟ قلت : تأذن لهم ، فيدعون لك .

قال : أستخير الله ، فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً ، حتى تمتلئ الدار ، فيسألونه ويدعون له ويخرجون ، ويدخل فوج ، وكثر الناس ، وامتلأ الشارع ، وأغلقنا باب الزقاق .

وجاء جار لنا قد خضب ـ لحيته ـ فقال أبي : إني لأرى الرجل يحيى شيئاً من السنة فأفرح به .

فقال لي : وجه فاشتر تمراً ، وكفر عني كفارة يمين .

قال : فبقي في خريقته ـ كيسه ـ نحو ثلاثة دراهم .

فأخبرته ، فقال : الحمد لله .

وقال : اقرأ علي الوصية ، فقرأتها فأقرها .

وكنت أنام إلى جنبه فإذا أراد حاجة ، حركني فأناوله ، وجعل يحرك لسانه ، ولم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها .

ولم يزل يصلي قائماً ، أمسكه فيركع ويسجد ، وأرفعه في ركوعه .

قال : واجتمعت عليه أوجاع الحصر وغير ذلك ، ولم يزل عقله ثابتاً ، فلما كان يوم الجمعة ، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار ، توفي " . [1]

وقال المروذي :

" مرض أحمد تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس ، فيدخلون عليه أفواجاً ، يسلمون ويرد بيده ، وتسامع الناس وكثروا .

وسمع السلطان بكثرة الناس ، فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق ، فكان الناس في الشوارع .

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١/٣٣٤ـ٣٣٥ .

و في المساجد ، حتى تعطل بعض الباعة .

وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ، ربما دخل من بعض الدور ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب .

وجاءه حاجب ابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهي أن يراك .

فقال : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره .

قال : وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر والبرد تختلف كل يوم وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه ، وجعلوا يبكون عليه .

وجاء قوم من القضاة وغيرهم ، فلم يؤذن لهم .

ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدي الله ، فشهق أبو عبد الله ، وسالت دموعه .

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال : ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل .

قال : فجعلوا ينضمون إليه ، وجعل يشمهم ويمسح رؤوسهم ، وعينه تدمع ، وأدخلت تحته الطست ، فرأيت بوله دماً عبيطا ـ غليظاً ـ .

فقلت للطبيب ، فقال : هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه " . [1]

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " للذهبي ١١/٣٣٦ .

وفاته ـ رحمه الله ـ

قال صالح بن أحمد بن حنبل :

" توفي أبي أحمد بن حنبل يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار ، واجتمع الناس في الشوارع ، فوجهت إليهم أعلمهم بوفاته وإني أخرجه بعد العصر ، فلم يقنعوا بالرسول حتى وردت عليهم ، فغسلناه وأدرجناه في ثلاث لفائف وكفناه ، وحضر نحو من مائة من بني هاشم ونحن نكفنه ، وجعلوا يقبلون جبهته ، فبعد حين رفعناه على السرير وبلغ كراء الزواريق ما شاء الله ، وعبر الناس في السفن الكبار ، وجعل يصب على الناس الماء حتى صرنا إلى الصحراء ، ووضع السرير والناس قد أخذوا في الشوارع والدروب ، فصلى عليه الأمير ابن طاهر ولم يعلم الناس بذلك ، فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ما شاء الله يأتون يصلون على القبر " . [١]

وقال المروزي :

" مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء ، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومرض تسعة أيام وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون ، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجاً يسلمون عليه فيرد عليهم بيده .

[١] أنظر : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٩٩/١ .

ووضأته فقال : خلل الأصابع ، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع ، فلما كان صدر النهار قبض ـ رحمه الله ـ فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت " . [١]

وعن محمد بن عمرويه قال :

" قال لي عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضرت أبي الوفاة فجلست عنده وبيدي الخرقة وهو في النزع لأشد لحييه ، فكان يغرق حتى نظن أن قد قضى ثم يفيق ويقول : لا بعد ، لا بعد بيده ، ففعل هذا مرة وثانية ، فلما كان في الثالثة قلت له : يا أبت إيش هذا الذي قد لهجت به في هذا الوقت ؟

فقال لي : يا بني ما تدري ؟ ، فقلت : لا ، فقال : إبليس لعنه الله قام بحذائي عاضاً على أنامله يقول : يا أحمد فتني ، وأنا أقول : لا بعد حتى أموت " . [٢]

وعن أبا زرعة قال :

" بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس عليه حيث صلى على أحمد بن حنبل فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف " . [٣]

وقال الخلال :

" سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية ولا الاسلام مثله ـ يعني : من شهد الجنازة ـ حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر

[١] أنظر : " صفة الصفوة " لابن الجوزي ٣٥٦/٢ .
[٢] أنظر : " حلية الأولياء " لأبي نعيم ١٨٣/٩ ، " تاريخ دمشق " لابن عساكر ٣٢٥/٥ .
[٣] أنظر " : الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ٣٩٩/١ .

على الصحيح ، فإذا هو نحو من ألف ألف .

وحزرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة ، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء " .

وروى عبد الله بن إسحاق الخراساني :

" أخبرنا بنان بن أحمد القصباني : أنه حضر جنازة أحمد ، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة .

وحزر من حضرها من الرجال بثمان مئة ألف ، ومن النساء بستين ألف امرأة ، ونظروا فيمن صلى العصر يومئذ في مسجد الرصافة ، فكانوا نيفاً وعشرين ألفاً " .

وقال موسى بن هارون الحافظ :

" يقال : إن أحمد لما مات مسحت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها ، فحزر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ست مئة ألف أو أكثر ، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف " .[1]

وقال السلمي :

" حضرت جنازة أبي الفتح القواس مع الدار قطني ، فلما نظر إلى الجمع قال : سمعت أبا سهل بن زياد يقول : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : سمعت

[1] أنظر : " سير أعلام النبلاء " ٣٣٩/١١ .

أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز " .[1]

وقال علي بن حجر في أحمد بن حنبل يرثيه :

نعى لي ابراهيم أورع عالـــم سمعت به من معدم ومخـــــول
إماماً على قصد السبيل وسنـة النبي أمين الله آخر مرســـــل
صبوراً على ما نابه متوكـــلاً على ربه في ذاك حق التوكـــــل
فقلت وفاض الدمع مني بأربـع على النحر فيضا كالجمان المفصـل
سلام عديد القطر والنجـــم و الثرى على أحمد البر التقي ابن حنبل
ألا فتأهب للمنايا فإنما البقـــاء قليل بعد ذلك يا علـــــــــي
كأنك قد وسدت كفك عاجـــلاً وغودرت منسياً بأوحش منـــــزل
مقيماً به يسفي على قبرك الثـــ رى عواصف ريح من جنوب وشمأل

[1] قال الحافظ ابن كثير في " البداية والنهاية " ١٠ / ٣٤٢ : وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي القضاة ، لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه ، ولما مات ، ماشيعه إلا قليل من أعوان السلطان .